رحلتي إلى النور

وبآخره ملحق قصة (في وداع والدي أبي محمد رحمه الله)

مالك الرحبي

(مازن بن أحمد المنسي الغامدي يرحمه الله)

توفي في الساعة الثانية ظهر يوم (الجمعة 13/12/1426)

تنسيق موقع صيد الفوائد

http://www.saaid.net/

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه فصول قصة حقيقية ...
أسردها سردا كما هي ...
قد مر على فصولها أكثر من خمسة عشر عاما..
ومع ذلك فمشاهدها وحكاياتها ما زالت راسخة في الفؤاد..
قد نقشت فيه كما ينقش في الصخر لا يزول إلا بأمر الله..
أطلب من القارئ الكريم أن يتمهل ولا يستعجل..في الحكم على القصة..
حتى تستكمل فصولها وينتهي رقمها ..
فهي في النهاية تحكي مواقف عن رجل فذ قد طوته اللحود..
هذا الرجل هو شامة في جبين التاريخ في عصرنا..
وأنا في موقفي هذا معه ما أنا إلا حاك وناقل لموقف واحد فقط من مواقفه ..
وحسنة واحدة من حسناته ..
أحكي لكم عن هذا الرجل وأقسم على كل حرف فيه ..
أرويه كما حصل بلا زيادة ونقصان..
وأما حصر أفعال هذا الرجل ، ورصد جمائله على الناس والأمة
فهذا مما تعجز عنه طاقة الناس ...
فمنذا يقدر حصر أفعاله ليجمع أفعال غيره!!
فأمره إلى الله ..
هو حسيبه تعالى ورقيبه لا يخفى عليه من أمره شيء..
سيجد القارئ الكريم في أول القصة مواقف تعنيني أنا بشخصي..
وهي في النهاية عن شخص مغمور ..
ولكنها في الخاتمة تكشف نبلا عزيزا لإمام جليل .. قد آن الأوان أن تعرف قصته..
وقد حكيت بعضا من تلك القصة على أحبابي وأترابي..
فكلهم أقسم علي إلا أن أكتبها وأنشرها .. فهي واجبة من الواجبات..
وحق لهذا الإمام علي كأقل جميل له علي أرده..
خاصة وأنني مقبل على أمر جلل.. لا أدري ما خاتمته..
فلتكن إذا صدقة من الصدقات وذخرا لي عند الباري سبحانه وتعالى ..
لعل الله أن يعفو عن الزلات ويتجاوز عني في الصالحين..

اللهـم اغفـر لـي ولشـيخنا وأسـتاذنا ولوالـدي واجعلنـي معهـم فـي فردوسك الأعلى يا أرحم
الراحمين.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الحلقة الأولى

في عام 1409 للهجرة ..
كنت أدرس في الصف الثاني المتوسط بمدرسة حطين فـي مدينـة الطائف..
وكنت حينها فتى كأترابي ...
لاهم لي في الحياة سوى مدرستي واللعب مع أصحابي بعـد انتهـاء الدراسة..
لم يكن لـدي أي ميـول نحـو التـدين والاسـتقامة والالـتزام بشـعائر الدين ..
بـل كنـت حينهـا لا اعـرف معنـى للـدين .. فقـد ربينـا للأسـف مـن الصغر..
على الاهتمام بدروسنا ومدرستنا ولم يكن لجـانب الـدين أي شـيء يذكر من الأهمية..
ويقتصر ذلك في الغالب على صلاة الجمعة .. أو الأعياد..
كان أول شخص متدين ومستقيم أتأثر به وأحبه هو أستاذي
في مادة التربية الدينية في تلك السنة واسمه عمير القرشي..
إن ابتسامة وطيبة الأستاذ عمير ونصائحه وتوجيهاته..
كل ذلك ما زال في الذاكرة محتبسا .. وكلماته ...
مـا زالـت تـرن فـي أذنـي حـتى هـذه السـاعة وأنـا أكتـب هـذه المذكرات..
لقد كان مربيا فذا ورجلا ساحرا بعباراته الصادقة ..
كان حينما يفسر آيات القرءان الكريم ويصف مشاهد يـوم القيامـة والحشر والجنة والنار
كانت كلماته وعباراته تلج القلوب كالسهام..
كان يسير في الصف وبين الطاولات فكنـت أطـارده بنظـري أينمـا توجه ..
أريد أن ألتهم ما يقوله التهاما ..
كانت العبارات تخرج من فمه كأنها مدافع تدوي تـدك كـل حظـوظ الشيطان في القلوب..

أحسبه رجلا مخلصا والله حسيبه..
كنا أحيانا ونحن في تلك السنون ما زلنا في حكم الطفولة..!!!
كنا والله يبلغ بنا التأثر بحديثه حتى نبكي..!!
ولكن للأسف فجأة وبلا مقدمات حرمنا من هذا الأستاذ الجليل..
لينقل في التوجيه في إدارة التعليم في المنطقة..!!!
لقد كان خطئا فادحا أن يحرم الطلاب مـن هـذا المعلـم ذو الطـراز النادر لينقل لعمل إداري
ولكن الله تعالى خلف علينا خيرا في أستاذ آخر ..
كان له فضل علي بشكل خاص..
لا أنساه له أبدا .. إنه الأستاذ طلال المشعبي..
قال لنا الأستاذ طلال : أنا تلميذ للأستاذ عمير القرشي ..
فهو أستاذي وشـيخي وأسـتاذكم لـذا سـنحاول أن نكمـل المسـيرة على نفس المنوال..
لن أطيل الحديث في مواقف الأستاذ طلال بارك الله فيه..
ولكن سأذكر موقفا له غير مجرى حياتي للخير إن شاء الله تعالى..
أبدى الأستاذ طلال بي اهتماما خاصا .. ولقـد كنـت بحمـد اللـه فـي فصلي من النابهين..
أحببته حبا يتجاوز حدود الاحترام للطالب مع أستاذه ...
لتصبح العلاقة علاقة شبيهة بود الابن مع والده ..
سجلت في برامج التوعية في وقت الفسحة..
وكنت استمع مع الآخرين لتوجيهات الأستاذ طلال..
وذات مرة كنت ألعب أمـام منزلنـا القريـب مـن الجـامع فلاحظـت سيارة شبيهة بسيارة
الأسـتاذ طلال .. انتظـرت ولـم أصـل !!! حـتى يخـرج صـاحبها بعـد الصلاة..
وفعلا خرج الأستاذ طلال ..
كان للمعلم حينها مهابة هائلة في قلـوب الطلاب خلاف مـا أسـمعه اليوم!!
توجهت إليه وسلمت عليه... فسألني بصرامة : هل صليت؟؟
مسحت قفاي وأرخيت رأسي وقلت لا !!
قال ليش؟؟
استحييت ولم أجب فهل سأقول أنا لا أصلي أصلا!!!
فهم الحال ، ولم أنتظر أن يعاتبني توجهت لدورات المياه وتوضـأت للصلاة..

ثم دخلت المسجد فركعت أربع ركعات للعشاء..
خرجت من المسجد فلم أري أحدا ..
بعد عدة أيام رأيت سيارة الأستاذ طلال مرة أخرى أمام المسجد ..
وهذه المرة سابقت الريح لأصلي مع الجماعة..
وبعد الصلاة تعمدت أن أظهر للأستاذ خروجي من المسجد..
ابتسم أستاذي وناداني ..
اقتربت منه وقال لي أين منزلكم..
أشرت له لمنزلنا المستأجر حيث قد باع الوالد بيتنا القديم وهو يبني بيتا جديدا في مخطط السحيلي شرق الطائف ..
دعوته لزيارتنا فقال الآن لا يصلح ولا أستطيع ولكن ممكن أزوركم غدا !!!
رحبت به وواعدته غدا بعد صلاة المغرب..!!
ذهبت لوالدي وبلغته بالحال.. استغرب الوالد من الزيارة ..
فليس من العادة أن يزور معلم تلميذا في بيته ..
وليس أيضا من العادة أن يدعوا فتى صغير رجلا كبيرا بغير إذن أهله..
رضخ الوالد للأمر الواقع وقال أهلا به ..
في اليوم التالي زارنا الأستاذ طلال في بيتنا وتعرف على الوالد ..
وكان والدي حينها مديرا لإحدى مدارس الطائف..
كان اللقاء رسميا .. ووالدي من طبعه رحمه الله التكلف مع الضيف..
فيشعر ذلك الضيف بالحرج فتنقلب المسألة مجاملات في مجاملات..
والسؤال لماذا الزيارة؟ وما هدفها؟ وهل كان الأستاذ طلال متعمدا لكل ما سبق ؟؟
ذكر الأستاذ طلال للوالد أن هناك مخيما للشباب في فترة الإجازة النصف سنوية..
ومدة المخيم أسبوع وتنظمه إدارة التعليم في الطائف.. وقد حث والدي على أن أشارك
في هذا المخيم!!!
قال الوالد لا بأس بذلك !!
فرحت بذلك وسررت بالفكرة فقد كان ذلك بمثابة حلم لي أن أشارك في عمل كهذا ..
انتهت أيام الامتحانات ..

وفي صباح يوم من أيام الربيع الجميلة حملني والـدي برفقـة أخيـه الصغير (عمي)
في سيارته إلى موقع تجمع المشاركين في المخيم...
وذلك خلف فناء إدارة التعليم في الطائف..
وضع والدي في جيبي ثلاثين ريالا وكذلك في جيب أخيه ..
أظن هذا اكبر مبلغ حصلت عليه في حيـاتي منـذ ولـدت حـتى ذلـك التاريخ!!!
حينما وصلنا لمنطقة التجمع هالني الجمع الغفير مـن الفتيـان ممـن هم في سـني أو قريبـا منـي .. أذكـر أن السـاحة امتلأت بالحقـائب وأكياس النايلون الكبيرة المحشوة بالملابس وبعضـهم أحضـر معـه وسائد وطرا ريح والحفة مطوية بحبال !!!
أما أنا فجئت بثـوبي الـذي علـي وكيـس صـغير فيـه ملابـس قليلـة للتبديل..!!
غادر الوالد بعد أن تأكد من المشرفين عن أن كـل شـيء علـى مـا يرام..
طلعت الشمس وما زالت الجموع تزيد حتى غصت بهم الساحة ..
فـي حـوالي السـاعة الثامنـة نـادى مشـرفوا المخيـم علـى أسـماء الطلاب المسجلين في المخيم..
وركبت في الباص المحدد لمجموعتي ..
كانت وجهتنا لمنطقة الشرائع قريبا من مكة المكرمة شرفها الله..
في الباص وقف شخص عليه لحية حمراء وثيابه نظيفـة .. وسـاعته في اليمين..!!!
كان على وجهه نور الطاعة ..
وقف ليذكرنا بدعاء السفر وسأل:
من يعرف دعاء السفر؟؟
أول مرة في حياتي أسمع بدعاء السفر والله..!!
رددناه جميعا خلفه .. حتى حفظته عن ظهر قلب منذ ذلك الوقت..
طوال الرحلة كان يتبادل المذكور مع زميل له..
قـراءة مسـابقات وروايـة قصـص وطرائـف ونحـو ذلـك ممـا يفيـد ويمتع..
كانت أول رحلة مفيدة وأول مرة أدرك كيف يمكن استغلال الـوقت ..
في مثل هذه الرحلات المليئة بالفائدة والإرشاد..
وصلنا لمنطقة المخيم.. وهي على يمين الداخل إلـى مكـة قبـل أن

تصل لنقطة التفتيش..
كانت أكوام الخيام ملقاة على أرض المخيم..
وطلبوا من كل مجموعة أن تتولى تركيب خيامها..
استمتعنا بذلك أيما استمتاع فهـذا أول عمـل جـاد ومتقـن أقـوم بـه بشكل جماعي..!!
وفي وقت صلاة الظهر اجتمعنا تحت خيمة واحدة ضخمة للصلاة..
ودخل علينا رجل فـي عمـر الأربعينـات عليـه سـيما الصـلاح ووجـه مليء بالجدية والصرامة..!!!
وهو الشيخ محمد بن زاهر الشهري بارك الله في عمـره ولـم أكـن اعرفه حينها..
امتلأ قلبي والله حينها من مهابته..
حينما وقف في وسط الخيمة وتكلم فـي الجمـوع بتوجيهـات عامـة وأمر كل شخص منا بالانضباط ..
واستغلال هذه الأيام بالنافع المفيد
كان الترتيب والنظام والضبط هو السيما البارزة على هذا العمل..
أذكر أن أصحابي أيقظوني للصلاة قبل الفجر ..
وحينما ذهبت للوضوء أعطونا كاسات بلاستيكية ..
بحيث يتوضأ الشخص بكأس واحدة فقط!!!
رأيت المسجد مضاء والنعال تملاء أطرافه..!!!
وحينما وصلت إليـه شـاهدت النـاس كـأنهم خليـة نحـل مـن صـوت القرءان..
أمسكت بشخص مر بجواري وسألته : هل أذن الصبح؟؟
قال بقي نصف ساعة على الأذان !!!
صلى بنا الفجر شخص رقيق وصوته جميل ..
وسمعت أشخاصا تأثروا بالآيات فبكوا !!
وبعد الصلاة وقـف شـخص ليتكلـم لمـدة عشـر دقـائق .. بخـاطرة ونصيحة..
كان مطلوبا من كل مجموعة أن تختار شخصا يمثلها فـي الكلمـات بعد الصلاة ..
ومن ثم يقوم أحد المشرفين بالتعليق على كلمته...
وفي الساعة الثامنة يستيقظ كل المخيم لوجبة الإفطار ..
ويلزم كل شخص ترتيب مكان نومه.. ولا يتركه مبعثرا..
وهناك مجموعات تفتش الخيـام وتعـاقب كـل مـن يهمـل بالضـغط عشر مرات أو الزحف على بطنـه.. كـانت مشـاهد المعـاقبين تـثير

الضحك والسرور بين المشاركين ..
كانت البرامج متنوعة وحافلة بالفوائد والنشاط والبهجة..
فهنـاك البرامـج الترفيهيـة والمسـرحيات والمسـابقات والبرامـج الرياضية..
ومن المناشط تنظيم المحاضرات ..
أول مرة احضر محاضرة كانت في ذلـك المخيـم وكـان ضـيفنا هـو الشيخ عبد الله الجلالي.
الداعية المشهور .. وممن زارنا فـي المخيـم لإلقـاء المحاضـرات.. الشيخ عائض القرني والشيخ سـفر الحـوالي والشـيخ سـتر الجعيـد والشيخ محمد بن سعيد القحطاني.. وغيرهم..
لن أغرقك أخي القارئ بالتفاصيل عن هذا المخيم ..
ولكن يعلم الله تعالى كم كان لتلك المواقـف والكلمـات والـدروس من صدى وتوجيه أحمد الله تعالى عليه أن هيئ لهذه الأمـة كهـؤلاء الرجال الذين يشرفون على تلك البرامج النافعة المباركة..
كان مشرفوا المجموعات يوقظونا في ساعة متأخرة من الليل..
ويأمرونا بالخروج خـارج الخيمـة ومـن ثـم نصـف فـي خـط طويـل ونخـرج برفقـة احـدهم خـارج المخيـم.. ومـن ثـم يقـوم المشـرف بتذكيرنا ووعظنا بكلمات تناسب الحدث..
كانت تلك الخرجات متعبة في لحظتها ولكـن مـا يـترتب عليهـا مـن تأثير على النفس والعقل والفكر شيء يفوق الخيال وصفه..
إن الإخوة القائمين على تلك البرامج حينما يفعلون ما يفعلون إنمـا قصدهم بذلك هو غرس النظام واستغلال الأوقـات وتنميـة الخشـية والخوف من الله تعالى في قلوبنا..
انتهت أيام المخيم ..
وبنهايته يبدأ مشواري الجديد في هذه الحياة...

الحلقة الثانية

كان لذلك المخيم أبلغ الأثر على حياتي وسلوكي..
ولا عجب إن لاحظتم معاشر القراء الكرام ..
تلك الحرب الضروس على تلك البرامج النافعة..
من أذناب الغرب والمدسوسين بيننا .. ممن ينعق صبح ومساء بمـا لا يعقل ..
فكل باب للخير والفضيلة ونشرها سعوا في درسه والقضاء عليه..

فلا شك أن لوطأتها عليهم شأنا لا يستهان به..
فهي تمد الأمة بروافد من العقول المخلصة لهذا الدين والأمة..
سلكت طريق الهداية واستمر هؤلاء الرجال ممن ذكرت وغيرهم..
في غرس الفضائل والمعاني السامية في، وفي آلاف الشباب..
الذين منهم الآن الطبيب والمهندس والمعلـم والقاضـي والصـحفي والداعية والتاجر
التزمت بالمشاركة في برامج بالمكتبة فـي جـامع ابـن عمـار بحـي القمرية..
وكان يشرف علينا شخص اسمه خالد بن مسلط البقمي..
كان غاية في النبل والأدب والشهامة ..
ولكنه للأسف تغير كثيرا بعد أن انصرف للعمل في التجارة..
وآخر عهدي به إنسان عادي جدا لا تكاد الدعوة والعمل لها يأخـذان من اهتمامه شيئا..
من المواقف التي لا تنسى مع أبي سليمان وهذه كنيته الـتي يحـب أن نناديه بها حيث نظم لنا رحلة لمجموعة من طلاب المكتبة..
وكـانت الرحلـة لأحـد الوديـان الجميلـة فـي منطقـة الشـفا جنـوب الطائف..
كلفنا الأخ خالد بذبح الخروف وشويه في برميل ..
على الطريقة المعروفة في صنع المندي
ولكن لتأخر نضج الطبيخ بسبب قلة خبرة الطباخين..
لم يستوي اللحم سوى بعد أذان العصر..
صلينا العصر .. وبطوننا ترتل وتقرقر جوعـا وتثيرهـا رائحـة الشـواء حولنا..
فالمنطقة مليئة بالمصطافين حينها..
استخرجنا اللحم وعزمنا على أكله حتى ولو لم ينضج جيـدا فـالجوع أبصر كما يقولون..
حينما وضعنا السفر واستوى اللحم على الرز المعصفر..
هطلت علينا كميات هائلة من الأمطار..!!
كأن حبات المطر تصب علينا صبا ..!!
لقد استغرق اجتماع السحب وتراكمها دقائق معدودة والله..
لم نشعر بذلك .. واستمررنا في التهام الطعام المبلول..!!
وفجأة صرخ الصريخ..
وتردد صداه في كل الوادي : السيل، السيل..!!
هجم علينا سيل من فم الوادي ..

حينما أبصرنا التيار يهدر نحونا ..
ولى الجميع ولم نلوي على شيء..
جرف التيار السيارات والأوادم.. ولكن الله سلم فقد تدارك النـاس بعضهم..
أما السيارات فقد امتلأت بالوحل والطين حتى سقوفها ..
وأما نحن فقد كنا نراقب تلك المشاهد ونحن نرجف تحـت الأشـجار نرجف من البرد والجوع!!
هذا موقف أذكره جيدا من تلك الرحلات الممتعة..!!
تعرفت على شخص بعد ذلك اشتهر بكنيته وهي أبو أسامة..
واسمه عبد الله الغامدي ... وهو صاحب الإنشـاد لقصـائد الشـريط المشهور هادم اللذات.... لمن يعرفه منكم..
وكان جارا لنا ، وهو رجل ذو همة عالية في الدعوة على الله ..
وما زال يعمل في الخطابة حتى كتابة هذه السطور..
لازمت هذا الرجل عدة سنوات كظله حـتى ظـن بعـض النـاس انـه والدي!!
وكنت من شغفي بـه وعلاقـتي القويـة أحـب تقليـد صـوته ومشـيته وحركاته..
وأذكر مرة أن أحد المشائخ لحقني في السوق ظانا أن مـن يلحقـه هو أبو أسامه!!
وكنت مقفيا وأسير بخطى سريعة فصار الرجل يناديني بغير اسمي فلا أرد عليه..!!
وحينما التفت إليه صدم برؤية شخص آخر غير من يبحث عنه..!!!
كنت حينها أبلغ الرابعة عشر من عمري تقريبا...
شاركت في البرامج الدورية للمكتبة يوم الأربعـاء والخميـس.. مـن كل أسبوع..
حتى ذلك الوقت كانت علاقتي بالوالد على مايرام..
فمستواي الدراسي في المدرسة فوق الجيد جدا ..
وللأسف فإن بعض الآباء جعلوا المقياس في نجاح أولادهم..
بمدى تفوقهم في دراستهم دون النظر فـي تميزهـم فـي الجـوانب الأخرى..
حينما التحقت بمدرسة هوازن الثانوية..
وكان النظام فيها النظام الشامل أو ما يسمى المطور.. الذي الغي لاحقا لفشله الذر يع..
كان هذا النظام يعطي حرية في الخيارات للطالب ..

في اختيار الجدول المناسب له كيفما يشاء..
وكذلك في اختيار المعلم الذي يرغبه..
لا شك أن هذا النظام والحرية الممنوحة لي كطالب ..
ساهم بشكل أو بآخر في تدني مستواي الدراسي..
فبسبب ارتخاء القبضة كما في النظام العادي ، وتدني الرقابة..
بسبب النظام صرت أغيب عن الدروس والمحاضرات في الفصل بمزاعم واهية..
في البداية ظن الوالد أن القضية هي مرحلة صعبة سأتجاوزها..
ولم يقدر الموقف حق قدره .. وليته فعل ..
لم يسبق لي أن رسبت في أي سنة ..
ولكن حصل أن حرمت في بعض المواد لا بسبب تدني المستوى بل للغياب..
حينما علم الوالد بذلك ظن أن السبب هو الرفقة لانشغالي معهم في برامج جانبية..
غير مهمة .. فالدراسة والمستقبل هي الأساس..
وبذلك صار الوالد يضغط علي للتقليل من روحاتي وخرجاتي..
كنت حينها مراهقا .. فاستمرأت أن يمنعني الوالد عما كنت أمارسه لسنوات..!!
فلم أطعه فيما يأمرني به..
الذي حصل أن الوالد بمشورة من قريب لي سامحه الله ..
قرر حرماني حرمانا مطلقا من أصحابي..
لقد كان ذلك بالنسبة لي أشبه بمنعي من شرب الماء أو تنفس الهواء..
لقد أعطى ذلك الحضر مفعولا عكسيا فقد تدهورت كثيرا في دراستي ولم اعد أذاكر دروسي ولو فعلت فإن ذلك يكون بالإكراه..!!
أذكر أن الوالد خوفا من أن ألتقي بأحد من رفقائي منعني مرة من صلاة الجماعة ..
ولم يستمر ذلك بطبيعة الحال ..
ولكن كانت تمر علي وجبات دسمة من الحظر كل فترة!!!
كنت محبا للعلم وطلبه ... وخاصة العلوم الشرعية..
التزمت بحلقة الشيخ أحمد بن موسى السهلي.. في جامع الأمير أحمد في درس عمدة الحكام .. وكذلك دروس الشيخ صالح الزهراني بجامع الشطبه ..

في كتاب زاد المعاد..
لكن المشكلة بالنسـبة لـي هـي وسـيلة المواصـلات للوصـول لهـذا الأماكن..
ويعلم الله كم كنت أعاني لحضور تلك الدروس..
فكم مرة مشيت عشرات الكيلوات لأصل للدرس..
وكم مرة توسلت لجار أو صاحب ليوصلني..
لم يكن هناك رفيق لي لديه سيارة وملتزم بالحضور..
لقد كنت شغوفا بالعلم وأحرص أن أكـون فـي أول الصـفوف أمـام المشائخ..
أذكر مرة أنني مشـيت مـن بيتنـا فـي حـي السـحيلي وحـتى جـامع الشطبه..
لكي أصلي الجمعة مع شيخنا!!!..
أما حضور محاضرات المشائخ المشهورين فهذا مالا أصبر عليه..
منعت من ذلك كله دفعة واحدة ...
حينها قررت أن أهرب مـن الـبيت لألتحـق بطلـب العلـم لـدى أحـد العلماء..

الحلقة الثالثة..

لم تكن فكرة الهروب من المنزل ومن الواقع الجديد الذي أجــبرت عليه..
لم تكن فكرة جاءت على البال فعزمت عليها هكذا!!
بل كانت الفكرة تطبخ في رأسي عدة أسابيع حتى هممت بها ..
لم أجرؤ في استشارة أحد في الموضوع.. سوى شخص واحد..
إنها زوجة والدي الجديدة..
الخالة كما تسمى في بعض المجتمعات أما نحن فنناديها بالعمة..
هـذه المـرأة الطيبـة تزوجهـا الوالـد قبـل عـدة سـنوات مـن ذلـك الموقف..
وهي امرأة عقيم لم ترزق بالذرية ...
وكنت في تلك الفترة قريبا منها جدا وتثق بي وأثق بها..
وكانت تتلطف معي حتى كسبت ودي وتعاطفي معها..
وهي امرأة طيبة ومحبة للخير وتشجعني عليه..
أوغر ذلك صدر الوالدة علي في البداية..
ولكن العمة بفطنتها ونباهتها كسبت رضـى أمـي.. فسـلكت الأمـور

على خير..
كانت العمة متعاطفة معي في محنـتي .. وكنـت أطلعهـا علـى كـل أموري الشخصية تقريبا..
وحينما فاتحتها بالموضوع وأنني عازم على أن أخرج من البيت .. لألتحق بحلقة عالم من علماء الأمة ..
وسوف أسحب ملفي الدراسي وأكملها..الخ الكلام..
لقد صورت المسألة لها بنرجسية عجيبة ..
هكذا بكل بساطة .. سأنجح وستكون الأمور على ما يرام..
وكانت أمرأه هينة لينة سهلة الإقناع.. فوافقتني..!!
بل قامت مشكورة وأعطتني من ذهبها فبعته وصـرفت نقـوده فـي سفري وترحلي..!!
لم يكن المبلغ كافيا فاستلفت من أحد كبار السن ممن يعرفني في المسجد مبلغا وافرا ..
والحمد لله أنه لم يسألني عن مقصدي من هذا المال!!
كانت الفترة حينها فـترة إجـازة صـيفية ولكـن الوالـد سـامحه اللـه أجبرني وبغير رضاي على التسجيل في فصل صيفي ..
وهو ما يسمح به النظام المطور..
رجوته وتوسلت إليه أن يعفيني من ذلك
ولكـن بلا جـدوى فقـد أراد مـن ذلـك معـاقبتي علـى تقصـيري فـي الفصل الدراسي السابق!!
والدي رحمه الله معروف في العائلة بأن لديه حاسة سادسة..
شـك مـن تصـرفاتي وهـدوئي المريـب والـذي عـرف بفطرتـه أنـه سيسبق عاصفة ما..!!
فقـد اعتـاد أن يرانـي مهمومـا غارقـا فـي التفكيـر فـي الأسـابيع المنصرمة..!!
فشك في هدوئي واطمئناني المفاجئ!!!
ولذلك أمر الوالدة بالتحفظ علي ومنعي من الخروج خـارج المنـزل حتى للصلاة..
وأخذ بطاقة الأحوال الشخصية التي لي وصار يحملها في جيبه أينما حل..
حددت يومـا معينـا للهـروب وكـان يـوم خميـس.. ولا أذكـر تـاريخه بالتحديد..
ولا ادري لما اخترت هذا اليوم لسفري...!!!
جهزت حقيبة كبيرة ذات لون أحمر!!!

ولملمت فيها بعض ثيابي وملابسي واخترت مجموعة من الكتب..
وأخفيتها عن عيون أهلي لكي لا يكتشفوا الخطة..
كنت أتربص بالوالد حتى آخذ بطاقة أحوالي من جيبه..
ولكن مهابته العظيمة في قلبي جعلتني أتردد في فرص كانت مواتية..!!
طلبت من العمة أن تساعدني في ذلك فخافت من العواقب واعتذرت!!
صادف أن سافر الوالد مع إخوتي لجدة .. يوم الأربعاء الذي يسبق يوم السفر
.. فاغتممت من ذلك ..
وخفت من انكشاف أمري وما أنا عازم عليه..
فأنا لا أستطيع السفر بدون بطاقة أحوالي الشخصية..
لذا كان علي الانتظار حتى يقدم أبي من سفره..
سهرت طوال تلك الليلة أنتظر قدوم الوالد..
ووصل للبيت قريبا من الفجر...
وصعد مباشرة لبيت العمة .. ونام نوما عميقا..
حينما تأكدت من نومه ..
استخرجت حقيبة سفري .. ووضعتها أمام باب المنزل داخل الفناء..
ثم صعدت لبيت العمة..
العائلة كلها كانت تغط في نوم عميق ..
كانت الساعة حينها السابعة صباحا تقريبا..
وبهدوء وترقب...
دخلت لصالة المنزل فرأيت ثوب الوالد معلقا على الباب..!!
وكنت أعلم أن والدي توقظه أدنى حركة في المنزل ..
اقتربت من الثوب فسحبته بهدوء ثم فتشته..
فوقعت عيني على بطاقتي..
هممت أن آخذ شيئا من نقوده ولكنني خفت، وخيرا فعلت!!
نزلت من درج المنزل.. و حملت حقيبتي على ظهري..
كانت ثقيلة جدا والمسافة التي سأقطعها للشارع العام حوالي الكيلو متر..
كنت أسير وأتعثر لثقل الحقيبة وأنظر خلفي خوفا من الوالد..
لو رآني أحد الجيران وبتلك الحال فلا شك أنه سيرتاب ..
وعندها سيحدث مالا تحمد عقباه...

وصلت للطريق العام وأنا ألهث من التعب..
أشرت لسيارة أجرة وهي من نوع السوزوكي ونسميه في المنطقة (الدباب)
سألني السائق عن وجهتي فقلت لـه خـذني إلـى موقـف التكاسـي المسمى موقف الجنوب..
وهو الموقف الذي يركب منه المسافرون لجنوب المملكة..
بحثت في الموقف عن الأجرة المتوجهة لمدينة أبها!!
كانت أبها حينها تعج بالدعاة والمشائخ المعروفين .. ومنهـم الشـيخ عائض القرني.. الشيخ عوض القرني.. الشيخ الطحان الشيخ سعيد بن مسفر وغيرهم وغيرهم من الدعاة وطلبة العلم..
لقد توقعت وبغير سؤال ودراية بأن هؤلاء المشائخ يستقبلون طلبـة العلم القادمين للطلب .. فجئت مهاجرا إليهم أطلب العلم..!!!
لـم يسـتغرق البحـث عـن سـيارة أجـرة متجهـة لأبهـا سـوى عشـر دقائق..
وكنت في عجلة من أمـري فمـا يـدريني لعـل الوالـد تهـديه حنكتـه فيتلني بتلابيبي!!!
كان السائق رجلا كبيرا في السن عمره يتجاوز الخمسين سنة..
ووجهة يدل على طيبته وضعف شخصيته..
كانت سيارته من نوع البيجو تحمل ثمانية ركاب..
كانت رفقتي مجموعة من الشباب ..
وهم من البادية وعلى ملامحهم الطيش والشر ..
وعرفـت مـن احـدهم أنهـم ذاهبـون للالتحـاق بعملهـم الجديـد فـي الجيش في خميس مشيط
وحينما رأيت هؤلاء الشباب وتصرفاتهم الرعناء..
تذكرت ما حدثني به أخي الذي يعمل في نفس القطاع..
عن اللواء (وذكر رقمه) في خميس مشيط..
وهو لواء سيء الذكر قد انتشرت بين شبابه المخدرات والتصرفات المشينة..!!
وحينما انطلقنا في مسيرنا الطويل لأبها..
ارتحت كثيرا وتنفست الصعداء..
غيـر أن سـروري لـم يـدم طـويلا فهـؤلاء الشـباب لـن يسـلم هـذا المطوع الصغير من شرهم..
كانت النظرات من عيونهم تقذف الشرر علي..
فهذا المطوع الصغير لا بد أن يكون سببا للمشاكل في الطريق..!!

حـاولت أن أكـون لطيفـا معهـم وبعيـدا عـن الاحتكـاك بهـم ولكـن هيهات!!
انشغلت بالحديث مع السائق وكنت محشورا بجواره...
وبعـد مـرور نصـف سـاعة مـن الرحلـة تقـدم أحـد الشـباب وأشـار بشريط كاسيت أغاني وأمر السائق بإدارته!!
علمت أن سكوتي ضعف أمام المنكر ..
فقلت للسائق وبحماس ظاهر.. لا تشغله لا يجوز..
كان هذا التصرف مني إعلانا للحرب بالنسبة لهؤلاء السفهاء..!!
والظاهر أن الحركة كانت متعمدة لإثارتي وقد فعلوا!!
كانوا سبعة وأنا واحـد والسـائق كـان يمكنـه التصـرف ولكنـه رجـل ضعيف الشخصية
قال لي هل لديك شريط قرءان أو محاضرة ..؟؟
قلت لا .. قال إذا خلهم يسمعوا ما يريدوا ..
قلت له هذا لا يجوز وحرام..
قال إذا ارجع للخلف ولا تستمع للغناء ..
رضخت لهم فقد كان هو وأنا أيضا نخاف من هؤلاء الفتية!!
تخطيت القوم ورجعت للمقعد الأخير برفقة أحدهم!!
وبدأت مزامير الشر والطرب تصم الآذان..
وكان الشباب يتمايلون ويرقصون طربا وضحكا ..
أما استنشاق دخان السجائر فحدث ولا حرج ..
لم يشغلني هذا الحال عن التفكير مما سأقدم عليه من أهوال

الحلقة الرابعة

استمرت رحلة العذاب تلك لأكثر من ثمان ساعات
تخللهـا مواقـف مليئـة بالتشـاحن .. والسـباب وتبـادل النظـرات الحادة!!
ولكن على العموم وصلنا لأبها.. بحمد الله سالمين..
ومن محطة الأجرة هناك توجهت لفندق أظن اسمه شمسان!!
أردت أن اتصل على البيت لأشرح لهم مقصدي مما فعلت..
وحتى لا يقومـوا بـالبحث عنـي فأنـا قـد خرجـت مـن الـبيت بطـوع أمري!!
حينما رن الهاتف كان المتحدث على الطرف الآخر هو الوالد..
كان الغضب قد أخذ منه مأخـذا مهـولا فقـد شـكل تصـرفي خروجـا

صارخا على التقاليد والعادات الاجتماعية..
وقام الوالد بتوعدي وتهديدي بكل ما يخطر على البال..
وأنـا لا ألـومه رحمـه اللـه فـي ردة فعلـه فقـد كـان تصـرفي غيـر مقبول..
إنني أحكي تلك المواقف دون محاولة تبريرها أو الدفاع عن نفسي
فقد انقضت وولت تلك الأيام بحلوها ومرها .. والله الهادي..
حينما وضعت متاعي في الفندق وارتحت قليلا..
حاولت أن أتصل بعدد من أصدقائي وأصحابي ..
ولكنني لم أجرؤ أن أشرح لهم أين أنا وما هو وضعي..
فقد خفت أن يضعفوا أمام والدي وإلحاحه فيدلوه على مكاني..
أذكـر أننـي اتصـلت علـى احـدهم وخنقتنـي العـبرة حينمـا سـمعت صوته..
أغلقت السماعة دون أن أكمل حديثي معه..
كانت مشاعري متضـاربة بيـن الخـوف والرهبـة والشـعور بالضـياع واليأس..
حاولت أن أنام في تلك الليلة ولكن بلا جدوى ..
كنت ممددا على السرير وانظر في السقف وتصيبني موجـات مـن البكاء..
كانت تدور في مخيلتي عشرات الأفكار
ولكن مع توارد الخواطر أصطدم بالواقع المرير الذي أنا فيه..
ذهبت في اليوم التالي لجامع الشيخ عائض القرني..
حضرت درسه وكان في صحيح البخاري..
كان الحضور متواضعا للغاية..
هممـت أن اطلـب مـن الشـيخ عـائض جلسـة خاصـة لأشـرح لـه وضعي..
ولكنني استحييت وجبنت..!!
سبحان الله أقطع مئات الأميال لأجله ثم حينمـا أقـف أمـامه أعجـز عن حديثه..
لقد كان انفصاما في الشخصية وعجزا غير مبرر..
ولكن يظهر لي أن خوفي وارتباكي سبب لي صدمة تجعلنـي أفتقـر للتعقل في القرارات !!
زرت المركز الصيفي في معهد أبها العلمي..
كان أغلب المشاركين في المركز ذوو أسنان تقل عني بكثير ..
كان استقبال المشرفين لي ومقابلتهم معي باردة للغاية..

لقد كنت ابحث عن شخص يؤويني من الضياع..
لقد كنت أريد شخصا عاقلا رشيدا..
أجلس بين يديه فأحدثه بما يعتلج في صدري من آلام وهموم جلبتها لنفسي بيدي!!
ولكن مشيئة الله تعالى وقدره جعلت هذا اللقـاء متـأخرا جـدا ومـع شخصية فذة!!
حينما شعرت أنني غير مرحـب بـي غـادرت المركـز ولـم اعـد إليـه أبدا..
مكثت أياما أهيم في الأسواق وأتمشى فـي أمـاكن النزهـة لأقضـي الوقت..
تساءلت مرارا : هل هذا ما جئت من أجله؟؟
ألم أحضر لطلب العلم..
فكرت في النفقة فهي لا شك يوما ستنضب وبعدها ماذا سأفعل؟؟
لم أحاول الاتصال بالعائلة طوال تلك الفترة..
رأيت أن بقائي في أبها مضيعة للوقت والمال..
سمعت من قبل بأن الرياض هـي مـأوى أفئـدة طلاب العلـم.. مـن طلاب الجامعات والمعاهد فهي المركز الأول للصحوة الإسلامية..
وفيها من الدعاة والعلماء ما يعجز حصره..
ولا شك فهي أرجى من أبها في البحث عما جئت لأجله..
ويكفي هذه المدينة العريقة شرفا في ذلك الوقت ..
وجود سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فيها
وهكـذا تغيـرت الوجهـة ولتكـن مـن أقصـى الجنـوب إلـى وسـط المملكة..
توجهت لمكتب الخطوط واشتريت التذكرة إلى الرياض..
في جواري في الطائرة كان شخص ملتح عليه سيما الخير..
عرف نفسه باسم علي السلطان وهو من سكان القصيم..
تحدثت مع الأستاذ علي عن أمور كثيرة ..
وعرفت منه أنه من سكان عنيزة وهو معلم في المعهد العلمي ..
وهو أحد الطلاب فـي حلقـة الشـيخ ابـن عـثيمين رحمـة اللـه عليـه العامرة بالطلاب والدارسين من كل بقاع العالم..!!
كان الحديث عابرا ولكنه أعطاني فكرة شاملة عن المنطقة..
وصلت للرياض ..
لقد كانت الرياض بالنسبة لي وأنـا ابـن المدينـة الصـغيرة كـانت ذا شأن كبير في النفس..

فمبانيهـا الكـبيرة وشـوارعها الفسـيحة ومسـاحتها الشاسـعة تأخـذ بالألباب..
نزلت في فندق البطحا وهـو مكـان أعرفـه مـن قبـل فقـد رافقـت الوالد له مرارا..
كان سعر الإقامة معقولا وبالجملة فقد كنت مقلالا في نفقتي..
مكثت عندهم في الفندق حوالي الشهر..
وما زال الاتصال حتى ذلك الحين مع العائلة مقطوعا ..
ومرة أخرى أعجز عن أن أتصرف تصرفا راشدا..
فأنا جئت من الأصل من أجل طلب العلم !!
ولكن يظهر أن حياة الدعة والراحة التي كنت فيها جعلتني انصـرف ولو لفترة عن المقصود!!
لم يكن هناك شخص أو لم أبحث عن شخص يرشدني ..
كنـت أقضـي وقـتي كلـه فـي الغرفـة فـي الفنـدق أو فـي صـالون الرياضة والمسبح..
لقد كنت صيدا يسيرا للضياع والمفسدين ولكن المولى جلت قدرته حماني..
ذات مرة كنت أمارس السباحة في المسبح..
فجاءني شاب نحيل من أهل البادية..
قال هل الماء عميق ؟؟
قلت لا .. وحسبته يعرف السباحة..!!
قفز من فوره في وسط الماء..
انغمس فيه ثم صعد..
ولكنه صرخ واستنجد بي لكي أخرجه فهو لا يعرف السباحة!!
التفت حولي لأنادي موظفي المسبح ولكن لا أحد..
أخذ الرجل يضرب في الماء ويخفق فيه ويشرب منه.. حتى كاد أن يهلك..
كنت مبتدئا في السباحة ولكن أين المفر..
ما إن اقتربت منه حتى تلني بشدة وسحبني ولطمني على وجهي!!
ثم غمسني بشدة في الماء وتخطاني ووضع قدمه على رأسي حتى خرج من الماء..
أما أنا فقد كدت أهلك حينها!!
ولم أحاول أن أنقذ غريقا بعدها أبدا...
لم يكن ذلك هو الموقف السيئ الوحيد..
ذات مرة حضر للمسبح شاب عليه سيما الخير ..

وكان برفقته عدد من الشباب الصغار..
لا اذكر مالذي حصل بيني وبينه لكن يبدو أن الرجـل مريـض مرضـا نفسيا..
وتصيبه حالات من الهيجان فيضرب من حوله دون شعور..
وهذا ما حدث معـي فقـد هـاج علـي كـالثور وضـربني علـى وجهـي ضربات كادت تقتلنـي.. وتركـت بصـمات علـى وجهـي بقيـت حـتى حين...
لم يكن أحد ليجرأ علـى الـدفاع عنـي فقـد كـان رجلا مفتـولا واللـه حسيبه..
رجعت يومها لغرفـتي فـي الفنـدق وهـذه المـرة موسـوم بعلامـات بارزة..!!
اتصل علي موظف الفندق وطلب مني الحساب..
نزلت إليه وسددت له مصاريف الأيام الماضية..
بقي في محفظة نقودي فقط مائة وخمسون ريالا...
وهو ما يغطي مصاريف يوم أو يومين!!!

الحلقة الخامسة

حينما يكون الإنسان في عافية.. لا يشعر بالزمن وهو يمر عليه..
وهذا يكون من جهة نعمة ويكون نقمة عليه من جهة أخرى..
حينما نضب مالدي من نفقة .. ..
أدركت أنني وقعت في خطأ قاتل ..
فأنا أمام خيارين إمـا أن أعـود للـبيت وهـذا مـالم يكـن واردا علـى الإطلاق حينها..
أو أن أحاول تدارك نفسي بأي وسيلة ممكنة!!
ولكن كيف ومع من...؟؟
مرت علي تلك الليلة كدهر فقد استغرقت في التفكير والبحث عـن مخرج..
أعيتني الحيل وضاقت علي السبل..
توجهت للخالق سبحانه بكل صدق وإخلاص..
سألته سؤال المضطر ..
لم يكن في مخيلتي أي سبيل أو أي منفذ..
ولكن ثقتي به تعالى هي سبيلي الوحيد..
في اليوم التالي توجهت للنادي الرياضي

فقد شعرت بالاختناق من بقائي في الغرفة
كان النادي شبه خال على غير العادة..
وكانت الساعة الواحدة بعد الظهر تقريبا..
رأيت في حوض السباحة شخصا يحاول العوم بمشقة ظاهرة..
حينما رآني ابتسم ابتسامة عريضة.. وقال لي:
هل تعرف السباحة ؟؟
قلت له قليلا وأحذرك من التقدم إلى الماء العميق..!!
ابتسم وتهلل وجهه وقال إن غرقت ستنقذني أنت!!
ضحكت وقلت له ابحث عن غيري..
وحكيت له الموقف الذي مر علي قبل فترة من الزمن مع صاحبنا الأعرابي!!
سألني عن الكدمات التي على وجهي .. فقد كانت ظاهرة وعميقة!!
لم أرد أن استرسل في تفاصيلها .. فقلت له سقطت !!
عرفني باسمه وصافحني وقال أنا أخوك سعود المعاشي من منطقة حائل وأنا من قبيلة شمر.... هل سمعت بحائل وأجا وسلمى؟؟
عرفته باسمي ..
سألني عن عملي ..
قلت له أنا لا اعمل ..
قال لي أين تقيم ..؟
قلت له هنا في الفندق!!
قال ألست من سكان الرياض؟؟
قلت لا أنا من سكان الطائف!!
قال لي ماذا تفعل هنا في مدينة الرياض إذا ؟؟ هل تدرس ؟
قلت له أنا جئت لطلب العلم ..!!
قال وعند من تدرس من العلماء .؟
لم اجبه فأنا لم أبحث عن شيخ حتى تلك اللحظة..
لا أدري لماذا استرسل الأخ سعود معي في الحديث ولكنه أصر علي أن أرافقه للغداء سويا..
شكرته وتعذرت منه ولكنه ألح بشكل كبير حتى رضيت..
قال لي ونحن نمشي .. أنا أملك تسجيلات إسلامية في حائل ..
واعرف عددا من المشائخ في الرياض فإن كنت ترغب في أن أعرفك عليهم فعلت..!!

صمت ولم أجبه..!!
ونحن قعود ننتظر الغداء قال لي سعود:
أسمع أخي أنت لك قصة وأكيد لـديك مشـكلة وأنـا اقـرأ ذلـك فـي وجهك!!
ولو ترغب في ذكرها لي ولا يحرجك الأمر فأرجو أن تخبرني بها ..
فما يدريك لعلي أستطيع مساعدتك ..!!
خجلت والله من كرمه وسماحة نفسه..
إن الأخ سعود حينمـا يقـول لـي هـذا الكلام فهـو رجـل صـادق غيـر متكلف أو متصنع..
ولقد اكتشفت بعد مخالطتي للأخ سعود أن معدن هذا الرجل معدن أصيل كالذهب ..
لقـد كـان الأخ سـعود رحمـة سـاقها اللـه لـي فـإن مجـرد إنصـاته وسماعه لقصتي هو أمر يشكر عليه بارك الله فيه..
حدثته بمشكلتي وأنصت إلي لأكثر من ساعة حتى برد الطعام ولـم يأكل منه شيء!!
لم يقاطعني طوال حديثي..
وحينما استكملت قصتي .. صمت قليلا ثم قال لي..
أسمعني جيدا ..
أنا رحلتي بعد قليل على حائل وسوف ترافقني للمنطقـة وسـتكون في ضيافتي..
ومن هناك سوف نتدبر حلا لمشكلتك... ما رأيك؟؟
بالنسبة لي أنا لا أعرف الخ سعود ولكنـي كـالغريق يبحـث عـن أي شيء ينقذه..
قلت له ثم ماذا ؟؟
قال ثق تماما سـنجد حلا لمشـكلتك موضـوعك بسـيط وسـأجد لـه حلا..
أرجوك اصعد لغرفتك ووضب أمتعتك وانتظرني عند الاستقبال..
لم يعطني الفرصة- وقد تعمد هذا – حتى أفكر في الموضوع..
وحينما صعدت لغرفتي أخذت تجول بخاطري الأفكار:
ياترى هل الرجل صادق ؟؟
ماذا لو كان .؟؟؟
ولكن سيماه الخير !! أسئلة تتردد ولكن لا خيار لي !!
لم اخبر الأخ سعود بوضعي المادي.. ولكن كرمه غير المصطنع..
جعله يحاسب الفندق دون مشاورتي..!!!

طلب سعود من سائق التاكسي أن يسرع ..
فقد كان يعلم أنه ليس لدي حجز لمقعد في الطائرة..
وبعد قليل التفت إلي وقال :
إن سألك أحد من تكـون فقـل لهـم أنـك أحـد أقربـائي وتقيـم فـي الطائف..
قلت له ولكن لقب العائلة ؟؟
قال لهم أنت فلان الشمري!!
قصد الأخ سعود من ذلك حمايتي من ألسنة الناس وتحقيقاتهم..
ولكن لقد دفعت أنـا ثمـن تلـك الغلطـة الشـرعة والاجتماعيـة ثمنـا غاليا..!!
وصلنا للمطار واجتهد الأخ سعود حـتى حصـل لـي علـى مقعـد فـي الطائرة..
كان الأخ سعود يلتفت إلي كل فترة ويطمنني بقوله: لا تقلق سوف تحل المشكلة..
لقد كنت متأكدا أن سعود ليس لديه عصى سحرية لحل وضعي..
ولكن طيبته وسماحته ورطته في هذا المقلب ..
وصلنا لمدينة حائل وكان منظر جبالها وهضابها يسحر الناظر..
يابعد حيي كلمة تسمعها عشرات المرات يوميا..
أهل حائل كرماء وأسخياء بشكل عجيب..
والطبيعة البدوية والفطر السليمة هي الغالب على الناس..
توجهنـا فـورا مـن المطـار لمكـان عمـل الأخ سـعود .. لأخـذ بعـض أوراقه..
اكتشفت أنه ضابط صف في المرور..
سلمت على أصحابه وعرفني لهم بأنني فلان الشمري!!
خجلت من ذلك أيما خجل فأنا لم اعتد على ذلك اللقب..
لقد كان ذكاء الناس الفطري وأسئلتهم البسـيطة تكشـف بسـهولة بطلان هـذا الانتسـاب ..بالإضـافة للكنـة الحجازيـة فقـد كـان الأمـر برمته مفبركا !!
لم تعجبني الحال فلم اعتد الكذب ولكن إرضاء لمضيفي تغاضـيت.. وصبرت
لاحظت أن في المنطقة أمنا عجيبا فالناس ينامون في بيوتهم..
ومفتاح السيارة على المقود..
هذا ما رأيته بنفسي في عدة مواقف..
تعرفت على إخوة سعود في منزله في حي المطار ..

كانا شابين نسيت أسماءهما
ولكن طيبة هذه العائلة والمواقف الجميلة التي عشتها في بيتهم هي ذكريات عطرة تبقى معي أينما حللت..

الحلقة السادسة

لقد قضيت في حائل حوالي العشرين يوما أعتبرها من أجمل أيام حياتي..
الكرم الحاتمي .. والسماحة وعلوم الرجال كما يقولون..
أشياء متجذرة في هذا المجتمع النبيل..
لقد سرني والله أن أنتسب لهم وليتني كنت غصنا من أغصانهم..
ولكن الحقيقة تبقى هي الفيصل وهي قدر الإنسان الذي كتبه الخالق جل في علاه عليه..
لن استرسل في تفصيل يومياتي في حائل وفي ضيافة الشهم النبيل سعود المعاشي..وإخوته.
لا أنسى رحلات الصيد في وديان حائل في شمالها وشرقها..
وفي منطقة جبه وحيه وبقعا وغيرها...
أذكر أننا زرنا بيوتا قديمة يقول مرافقنا أنها منازل حاتم الطائي العربي الكريم المشهور
يوجد في المنطقة مسجد قديم للغاية لم يبق منه سوى بعض أسواره وله محرابان !!
أحدهما متجه لبيت المقدس والآخر متجه للكعبة..
ويزعم أهل المنطقة أنه كان كنيسة وحول لمسجد ..منذ مئات السنين..
ولا أدري عن صحة هذا الكلام...
لكن الصلاة في هذا المسجد وتذكر الأجداد قبل مئات السنين الذين قد صلوا وركعوا في هذا المسجد إن تلك الذكرى تثير في النفس السكون والخشوع ..
ولقد سجدنا عدة ركعات فيه وكان بعض الإخوة يبكي تأثرا بالروحانية فيه..
أذكر زيارتنا لمنطقة أسمها حية وكان برفقتنا شخص نسيت اسمه و يظهر أن لديه خلفية أدبية وشعرية وتاريخية لا بأس بها..
استغرقت الرحلة للمنطقة حوالي الساعتين .. والطريق إليها جلد و غير معبد..

ونحن نسير في الطريق صدنا عددا من طيور الحبش أو ما يسـمى الحجل..
وكانت هي غداءنا في تلك الرحلة..
حينما وصلنا للمنطقة أشار لنا دليلنا لجهة الـوادي وقـال هنـاك تقـع حية!!
لم نشاهد سوى صخور ضـخمة قـد تسـاقطت مـن سـفوح الجبـال بفعل السيول والأمطار..؟؟
أوقفنا سيارتنا وترجلنا وصعدنا على الصخور..
مشينا حوالي ربع كيلو بين الصخور والأنقاض..
وكنا كلما تعمقنا في الوادي تزداد المنطقة بهاء واخضرارا!!
حينما وصـلنا لحيـة سـحرنا بتلـك الطبيعـة الخلابـة المحشـورة بيـن الجبال..
هي واحة خضراء مليئة بالأعشاب والحشائش..
وفي وسطها برك ماء وجداول صغيرة تصب من أعلى الوادي..
أخذ محدثنا يروي لنا أشعارا وقصائد لامرئ القيس
حينما كان سيد هـذا الـوادي ويغـازل الفتيـات اللاتـي يـأتين لسـقي البهائم من تلك البرك..
لقد ترسخت صورة حية كجنة وبساتين في ذاكرتي
وأتمنى لو أعود لها وأصور للناس تلك المشاهد..
كنا ننطلق كل يومين أو ثلاثة برفقة سعود وأصحابه للنزهة والصـيد وزيارة الآثار..
فقد وافق وجودي معهم وقت عطل وإجازات..
أهل حائـل فخـورون جـدا بأرضـهم وطبـائعهم ويعـتزون بـذلك أيمـا اعتزاز..
وحينما يقدم عليهم ضـيف يشـبعوه كرمـا وأنسـا حـتى يتمنـى أن لا يفارقهم..
أما السمر والحديث في البراري والنوم أحيانا فتلـك متعـة لا يمكـن وصفها..
لقد تناسيت كل ما أنا فيه من إشكالات وانغمرت فـي تلـك الرحلـة الانتقالية!!
سـميتها انتقاليـة لأنهـا واللـه أعلـم كـانت تهيئـة لـي لأيـام ووجـوه ومنطقة أخرى
تختلف اختلافا جذريا عمـا أنـا فيـه وعمـا كنـت قبـل فـترة بسـيطة عليه!!

كيف تغيرت بي الأحوال كنت قبل أيام قليلة أعيش كالمشرد ..
وهاأنذا أستمتع برفقة يضن الزمان بمثلهم..!!
سمها مراحل أو قفزات من أوضاع سيئة إلى وضع جديد يصعب على المرء توقعه أو تخيله
ولذلك يقول تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)..
الإنسان بطبعه عجول وطماع ويريد أن تسير أوضاعه على هواه ورغباته..
ولكن القدر بحكمة إلهية يقود الإنسان إلى الأفضل والأحسن لحاله ..
حتى ولو كرهها وجهل عاقبتها..
ولذلك يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه :
لو كشف الله لخلقه ستر القدر لما وجدوا خيرا لهم مما قدره الخالق عليهم سبحانه..
كاشفني الخ سعود برغبته في أن يتصل على والدي لكي يطلب أن يصلح بيننا..
لم تناسبني الفكرة وطلبت منه أن يتأنى قليلا..
فأنا ما زلت أبحث عن قاعدة صلبة اتكئ عليها ..
فأنا ابحث على استقرار وليس من المعقول أن يستمر حالي هكذا..
احترم رغبتي ولم يحاول أن يضغط علي لكي لا يجعلني أظن أنه تململ مني..
كنت أنام في ملحق منفصل برفقة إخوة سعود الذين هم في سن قريبة مني..
وكان لدي حرية واسعة في الخروج بالسيارة التي وضعت تحت تصرفي..
لم اتصل حينها بأي مخلوق .. من قريب أو بعيد..
حضرت دروس الشيخ حمد الغاوي في شرح بلوغ المرام
وأعجبني أسلوبه الميسر في التدريس ..
قال لي أحد طلابه هذا أسلوب تعلمه عن شيخه ابن عثيمين..
عرض علي الأخ سعود أن نسافر لمنطقة القصيم ..
وذلك برفقة احد أصحابه الذي لديه عمل هناك ليوم واحد ..
فرحت بذلك أيما فرح فالمتعة في اكتشاف مكان جديد هي مما فطر عليه الناس..

الحلقة السابعة

توجهنا لمنطقة القصيم ...
وكانت وجهتنا مدينة بريده..
كانت بريدة في تلك الأيام مركز التعليم الشرعي في المملكة ..
ويسميها منافقو بلادنا مركز تفريخ الإرهاب!!
وكان حينها الشيخ سلمان العودة هو جديلها المحكك ..
فـي الطريـق آنسـنا صـاحبنا أبـو آدم الـذي كنـا برفقتـه بسـواليفه والقصص الذي يرويها..
ومن رواياته ما قصه من مواقف مرت عليه خلال ابتعـاثه للدراسـة في لندن..
مما أذكره ...
يقول : كنت ذات مرة أتجول في مكتبة الجامعـة الـتي ادرس فيهـا وابحث عن كتاب
وكان حينها رجلا وسيما تملأ الرجولة والفحولة عين ناظره منه!!!
كانت تراقبه فتاة انجليزية ذات عيون زرقاء وأهداب سحرية..
وهو يتصفح الكتب وينسخ في الأوراق التي بين يديه ..
ولم يلاحظ هو تلك العيون المتوهجة ولا تلك القطة المتوحشة التي تراقبه!!!
يبدوا أنها امتلاءت منه فقررت أن تملك فؤاده..
لحقته إلى مطعم الجامعة واحتالت أن تتعرف عليه؟؟
وبعد قصة طويلة وظريفة لا يصلح ذكرها هنا وقع الرجل في النهاية في حبائلها!!
أغرم الفتى بها و أ غرمت به..
فتزوجا وعاشا معا طوال فترة الدراسة..
ولكن ....!!
كانت أم الفتاة نصرانية متعصبة لدينها ..
فضغطت على ابنتها وحولت حياتها لجحيم ، حتى تفرقا ولـم يلتقيـا بعدها أبدا..
تألم كثيرا لفراقها ولكنه لم يكن لديه خيار ..
التفت صاحبنا لولده الصغير وكان معنا!!
وقال له: انتبه تعلم أمك!!!
أضحكنا وآنسنا بطرافته المفرطة وسعة صدره ..

حينما وصلنا لبريده كنت أتأمل وجوه الناس..!!
كنت أتصور بريدة في مخيلتي مليئة بل قل كل أهلها متدينون !!
لا شك أن الدين هو الغالب في الناس ولكن لا تسلم أي مدينة مـن مظاهر السفور والفساد
أو الرجال غير المتمسكين بالهدي الظاهر الواجب!!!
الملاحظ كثرة العمالة الآسيوية هناك..
فالشـوارع منهـم غاصـة حـتى يخيـل إليـك انـك فـي بومبـاي أو نيودلهي!!
كنت أتصور بريدة قبل أن أراها كأنها مثل الجامعة تعج بطلبة العلم الذين يحملون كتبهم وقراطيسهم..
و أسـواق المدينـة مهجـورة سـوى مـن السـوقية أو كبـار السـن والأشياخ...
حينما قطعنا طريق بريده الرئيسي والذي يشق المدينة لشقين..
لم ألاحظ أي فرق يذكر عن مدن المملكة الأخرى..
أسواق ومحلات مليئة بل غاصة ودخان وشباب طائش ..
الملاحظ هو قلة أو انعدام السفور وقلة الجهر بالمعاصي ..
وهذا ترسخ لدي بالإقامة الطويلة في القصيم لاحقا..
توجهنا فورا لشغل الرجل وانقضى سريعا..
فقال سعود ما رأيكم لو نـذهب لمسـجد الشـيخ فلان وذكـر اسـمه ونسيته..
هذا المسجد مبني على الطراز القديم وما زال أهله يعيشون حيـاة الأولين!!
لم نتردد في الذهاب فهذا شيء لم نسمع به من قبل!!
دخلنا للحي ...
الحـي حـديث وبيـوته مبنيـة مـن الخراسـان وعلـى أجمـل واحـدث طراز.. !!
وفي وسط الحي مسجد قديم متهالك البناء وأظن أصل بنـاءه مـن الطين ولكنه صبغ حديثا..
وكان وقت صلاة العصر ..
أذن المؤذن ولم نسمعه لأن الآذان بلا ميكرفون..
المسجد مفروش بالرمل والناس تصلي على الرمل ..
غالب من في المسجد هم من الشيوخ وكبار السن وفيهم مجموعة من متوسطي الأعمار والصغار
تسننا وجلسنا لانتظار الإمام ...

توقعت أن يدخل علينا شيخ معمم كعمائم السـلف وعليـه قلنسـوة قد أرخي طرفاها
ومشدود وسطه بمشد ويتدلى منه سيفه!!
فهذا ما نعرفه عن السلف ولا يخلو الأمر من مبالغة طبعا!!
دخل شيخ نحيل لحيته مصبوغة بالكتم الأسود..
ومشيته عليها السكينة والتواضع والخضوع لله تعالى..
ووجهه أبيض مضيء بنور الطاعة....
وعليه عباءة سوداء وشماغ احمر..
طلب من المؤذن أن يقيم..
قام شيخ كبير محني الظهر لا يكاد أن يرى وأقام للصلاة..
و صلى بنا الإمام صلاة مريحة لم تكن بالطويلة أو العجلة..
وحينما سلم التف حوله مجموعة من الصبية بأيديهم كتب صغيرة ..
وقعدوا خاضعين كأن علـى رؤوسـهم الطيـر ينتظـرون مـن الشـيخ إشارة البدء
سحب الإمام مهفة من القصب كانت بجواره وقال لأحدهم سم..
بدأ الفتية كل واحد منهم على حده. بقراءة فصول قصيرة
من مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب..
من كشف الشبهات ومن الأصـول الثلاثـة وقـرأ أكـبرهم مـن كتـاب التوحيد..
كـانوا يقـرؤون بصـوت خـافت وخاشـع ملحـن وجماعـة المسـجد مطرقون بإنصات ولا تسمع لهم همسا
لم يعلق الشيخ سوى بتصحيح النطق والعبارات..
استغرقت القراءة حوالي عشرين دقيقة ..
وبعدها انصرف الجميع وقام الإمام من محرابه..
تقدم أصحابي إليه وصافحوه ..
وبقيت أنا أراقب الموقف..
أحببت القصيم من يومها وأحببت أهلها
فأهلها أهل دين وصلابة في الحق والتزامهم بالإسلام خير التزام..
عدنا لحائل وفي الطريق عرض علي سعود عرضـا كـان هـو البـاب الذي منه
ولجت للسعادة والنور إن شاء الله تعالى

الحلقة الثامنة

سمعت عن الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أول مرة عن طريق
جارنا في الحي القديم في الطائف الأخ صالح الأسمري..
والذي أصبح الآن من أنشط الدعاة ونشرا للعلم وتعليمه..
حينما هداني الله تعالى خصني الشيخ صالح وكان حينها في المرحلة الأخيرة من الثانوية
خصني بعناية واهتمام فكنت أصحبه دوما للمسجد..
حيث أن باب بيتنا يجاور باب منزله مباشرة..
وكان يحدثني عن الشيخ بن عثيمين وعن دروسه في الحرم في العشر الأواخر..
وبعد انتقالنا للحي الجديد..
في ذلك العام 1410 للهجرة نزلت برفقة شباب المكتبة للبقاء بجوار بيت الله الحرام طوال فترة العشر الأواخر...
وحضرت في سطح الحرم درس الشيخ العلامة ابن عثيمين عليه سحائب الرحمة والغفران..
كانت تلك أول مرة أرى بها هذا العلم الجليل..
في اليوم التالي أخذتني الحماسة فاقتربت من كرسي الشيخ فدفعت ثمن اقترابي غاليا..
فلقد أوقفني الشيخ كعادته في دروسه وسألني سؤالا عما كان يتحدث عنه ؟؟
وكنت حينها شارد الذهن ..!!
فما استطعت أن أجيبه.. !!
فأمرني بالجلوس فشعرت بالخجل والخيبة حيث فشلت في أول امتحان معه!!
وما عدت لذلك المكان مرة أخرى..
بل بقيت خلف ظهره أو في صفوف بعيدة..
وفي إحدى رحلاتنا لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم..
حضرت درس الشيخ أبي بكر الجزائري ...
وبكرت بالحضور لأكون قريبا من الشيخ فكنت في الصف الثاني أمامه مباشرة..
سمعت الطلبة يتهامسون بين بعضهم.. فسمعت احدهم يذكر اسم ابن عثيمين..؟؟
وبعد دقائق جاء شيخ مسن قصير ورقيق البنية
لحيته بيضاء وشعره ابيض ووجهه أبيض.. وثوبه ابيض عليه غترة بيضاء..!!

وجبهتـه ناصـعة عليهـا أثـر السـجود.. وحاجبـاه عريضـان ومليئـان بالشعر الأبيض
يجر عباءته خلفه ..
ويشــق الصــفوف نحــو المقعــد المخصــص للشــيخ أبــي بكــر الجزائري..!!
إنه الشيخ ابن عثيمين!!
هممت أن أقوم ولكن كيف ؟؟
فعندما رفعت رأسي ونظرت خلفي ..
رأيت ارتالا من البشر تحدق في الشيخ ابـن عـثيمين والـذي أصـبح خلفي مباشرة..!!
عندما استوى الشيخ على المقعد أشار إلي بعنف وسخط وقال :
أجلس فقد آذيت إخوانك..!!
جلست مطرقا .. ثم بدأ الشيخ حديثه بالحمد والصلاة ..
فأنصت لكل حرف وكلمة يقولها..
فما يدريني لعله سيفعلها مرة أخرى ويسألني..؟؟
ولقد فعلها والله مرتين .. في ذلك الدرس!!
فأجبته وأنا أتتعتع وأرتجف خوفا منه .. ولكن أجبته بما يريد..
فكافأني بكلمة واحده قال لي : أحسنت..!!
هذا الرجل تحبه من النظرة الأولى..
أحبته ملايين المسلمين في كل مكان..
وسمعت من الناس ما زاد حبي له.. من زهده فـي معاشـه وهيئتـه ومسكنه..
فلقد سمعت حينها أنه يعيش في بيت من طين..!!
ولقد زاره الملك في عنيزة فاستقبله في هذا الـبيت مـن الطيـن .. وجلسا سويا على الأرض!!
وأنه يأكل مما يحرثه ويزرعه بنفسه!!
كانت تلك الصور في الذهن إن صحت أو لم تصح...
تثير الإعجاب والمحبة للشيخ مع ما وهبه الخالق سبحانه
من علم راسخ وفقه وفهم للشريعة قل نظيره في زماننا..
كانت فصاحة الشيخ وقوة حجته تبهر مستمعيه..
مع ما يثيره الشيخ من دعابة ومزاح مع من يسألهم ..
في تلك الجلسة في المدينة سأل الشيخ سؤالا ..
ثم نظر حوله بنظرة تذكرك بالصقر حينما يلتفت بحثا عن فريسة!!
وأخذت نبضات قلبي تزيد فقد ظننته سيلتفت إلي ويسألني..

فأشار للشخص الذي بجواري..
وكان رجلا بدينا فيه سمرة ويلبس المرآة على عينيه..
أشار له الشيخ وقال له: قم..؟؟
بقي الرجل فاغرا فاه ينظر للشيخ كالأبله!!
فكرر الشيخ كلامه وقال :أنت قم ،وطقطق بأصبعيه وأشار بسبابته إليه!!
فقال له أنا؟؟ وأشار لنفسه!!
قال: نعم أنت!!
تزحزح الرجل وحاول القيام بتثاقل حتى دفع من بجواره !!!
وحينما علا لم يستطع أن يرفع رأسه وبقي في هيئة كالراكع!!
كان مشهد جاري ذلك يثير الضحك والشفقة معا!!
فالظاهر انه لم يعتد الوقوف أمام الجموع وبين يدي إمام من أئمة السنة كابن عثيمين!!
أغلق الشيخ الميكرفون وناداه ليقترب منه ..
فدنا الرجل من الشيخ وهو منحني!!
فاقترب الشيخ من أذنه فهمس فيها بكلمات لم نسمعها!!
فكان الشيخ يهمس في أذنه والرجل يهز رأسه ويضحك..!!
ثم أمره الشيخ بالرجوع والجلوس في مكانه واستأنف درسه..
إن ذلك الموقف والتواضع والسماحة من رجل في مكانة الشيخ يجعل محبته
تسري للقلب كما تسري النار في الهشيم..

الحلقة التاسعة

حينما التفت إلي سعود قال لي..
ما رأيك في الالتحاق بحلقة الشيخ ابن عثيمين!!
ظننت الرجل يسخر مني !!
ثم أكمل حديثه وقال..
أنا اعرف شخصا مقربا من الشيخ محمد ويمكنه أن يتصل به مباشرة ليشفع لك!!
قلت له: أنا سمعت أن شروط قبول الطلاب عند الشيخ قاسية للغاية!!
فلا بد أن يكون حافظا للقرءان ولصحيح البخاري عن ظهر قلب!!
بلع سعود ريقه ثم صمت!!

وصلنا لحائل... ولم أنم تلك الليلة..
لقد كان ثني الركب بين يدي هذا العـالم الجليـل أمنيـة كـل طـالب علم..
لقد اشغل سعود تفكيري بتلك العبارة....
بعد صلاة الفجر قلت ياسعود.. وين رفيقك اللي يعرف الشيخ..
قال الليلة فيه عرس وسيحضر الرجل وبعرفك عليه..
انتظرت بفارغ الصبر ذلـك اللقـاء ولكـن الرجـل غـاب ولـم يحضـر العرس..
في اليوم التالي صلينا العصر في مسجد ذلك الرجل ..
نسيت اسمه ولكنه رجل وقور وهادئ الطبع ..
درس عند الشيخ لأربع سنوات وكان محل ثقة الشيخ فعينه مشـرفا على سكن الطلبة..
دخلنا منزله وجلسنا في مجلس الضيوف..
لم يكن يعلم الرجل عن الموضوع..
قال له سعود .. هذا الأخ فلان الشمري!!
يا الله ما أثقل تلك العبارة على قلبي ولكنه قالها سامحه الله..
قال : يرغب في الدراسة عند الشيخ محمد ونريدك تشـفع لـه عنـد الشيخ..
رحب الأخ بذلك وتهللت أساريره وقال :بكل سرور..
وسأكتب له توصية عند الشيخ ..
سألته هل من شروط القبول حفظ القرءان أو صحيح البخاري كمـا سمعت؟؟
قال : أبدا هذا ليـس بصـحيح ويمكنـك الدراسـة عنـد الشـيخ بـدون شيء..
أما إذا أردت الالتحاق بالسكن فلا بـد مـن توصـيه.. وسـوف اكتبهـا لك..متى ستذهب؟؟
التفت لسعود فأنا ضيفه ، ومعنى ذلك هو أنني سأغادر حائل وأهـل حائل..
ويعلم الله تعالى صعوبة ذلك علـى نفسـي.. ولكـن لابـد مـن عمـل شيء..
فوالداي لا بد أنهما قلقان علي فلو علما أنني لدى عالم ادرس والدراسة على الأبواب فلا بد أن أكمل دراستي الثانوية..
لـو علمـا بـأن أمـوري جيـده فلا شـك أن ذلـك سـيخفف مـن وقـع المصيبة عليهما..

قال سعود: سوف اذهب في نهاية الأسبوع لتبوك وسـوف أصـحبك للقصيم..
ومن هناك سأسافر لتبوك....
وفعلا فقد كتب الأخ الكريم تلك التوصية مشكورا ..
ولكن ما كدر خاطري أنه نسبني لقبيلة أخرى غير قبيلتي ..
لقد كان خطئا فادحا سأدفع ثمنه غاليا من سمعتي لاحقا!!!
وضعت التزكية في جيبي وذهبنا للمنزل..
رآني سعود كئيبا فسألني عن سبب ذلك ..
أخبرته بأن من أسباب زعلي هو أنني سـأفارق أناسـا أحببتهـم مـن كل جوارحي..
كما أحب إخوتي بل وأكثر..
سأفارق الأنس والكرم والجود والسماحة واللطف ..
ماذا لو لم تصلح أموري هناك..
وما يدريني ماذا ينتظرني في عنيزة والقصيم..
ألم أزل شابا غرا صغيرا لم تصقله الحياة
ماذا لو وقعت في يد أناس لا يخافون الله..
لقد كانت حالي استثنائية بكل المعايير وفيها من المغامرة والطيش شيء غير يسير..
دمعت عين سعود وقال لي :
والله إن بقاءك يسرني ويسر إخوتي ..
وإننـي والوالـدة والزوجـة وجميـع الأقـارب الـذين عرفـوك يعـدوك كواحد منا..
فلو شئت أن تمكث معنا فهذا يسرنا ويسعدنا ولو مكثت فـي بيـتي عشر سنين..
ولكن إن مصلحتك تهمني ولا بد أن تتصل بعائلتك ووالديك ..
فهما مهما غضبا عليك فسيبقيان اهلك واقرب الناس لك..
وأنت شاب ما زلت في مقتبل العمر وتحب العلم والتحصيل فهـذه فرصة ثمينة لك..
وثق تماما حتى لو انتقلت للعيش في القصيم فسـأبقى قريبـا منـك تعودني وأعودك
وبخصـوص تكـاليف دراسـتك وإقامتـك فسـأتكفل لـك بكـل فلـس تنفقه..
فانظر ماذا ترى والله يقدر لك الصالح..
لا شك أن كلام الأخ سعود هو حق ومع التأمل والتفكيـر فالمصـلحة

تقتضي
أن أتدارك حل مشكلتي بكل السبل الممكنة..
لقد قدم لي سعود الكثير الكثير..
فيكفي انه آواني وفرج كربتي جزاه الله عني خير الجزاء..
أخذني في اليوم التالي لسوق السيارات..
فرأيته يبحث عن سيارة ليشتريها..
قلت له ياسعود أنت لا تحتاج لسيارة أخرى!!
فلديك اثنتان وإخوتك غير محتاجين..
قال أريد أن اشتري لك سيارة..
أقسمت بالله عليه ورفضت رفضا قاطعا وجلست أتجادل معه أكثر من ساعة
حتى أقنعته بالعدول عن ذلك..
لم يكن سعود رجلا غنيا فهو متوسط الحال والذي لا اشك فيه أنه سيقترض ذلك المال..
وحتى لو لم يقترضه وكان غنيا فكفاني منه جوده وسخاؤه ..
فقد كان كل يوم أو يومين يضع في جيبي مبلغا جزيلا دون أن أطلبه والله..
قال لي مرة لقد زوجت أختي الصغرى قبل أن تأتيني بشهر واحد..
والله لو كنت أعرفك حينها وكنت موجودا معنا لزوجتك إياها!!
بارك الله في سعود وفي ماله وولده وكثر الله من أمثاله..
وليس هذا غريبا على أهل تلك المنطقة فمع أن انتشار الجهل بالأحكام الشرعية بين أهل
الشمال عموما هو الغالب ..إلا أنك تجد فيهم من الكرم والجود مالا تجده في مناطق
أخرى..
حدثني مرة سعود يقول تعطلت سيارتي مرة وأنا على طريق عام ..
فتوقف رجل أعرابي معه سيارة وانيت داتسن ذات باب واحد..
.. دون أن أشير له.. ومعه زوجته في داخل السيارة..
فعرف أنه لا يمكن إصلاح السيارة في الحال..
ولا بد من إحضار مهندس ..
أمر ذلك الرجل زوجته بالركوب في صندوق السيارة..
قال سعود: أبدا أنا سأركب في الصندوق.. ودع الأهل في مكانهم..!!

قال الرجل: هـي طـالق إن لـم تركـب أنـت فـي الأمـام وهـي فـي الخلف..!!
ولقد رأيت من كرمهـم وجـودهم وافتخـارهم بـذلك مـا يعـز نظيـره والله..
إن ميزة الكرم لدى الناس هناك أنه جود غير متكلف ..
فهذه سـليقتهم وهـذه طبـاعهم توارثوهـا مـن أجـدادهم ومـا زالـت راسخة لديهم..

الحلقة العاشرة.

مرت الأيام التالية علي سريعا ..
وحرصـت أن اسـتمتع بـالجلوس فيهـا بـالقرب مـن سـعود..وأولاده وإخوته..
ذهبنا سويا أنا وسعود للمكتبة واشترى لي مجموعة من الكتب..
لقد أراد سعود أن يعدني إعدادا شاملا للدراسة عند هذا الحبر..
لقد كان سعود أشبه بوالد يزف ولده ...
ولم أكن اعلم أنا أو سعود ما يخبئه القدر لي..
قبل يوم السفر قدم قريب لسعود وكان قريب عهد بعرس ..
تلفظ معي هذا الرجل بكلام فهمت منه أنني غير مرحب بي..
قال لي: أنت لست من شمر وأريدك أن تخـرج هويتـك مـن جيبـك لتثبت عكس ذلك..
كان متكئا على وسادة ومقابلا لي ..ويشير بيده بكل تيه وغرور..
قام أخو سعود إليه فأراد أن يلطمه على وجهـه فـدفعته وقلـت لـه دعه ليقل ما يقل..
لم يكن من اللائق بي أن أحرج الأخ سعود في بيته فسكت ..
لكن أخا سعود استدعاني للمختصر وقال لي..
دعك من هذا السفيه وأنا أعرف كل شيء عنك وأنت أكـرم عنـدي منه..
خفف ذلك علي كثيرا ففكرة الانتساب تلك مع خطئها الشرعي لـم تكن فكرتي و هي
شيء مخالف لأعراف الناس وتقاليدهم وفيها ما فيها!!!
في اليوم التالي سافرنا صباحا للقصيم..
ودعت إخوة سعود ثم انطلقنا لرحلة الطلب ..
لم يكن إخوة سعود على استقامة تامة بالدين مع محافظتهما علـى

الصلاة في المسجد
إلا أنهما رجلان شهمان طيبان وفيهما من الخلال الحميدة ما يفــوق كثيرا ممن
رايتهم من المحافظين على الشعائر الظاهرة..
لقد أتصل علي سعود بعد أربع سنوات من ذلك اللقاء الأخير..
واخبرني بخبر اليم عن أخويه
فلقد حدث لهما حادث بالسيارة على الطريق العام في أحـد طـرق الشمال السيئة ..
فتوفيا على الفور رحمهما الله رحمة واسعة..
وخلف على سعود فيهما خيرا في ذريته وأولاده..
مر علي منذ أن خرجت من بيتنا مـن الطـائف حـوالي ثلاثـة شـهور تقريبا..
وهاأنذا أنتقل لمنطقة جديدة والله أعلم مالذي ينتظرني..
كنا وسـعود فـي تلـك السـفرة صـامتين .. فليـس فـي مخيلـتي أي كلمات أو حوار دار بيننا..
سعود هذا رجل .. ويكفي أن اسميه رجل..
إن من الناس من هو كمعدن الحديد ومنهم من هو كالفضـة ومنهـم من هو كالذهب..
سعود في نظري معدنه أثمن من الذهب والله ..
أنا لا احكم على الرجل من خلال موقفه هذا معي هذا اتركه للقراء الكرام..
وصدقوني يا معاشر القراء الكرام إن سعود لا يعلم عما أكتبـه عنـه الآن..شيئا والله..
ولو علم لغضب من ذلك وكرهه..
فهو يرى عمله ذاك شيئا يتقرب به لربـه ولا يريـد أن يخـالطه مـدح الناس..
إن سعود لا ينتظر من عمله ذاك أن أكتب عنه أو أن أمجده فهو لم يكن يعلم
ولا أنا كنت أعلم أين تسير بنا الأمور وما هي خاتمتها..
إننـي أكتـب هـذا الكلام وهـذه المواقـف لأسـجل لأبنـائي مـا حـل بوالدهم..
لأروي لهم عمن رويت ومن خالطت ليعرفوا قدر الرجـال وليعرفـوا الدب مع الناس
إنني يا أبنائي وأنتم الآن أطفال صغار وستكبرون إن شاء الله..

اقتطع لكـم مـن جسـدي قطعـا صـغيرة مليئـة بالمآسـي والأحـزان والأتراح والعذاب والآهات
فأنسجها لكم بهذه العبارات لكي تستمتعوا بها..
وتكون أنيسا لكم في دهاليز وظلمات ومضائق الحياة..
وأسجل للقراء الكرام ما حدث معي حتى يكون للنـاس فيهـا عـبرة لمن أراد ذلك..
إنني أطلب من إخوتي القراء الكرام أن يشاركوني هذا الدعاء..
اللهم جازي سعود عني خير الجزاء
اللهم بارك له في ولده وذريته اللهم واغنه من فضلك واجعلـه مـن عبادك الصالحين واختم
لـه بخاتمـة صـالحة يـا ارحـم الراحميـن .. اللهـم اجعلـه مـن أهـل فردوسك الأعلى ووالديه
وإخوانه وذريته يارب العالمين..
وصلت أنا وسعود إلى عنيزة ..
تلك المدينة الصغيرة الجميلة الهادئة..
مدينة العلم والعلماء..
دفن فيها من العلماء والصالحين على قرون مالله بهم عليم..
سماها أمين الريحاني باريس نجد..
شوارعها جميلة ونظيفة وأهلها كمجمـل أهـل القصـيم فيهـم العلـم والدين والأدب الرفيع..
دخلت عنيزة وأنا فقير مشرد احمـل معـي حقيبـة ملابـس وكرتـون كتب..
وكنت احمل قبل هذا في جعبتي تجارب قاسية وخبرة بسـيطة فـي الحياة وسذاجة وقلة حيلة ..
دخلـت عنيـزة وأنـا حـائر و رأسـي متلبـد بغيـوم الشـك والارتيـاب والضياع ..
لم أكن أعلم وأنا أدخل عنيزة هل سأمكث فيها يومـا أو أسـبوعا أو شهرا.. فما يدريني
فأنا منذ شهور أتنقل في البلاد من مدينة لأخرى ..
ومن يد ليد أخرى ولكن رعاية الكريـم ورحمتـه سـبحانه هـي الـتي ترعاني
دخلت وأنا ابلغ السادسة عشر عاما فقط..
وبقيت في عنيزة أكثر من اثنتي عشرة عاما..
حافلة بالتجارب والمواقف الرائعة مـع إمـام الـدنيا وفقيهها شـيخنا

العلامة
محمد بن صالح العثيمين عليه سحائب الرحمة والغفران..

الحلقة الحادية عشره

أكتب هذه المقالة وأنا مطرق وصامت..
أضع يدي على رأسي .. لكي أنظم ذاكرتي..
تمر أمام عيني الآن مئات المواقف .. والخواطر..
أشبه بحاسوب أدخلت إليه آلاف البيانات في وقت واحد..!!
إنني بهذه المقالة يا إخوتي وأخواتي أندب نفسي ..!!
إنني بها أنكأ جرحا غائرا..
قد خيطته بغرز منسوجة من الحديد ..
أحكي لكم عن أبي عبد الله !!
لكي تستمتعوا وتستأنسوا بعطره الجميل..
وبذكريات لا يعرف تفاصيلها من البشر سواي...
أما أنا فإنني أشق جروحا عميقة من جسدي وروحي
لأقول لكم خذوا هذه الذكرى الجميلة الموجودة في أعماقي، دونكم الدليل والبرهان..!!
عندما وصلنا لعنيزة أنا وسعود كان الوقت ضحى..
اذكر تلك اللحظات جيدا وما زالت في مخيلتي..
أوقفنا سيارتنا أمام الجامع الكبير في عنيزة..
عليه لوحة صغيرة خضراء..
مكتوب عليها جامع الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي رحمه الله
رفعت رأسي لأنظر لتلك المنارة الشاهقة والتي بنيت بجوارها منارتان حديثتان..
كأنهما فتاتان ذواتا قوام جميل ودلال وبهاء.. تنظران بشفقة وتشف
لتلك المنارة القديمة البناء المبنية بالطين واللبن..
تغنى أحد أدباء عنيزة بها قائلا..على لسان تلك المنارة..
وهي تخاطب الناس عن الشيخ ابن عثيمين قالت: أنا المئذنة وهو المنارة..!!!
نعم والله هي المئذنة وهو المنارة ..
هذه المئذنة بناها بناء محترف قبل عشرات السنين وكلف بناؤها عشرون ريالا..!!

ولكن أمير عنيزة زاد البناء عشـرة ريـالات مكافـأة لـه علـى إتقـان صنعته!!
وهـي حـتى هـذه السـاعة مـازالت شـامخة تفخـر وتشـرف علـى ضرتيها!!
وتغني وتقول .. أنا المئذنة وهو المنارة...
اقتربت من بـاب المسـجد فشـاهدت لوحـة صـغيرة مكتـوب عليهـا تسجيلات إسلامية..
دخلت للتسـجيلات فرأيـت رجلا ملتـح ابيـض وسـيم الطلعـة قصـير وممتلئ
على وجهه لحية قد اختلط سوادها ببياضها..
سلمت عليه .. فرد علي بصوت فيه بحة !!
قلت له أين أجد الشيخ محمد ؟؟
قال الشيخ الآن فـي الجـامع وعنـده درس حـتى السـاعة العاشـرة والنصف..
قلت : وبعد ذلك ..
قال : يذهب ماشيا لبيته.. هل أنت طالب جديد أم تريد الفتوى؟؟
قلت : لا، أنا أريد الالتحاق بحلقة الشيخ..
رحب بي .. وقال أهلا بك في عنيزة ...
ثم عرفني باسمه ، وقال أنا أخوك عبد الرحمن الخليفي ..
قلت له وهل أنت قريب الشيخ الخليفي إمام الحرم..؟
قال هو أحد أقاربنا..
قلت : أريد التحق بسكن الطلاب من أقابل؟؟
قال: قابل الشيخ مباشرة وتحدث معه فهو صاحب الحل والربط!!!
منذ ذلك التاريخ أصبحت لي مع أبي صالح علاقة طيبة.. بـارك اللـه فيه
خرجت من عنده فسمعت صارخا يصرخ على الميكرفون ..
بسم الله ونصلي على رسول الله...
عشرة ،عشرة، عشرة !!
ظننتها محاضرة !!!
ولكن حينما أنصت له عرفت أنـه صـوت البـائع فـي سـوق الخضـار المقابل للمسجد...!!!
قلت لسعود ماذا ترى؟؟
قال : دعنا لنذهب نفطر وتصلي مع الشيخ صلاة الظهر.. وتقابله..
توجهنا لأطراف عنيزة في المزارع المحيطة بها..

حيث تنتشر البساتين الخضراء والمزروعة بالنخيل على مد البصر..
جلسنا تحت ظلال شجرة واخرج سعود عدة الطبخ ..
وصنعنا الشاي.. والإفطار..
كانت آخر جلسة لي مع سعود في مثل هذه الحال..
قلت لسعود : أنت لديك سفر طويـل ، فهيـا قـم وأوصـلني للجـامع وسوف أتدبر أمري..
وفعلا توجهنا للجامع .. وأوقفني أمامه .. ودخلت أنا وسعود لصرحة المسجد ..
حينما فتحنا الباب وجدنا الجامع خال من الطلاب ..والشيخ قد طلـع من الدرس!!
وضعت متاعي في زاوية المسجد قريبا من رفوف النعال..
ثم خرجت مع سعود..
أردت أن يكون وداعا سريعا!! حتى لا ينفطـر فـؤادي واللـه.. حزنـا وكمدا..
قبلته بين عينيه ودعوت له وانصرفت وأنا تخنقني العبرة..
دخلت للمسجد فتنهدت وصليت على رسول الله..
تجولت بنظري في الجامع ..
لمن لا يعرف الجامع يظن ذلك الجزء هو كل الجامع..
استصغرته في البدايـة .. ولكـن بعـد حيـن عرفـت أن ذلـك تقسـيم متعمد
وهو تقسيم معهود في المنطقة كلها..
في وسط المسـجد يقـع محـراب خشـبي مقـوس ارتفـاعه حـوالي نصف ذراع ..
وبجوارة علبة خشبية صغيرة لوضع النعال!!
وفرشت سجادة من الفرش الرخيص ..
قد بليت مواضع السجود منها وموضع الركبتين!!
وألقيت بجواره مهفة ليروح بها الإمام عن نفسه من الحر..
وقعت عيني على مقعد علـى يسـار الـداخل للجـامع ارتفـاعه ذراع ويتسع لجالس واحد فقط
ولا قوائم له، يتكئ من يجلس عليه على جدار المسجد..
وأمام المقعد اسطوانة حدية مدهون مثبت بالأرض بمسامير قوية عرضت عليه خشية طولها نصف متر تقريبا فيها فتحات صغيرة..
لوضع الميكرفونات عليها..
وأمام ذلـك المقعـد قـد ألصـقت بـالأرض علامـات منحنيـة كقـوس

لترتيب صفوف الطلاب..
حول شيخهم...
عرفت أن ذلك هو موقع الدروس..
صليت تحية المسجد واتكأت على الجدار ووضعت خدي علـى كـف يدي
أفكر في حالي....
فتح الباب بشدة ودلف منه شخص كبير في السن!! ..
وعليه مرآة عريضة وبشت ثقيل !!
حينما رآني نظر لي نظرة حادة .. فصرفت وجهـي عنـه خوفـا مـن نظراته..
فلم يعرني كثير انتباه!!
كأنه يقول واحدة بواحدة..!!
وضع نعله خلف موقع الإمام ثم خرج من المسجد!!

الحلقة الثانية عشر..

كان ذلك الشيخ الذي دخل للمسجد وخرج هـو العـم عبـد اللـه بـن عمر العمري..
وهو احد أقران الشيخ ابن عـثيمين فـي الدراسـة علـى شـيخه ابـن سعدي رحمه الله..
بعد برهة وجيزة دخل ذلك الشيخ مرة أخرى ..
وتسنن ثم نشر مصحفه وانكب عليه..
بقيت وحيدا أرقب باب المسجد وارقب حقيبتي وكرتوني..
خرجـت قليلا مـن بـاب المسـجد ، و قفـت علـى الـدرج الخـارجي العريض ..
حيث يقابل الخارج من المسجد دكانان أحدهما مكتوب عليه مركـز إحياء التراث ..
وعلـى اليسـار لوحـة مكتـوب عليهـا مؤسسـة الاسـتقامة.. وكـانت مغلقة!!
دخلت لإحياء التراث ، وهي عبارة عن مكتب خدمات تصوير ..
مليء بمذكرات دروس الشيخ ابن عثيمين ، وغيره من العلماء..
استأذنت البائع بالتصفح فأذن لي..
وسألته : هل هذه من تأليف الشيخ ..؟؟
قال : كلا ، هذه مذكرات مفرغة من دروس الشيخ ...

خرجت من عنده ثم توجهت للوضوء والاستعداد للصلاة..
بعد دقائق ... دخل شاب نحيل بهي الطلعة..
وتقدم لدولاب طويل أبيض خلف المحراب ملصق بالجدار..
ففتحه ثم أضاء الميكرفون فأذن.. بصـوت عـذب ونـدي أعجـز عـن وصفه..
لم اسمع في حياتي أذانا جميلا مثل أذان ذلك الشاب ..
لا أدري هل ذلك بسبب حبي للجامع وأهله أم أن ذلك حق يـوافقني عليه آخرون..؟؟
لكـن هـذا رأيـي الشخصـي عـن ذلـك الصـوت ولا شـك أن الأذواق تختلف في الحكم ..!!
فلا تلوموني إخوتي !!!
اسم ذلك الشاب عبد الرحمن الريس بارك الله فيه..فهو جاري في الصف لسنوات !!
بعدها تتابع الناس في الدخول للمسجد ولكن بوتيرة بطيئة!!
خلاف ما رأيته في المساجد الأخرى.. !!
وغالب من جاء للمسجد هم من الشباب المستقيم الملتزم ...
تأخر الإمام فسألت من بجواري : هل الشيخ موجود ؟؟
قال : نعم ولكنه يتأخر..
وبعد مرور حوالي خمس وأربعين دقيقة من الأذان دخل الشيخ...
هو كما عهدته لم يتغير من شكله شيء ..
غير أنني هذه المرة أنا من قدم إليه..
تقدم من الباب ثم خلع نعله وحملها بيده ثم سلم على الجماعة ..
وقف المؤذن وفي يده ميكرفـون ذو حبـل طويـل ممـا يعلـق علـى الصدر..!!
أقام الصلاة .. وكان الشيخ يستن بالسواك بيده اليسرى!!
التفت للمؤذن ثم تناول منه الميكرفون فعلقه الشـيخ علـى صـدره بلمسة إحترافية..!!
ثم التفت للناس وأمر الجميع بالاستواء والتراص..
نظرات الشيخ ثاقبة وحاجباه كثيفان مليئان بالشعر الأبيض..
يثيران في النفس الرهبـة والمهابـة.. كـأن نظرتـه تخـترق جسـدك اختراقا..!!
قدم وأخر في الصفوف كأنه قائد جيش !!
حينما اطمـأن مـن تـراص الصـفوف واسـتكمال الأول فـالأول كـبر الشيخ..

أطال الشيخ في الركعة الأولى إطالة لم أعهدها...!!
وفي ركوعه وسجوده وسائر الأركان يطيل الشيخ تطويلا بينا..
فمع كبر سنه إلا أن نشاطه وتماسكه يساعدانه على تحمل تلك الصلاة !!
ثم إن أغلب من يصلي معه من الشباب النشيط..
سوى العم عبد الله العمري سالف الذكر..
ورجلا آخر له شأن وأي شان...
رجل مسن رقيق الجسم لا تكاد أن ترى في جسمه مزعة لحم..
منحني الظهر ثيابه رثة وهيئته كهيئة مخبول أو معتوه !!
ولكنه يحمل في صدره علما كالجبال ..
إنه الشيخ الزاهد عبد الله الفالح..
حينما رأيته ظننته شحاتا ..
ولكن سمعت عنه وجالسته بعد ذلك فوجدت الرجل واسع الإطلاع راسخ العلم ..
غير انه زاهد في الدنيا ومتعها حتى إنه لم يتزوج قط..!!
ولعل أن تأتي مناسبة للحديث عن هذا الحبر بشكل أوسع ..
ختم الشيخ صلاته بالسلام ..
ثم استغفر بصوت جهوري .. وضج المسجد خلفه بالتسبيح والتهليل..
ثم استدار الشيخ بفتوة ونشاط كما يستدير الفارس على صهوة فرسه..!!
واستمر في تسبيحه وتهليله..
تخطيت الصفوف وجلست بجوار الشيخ فألقيت بين يديه توصية صاحبي..
فأشار لي الشيخ بيده اليسرى وهزها بعنف أن انتظر ..
فخجلت وشعرت بحرارة تملئ وجهي حياء من ذلك الموقف..
حينما استكمل الشيخ تسبيحه قال ماذا تريد..؟؟
فقدمت له الورقة..
فقال : ماذا فيها؟؟
قلت: توصية من فلان..
قال أعرفه وماذا تريد ؟؟
قلت أريد أن ألتحق بحلقتك للدراسة لديك...
قرأ الورقة بسرعة ثم أعادها وقال..: هذا لا يكفي لا بد من توصيتين .. ابحث عن شخص آخر أعرفه ليوصي بك..!!!

ثم فز من مجلسه وتناول نعله وقام..!!!
بقيت برهة أنظر حولي واحترت..؟؟؟
هل انتهى كل شيء ؟؟
لم اطل التفكير بل عزمت أن ألحق بالشيخ لأكلمه مرة أخرى..!!
خرجت فلحقته فرأيت حشدا من الناس تسير مع الشيخ..
منهم السائل والمستفتي ومنهم صاحب الحاجة ..
كنت أراقب المشهد وأنا بحذو الشيخ ..
يسير الشيخ من المسجد حتى بيته في كل الصلوات..
صيفا وشتاء .. دونما كلل ..
ولقد رأيت فتية نشـطاء أقويـاء يعجـزون عـن لحـاق الشـيخ حينمـا يسرع الخطى!!
بعد تجاوز نصف المسافة .. ورجوع أكثر الناس..
نظر إلي وقال : ايش عندك؟
قلت له : ياشيخ لقد جئتك من مكـان بعيـد ولا يعرفنـي أحـد سـوى فلان الذي أوصى بي..
فماذا أفعل ؟ لا سكن عندي ولا أعرف أحدا هنا في عنيزة؟؟؟
قال : هل أنت شمري من حائل؟؟
أسقط في يدي فالورقة فيها فلان الشمري؟؟
فلو قلت غير ما هو مكتوب فهذا نهاية المطاف ؟؟
وإن كذبت فلا حول ولا قوة إلا بالله !!
تماسكت وقلت: نعم أنا شمري؟؟
قال هل يعرفك عبد الله العبيلان رئيس مكتب الدعوة في حائل؟
قلت : لا والله..
قال هل يعرفك فلان رئيس المحكمة؟؟
قلت : لا والله ياشيخ!!
قال : ماذا افعل لك تصرف!!
قلت : هل ممكن أن أنزل في السـكن مـع الطلاب حـتى أجـد مـن يزكيني؟؟
أدار الشيخ وجهه نحوي..
أخذني الشيخ طولا وعرضا بنظره وتأملني ثم قال : لا بـأس أذهـب لمحمد البجادي !!
وقله أرسلني لك محمد للسكن مؤقتا !!
قبلت رأسه ورجعت لمتاعي..
حملته ثم التففت من خلف السكن المقابل للمسجد..

وشاهدت جموعا من الطلبة تصعد وتنزل من باب السكن..
فرأيت لوحة مكتوب عليها : مكتبة عنيزة الوطنية ..
أسسها الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي..
وها أنذا أدخل السكن الذي لن أخرج منه سوى بعد سنوات..

الحلقة الثالثة عشر

دخلت لسكن الطلاب وهي عمارة ذات أربع طوابق..
تبرع بها الملك خالد رحمه اللـه وأوقفهـا لطلبـة العلـم فـي الجـامع الكبير..
صعدت للطابق الثاني فوجدت الطلبة مجتمعين على الغداء..
وعن يمين الصالة علقت لوحة مكتوب عليها (المكتبة)
سألت عن محمد بن بجاد.. فقال محدثي : أنا هو..!!
وكان واقفا بجوار براد الماء على مدخل صالة الطعام..
قلت له لقد بعثني الشيخ محمد إليك لكي توفر لي سكنا مؤقتا ..
قال : لماذا مؤقت؟؟
قلت : لم استكمل التوصيات ..
قال : ما اسمك؟؟
هل سأقول لهم اسما غير الذي أنادى به من شهر؟؟؟
أنا فلان الشمري؟؟
قال: ولكن لهجتك؟؟
قلت له: أنا عايش طوال حياتي في الطائف؟؟؟
انتهيت من تحقيق الأخ محمد الظريف ثم قـال تفضـل اسـترح فـي المطبخ!!!
دخلت لصالة الطعام .. وهي صالة مفروشة بزل قديم ..
كانت أشكال الطلبة مختلفة ومتباينة !!
فتسمع اللهجة الحجازية وكـذلك لهجـة نجـد طبعـا..وتـرى الأفغـاني والأفريقي..
جاؤا من أصقاع الأرض ليثنوا ركبهم عند ذلك الحبر ..
يجلس الطلبة حلقا على سفر الطعام..
كانت رائحة الأكـل تـثير الشـهية فـانتظرت الأخ محمـد ليـدعوني أو غيره من الطلاب ..!
فلقد كنت خجلا فأنا غريب بينهم ولا اعرف أحدا منهم..
غربة ما بعدها غربة والله المستعان!!

تكـرم احـد الطلبـة بعـد أن لمحنـي أتلمـض دجاجـة مشـوية لا احـد حولها..
قال : تفضل كل معنا يا أخي ؟؟
كدت أن أتمنع!!
ولكن الجوع أبصر ..!!
فانقضضت على طريدتي.. ولم يزاحمني عليها احد.. فظن شرا ولا تسأل عن الخبر!!
حينما شبعت وغسلت يدي ..
وخلت الصـالة بعـد أن ذهـب جلهـم لغرفهـم وبعضـهم يقيـم خـارج السكن!!
بجـوار المطبـخ ثلاجـة ذات بـابين فيهـا مالـذ مـن شـراب وعصـير وحلويات!! توجد
ولكن بجوارها يجلس رجل أفغاني كأضخم رجل تراه!!
وله لحية كثة وسمعت الطلبة يسمونه علاء الدين...
قلت له : ياعلاء الدين ؟؟ هل ممكن اشتري من هذه الثلاجة؟؟
ظننته سيقول هذا بالمجان تفضل خذ ما تريد!!
قال : ايش تشرب ؟
فطلبت البارد .. فقال : بس واحد ريال!!
دفعته طبعا ومن ذا يجرؤ يزعل مثل هذا المخلوق الضخم!!
لكن هذه الضخامة والسعة في الجسم تخفي في داخلها قلبا كـبيرا ..
إن علاء الدين هذا رجل لا كالرجال !!
ولا اعرف أحدا في سكن الطلاب قد اشتكى منه طوال إقامتي في السكن..
ويكفي ثقة شيخنا محمد به ..
دعونا من علاء الدين الآن .. ولنكمل قصتنا..!!
توسدت حقيبتي فنمت ...
استيقظت على أذان عبد الرحمن وما أجمله من نداء..
لم يكن في الحقيبة شيء يخاف عليه فتركتها غير عـابئ بمـا يصـير لها!!
صلى بنا شيخنا صلاة العصر ثم قـرأ عليـه قـارئ مـن كتـاب ريـاض الصالحين (أظن)
فعلق عليه الشيخ تعليقا مبسطا ميسرا..
والملاحظ كثرة المصلين في صلاة العصر عن صلاة الظهر ..

حينمـا كـان الشـيخ يتحـدث تـذكرت رجلا يعمـل فـي هيئـة الأمـر بالمعروف في حائل
وهـو مـن أقربـاء سـعود وذكـر لـي أنـه مـن تلاميـذ الشـيخ محمـد القدامى..
اسـمه عبـاس المعاشـي(أو الشـمري الشـك منـي).. بعـد انتهـاء الدرس تحلق حول الشيخ حشد مـن النـاس منهـم السـائل ومنهـم المستفتي وصاحب الحاجة ولقد رايت ما يعـانيه الشـيخ مـن صـلف الناس وجفاءهم فرحمه الله وعفا عنه
لحقت الشيخ وسألته...
هل تقبل توصية عباس الشمري....؟؟
قال : أنعم به وأكرم ...
كنت احتفظ برقم عباس ..
فتوجهت لكابينة الهاتف واتصلت عليه..
رد علي عباس بصوت غير الذي عهدته؟؟
كلمته في الموضوع..!!
قال : أنا مريض ولكن سوف اتصل على الشيخ وابلغه بمـا تريـد إن شاء الله..
رجعت للسكن وبحثت عن محمد بن بجاد..
فطلبت منه غرفة بسرير مريح لكي أضع متاعي فيها!!
ضحك وقال : تعال اريك غرفتك!!
صعدنا للدور الثالث .. ففتح لي الباب ..
فرأيت غرفتي المريحة!!
غرفـة صـغيرة ملقـى فيهـا طراحـة مهترئـة ولحـاف بـالي ووسـادة مهترة!!
قد فرشت ببساط أقرب حاله أن أسميه أنه هالك!!!
ركز بجدرانها رفـوف فارغـة لوضـع الكتـب .. فكـانت أشـبه بعجـوز فاغرة ولا أسنان لها..
قال تفضل هذه غرفتك..!!
وقال : أنا لست مشرف السكن!!
إن أردت شيء فكلم الأخ محمد زين العابدين !!
قلت له: وأين أجد محمد زين العابدين هذا؟؟
قال هو مسافر وسيأتي اليوم من شرورة ..و هـو ينـزل فـي غرفـة في الدور الثاني ..
مع شخص اسمه نافع الشمري!!

حينما سمعت كلمة (شمري) جمد الدم في عروقي !!
فهاأنذا أجاور شمريا حقيقيا !!
ثم انصرف .. وتركني في الغرفة..
وأظنه قال في نفسه : يالهذا الأحمق هل يظن نفسه سينزل في غرفة خمس نجوم!!
جلست على طراحتي البالية ..
أنظر لجدران الغرفة المتسخة !!
سبحان الله .. كيف يرضى الشيخ محمد بهذا الحال؟؟
ولم أكن اعلم إلا بعد حين أن غرفتي تلك هي غرفة الضيافة!!
ولكن بعد فترة والشهادة لله فقد تحسنت الأوضاع بشكل ملفت..
وجدد السكن تجديدا يليق بمقام شيخنا رحمه الله رحمة واسعة..
وقفت على نافذة الغرفة حيث تشرف نافذتي على الشارع العام..
أراقب الرائح والجاي كما يقولون!!
لمحت نسوة كثرا متلفعات بالسواد .. وجالسات على الرصيف ..
وبعد لحظات جاء الباص فحملهن ومكتوب عليه (مستشفى الملك سعود)
إذا ،هن ممرضات!! ومتسترات بهذا الستر؟؟ .. بل وسمعت ان كثيرا منهن غير مسلمات!!
فالسفور كما سبق نادر أو معدوم ...
تركت الممرضات اللاتي يذكرنني بالمرض والهم فنزلت للمسجد..
سألت عن الدرس في تلك الليلة ..
فقالوا لي :الدرس الليلة في كتاب زاد المستنقع ..
سألت أحد الطلاب عن مكتبة قريبة..
فأشار لمكتبة مجاورة لجنوب المسجد مكتوب عليها مكتبة الإمام الذهبي..
دخلت للمكتبة وطلبت من البائع أن يعطيني متن الزاد..
فاشتريته ثم توجهت للمسجد..
رأيت مجموعة من الكتب موضوعة للحجز أمام الشيخ ..
ولم تكن تلك العادة غريبة علي فقد كنت افعلها في دروس مشائخنا في الطائف..
تقدمت وبكل جرأة وصفاقة !!
فالتفت حولي هل يراني من احد !!
فأزحت كتابين عن بعضهما وفرقت بينهما في المجالس ووضعت كتابي بينهما..!!

ولقد اخترت الصف الأول بل وأمام الشيخ مباشرة!!
لقد كانت تلك الجرأة والصفاقة سببا هيئه الله تعالى لي لكي يفتـح قلب شيخنا الكبير
لشخص مغمور ضائع مثلي...

الحلقة الرابعة عشر

توافد الطلبة على الجامع زرافات ووحدانا وذلك قبل الأذان..
وحينما أذن المغرب ازدادت وتيرة الحضور حتى غص بهم الجامع..
ولقد تأخر الشيخ كعادته للحضور حتى إنك إن خرجت خارج الجامع سترى في الأسواق المحيطة بالجامع جلبة بعد خروجهم مـن صـلاة المغرب من المساجد الأخرى!!
وأخيرا دخل شيخنا بهي الطلعة رحمة الله عليه..
صلى بنا المغرب وكنت أول مرة أسمع تلاوة الشيخ ..
تلاوته شبيهة بقراءة الشيخ السبيل إمام الحرم لمن يعرفه !!
إلا أن شيخنا يسرع قليلا في القراءة...
وفي قراءته نبرة حزن .....
صليت بجوار المؤذن عن يساره منذ ذلك اليوم..
وحينما سلم الشيخ انتظرت قليلا ثم تخطيت الصفوف والأرتال..
وللمسجد ضجة هائلة بالتسبيح والتكبير .. كما هي السنة..
توجهت لمكاني الذي حجزته ورفعت كتابي وجلست ..
قدم مجموعة من الطلاب ، وجلسوا حولي وقال أحدهم لي..
هذا مكان فلان .. قم وابحث لك عن مكان آخر!!
قلت له : وهل المكان ملك أبيه !!
هذا بيت الله والمكان لمن سبق!!
أعتدت على ذلك النقاش من قبل في الطائف!!
ابتسم محدثي وأطرق يقرأ في كتابه!!
كنت غرا ولا أدرك عواقب أفعالي..
استكملت الصفوف وبقي مكاني الذي أنا فيه فرجة صغيرة !!
كان كل من حولي يرقبني بنظرة إشفاق كأن عيونهم تقول لي: انتظر قليلا وسترى!!!
جاء شاب آدم اللون مستوي البنية ولحيته خفيفة!!
وقد خـرج مـن غرفـة بجـوار مكـان الـدرس ويظهـر أنـه مـن كبـار الطلبة!!

ويحمل حقيبة صغيرة وضعها علـى مقعـد الشـيخ ثـم اسـتدار وجـاء نحوي..!!
اقترب مني .. وقال:
هذا مكاني !!
قلت له : أهلا بك وزحزحت الذي بجواري حتى حشرته !!!
وقلت له: تفضل!!
فجلس الرجل وهو غير راض!!
تأخر الشيخ حتى يتسنن الراتبه .. ثم تخطى الصفوف ودخـل حـتى صار أمامنا..
وعلا فوق منصة الدرس المصنوعة من القطيفة المحشوة بـالقطن أو ألأسفنج الخشن، لا أدري!!
ثم جلس وألقى عباءته خلفه ..
واتكئ على الجدار ..
نظر إلي فرأى وجها جديدا لم يعهده!!
فنظر لمن بجواري وأرخى رموش عينيه ليركز النظر ..
وهو يقلب في أوراق منشورة في حجره كأنه يتساءل من هذا؟؟
ثم قال الشيخ: أليس المكان ضيق عليكم؟؟
أما أنا فلم أنطق حرفـا واحـدا ولـم أتحـرك كـأنني لا أسـمع وخيـرا فعلت!!
وأما جاري فاستوى في جلسـته وأصـلح مـن مكـانه فصـار فسـيحا بقدرة قادر!!
ثم هز رأسه بعلامة تفيد برضاه !!
انتهى الحال على هذا ولكن يظهر أن الشيخ قال في نفسه :
ستدفع ثمن جرأتك ...!! فهذا المكان له ثمن!! وأي ثمن!!
ابتدأ الشيخ بالحمد والصلاة على رسول الله ..
وقال : درسنا في الفصل الماضي .. كذا وكذا ..
ثم بدأ بمراجعة الطلبة عما تلقوه في الدرس السابق...
كان الطلبة حولي يرفعون أيديهم لكي يجيبوا... أيهم يختار..
أما أنا فليس لي في ذلك النقاش ناقة ولا جمل!!
الشيخ محمد سهل وبسيط في كل أموره ..
في أخلاقه في سمته ، في لباسه ، في حديثه ،
أما حينما يتعلق الأمر بالسـؤال والنقـاش .. فليحمـد اللـه كـل مـن سلم من ذلك!!
يقولون إن علم الرجل يظهر من سؤال الناس له ..

حيث يسهل على كل واحد أن يحضر من كتـاب فيفرغـه كـاملا بيـن يدي الناس!!
لكن حينما تتوارد عليه الأسئلة ويحيطه المناقشون الأذكياء..
فحينها يظهر علم العالم من جهله..
وهذا هو منهج الشيخ في السؤال والنقاش ..
يعود الطلبة على قوة الحجة وتحمل الجدال دونما خوف أو تردد..
ولذلك يتعمد حشر الطالب بأسئلة صعبة ويورد عليه الإشكالات ..
فلا يفلت منها إلا الأذكياء والنبهاء..
أما من يرى في نفسـه عـدم الأهليـة أو يعـرف مـن حـاله انشـغال فكره بمصالحه وولده
فخير له أن ينصرف للصفوف البعيدة وليدس رأسه خلـف زاويـة أو عمود!!
استمرت المناقشة والمراجعة وقت لا بأس به ..
ثم ابتدأ الشيخ بالدرس الجديد...
شيخنا رحمه الله فنان في التدريس قل نظيره ..
أسلوبه يسير لا يشـق علـى المبتـديء ولا يحتقـره الطـالب المجـد القديم..
فكل يجـد حـاجته وكـل يخـرج وهـو راض وفـاهم ومسـتوعب لكلام الشيخ..
الشيخ محمد ليس صاحب كم ولكنه إمام في الكيف!!
من الأمثال المشهورة :
علمني صنعة ولا تقرضني مالا!!
شيخنا يعلمك صنعة العلم بحيث يمرس الطالب على كيفية
البحث والمناقشة والاستدلال والتأصـيل ، والجـدال وكيفيـة ترتيـب الدليل والحجة ..
ولذلك يستمر الطالب عند الشيخ سنوات عديـدة ولـم يكمـل كتابـا واحدا عنده..
ولكنـه يخـرج بفهـم ثـاقب وقـدرة هائلـة علـى الطلـب والبحـث والاستمرار في التحصيل..

الحلقة الخامسة عشر

في دروس شيخنا في عنيزة مـن النـادر أن يسـال الشـيخ الطـالب خلال الدرس..

فغالبهم قد جاء له من أماكن بعيده بقصد العلم والتحصيل ..
وفيهم من الطاقـة والحيويـة مـا يجعلهـم حريصـين ومتنبهيـن لكـل فائدة ومسألة.
ولكن الوضع ذلك اليوم مختلف ..!!
سألني الشيخ في ذلك الدرس ثلاث مرات كأنه يختبرني أو سـيقول لي : طس !!
وبحمد الله بلعت الطعم ولم أقع في المصيدة!!
فقـد أجبتـه بمـا فتحـه اللـه علـي ممـا حصـلته عنـد مشـائخنا فـي الطائف..
فكان ذلك فأل خير لي بحمد الله تعالى..
انتهى الدرس الأول بعد الأذان ..
ثم تقدم شاب من الصف الخلفي وجلس بيني وبين جاري الغاضـب مني!!
وعلق الميكرفون على صدره .. ثم أخذ يقرأ من نونية ابن القيم..
بصوت جمع بين العذوبة والرقة ، وجمال الأبيـات الـتي نظمهـا ابـن القيم رحمه الله..
لقد كـانت تلـك المنظومـة مـع أنهـا تحـوي ردودا علميـة رصـينة إلا أنها...
حوت حكما ومواعظ وطرائف لا يتقن نظم قلائدها سوى مثـل ابـن القيم وكفى به !!
لاحظت رجلا أفغانيا ذو عمامة عريضة ويلبـس المـرآة يجلـس عـن يمين الشيخ..
و لاحظت الشيخ يستأنس كثيرا بالحديث معه أو مناقشته ..
وكانت أسئلته وركاكة لسانه الأعجمي تثير ضحك الطلاب ..
كنا نستأنس ونفرح حينما يسأل هداية الله لأن شيخنا يسر بذلك ..
ومع عجمته وصعوبة النطق بالعربية لديه حيث انـه لا يتكلـم سـوى بالفصحى المكسرة..!!
إلا أن الرجل قد أتقن علوم الآلة من نحو وأصول وأصـول تفسـير ، بشكل شبه كامل..
أذكـر فـي درس الفرائـض مـن متـن البرهانيـة المسـألة العنقوديـة والتي لم يستطع حلها سوى
هداية الله !!
وهي مسألة شـائكة ومعقـده لا يقـدر عليهـا سـوى الراسـخين فـي الحساب والفرائض..

كان هداية الله هذا يسجل دروس الشيخ في مسجل صغير..
ثم يرجع لغرفته فيغلق الباب على نفسه ..
فلا ينام حتى ينسخ ذلك الشريط على دفتر خـاص ثـم يـترجمه مـن فوره للغته الأفغانية!!
و هـذا مـا يفعلـه كـل ليلـة طـوال سـت سـنوات جـاورته وخـبرت حاله..!!
انتهى الدرس وتوجهنا للمصلى وكنت وضـعت كتابـا بجـوار المـؤذن لكي أصلي مكانه..
صليت خلف شـيخنا .. وبعـد السـلام ..تحلـق مجموعـة مـن النـاس حول الشيخ ..
كما هي العادة في كل صلاة سوى صلاة الفجر والمغرب..
ثم قام الشيخ وخرج من المسـجد لحقتـه مـع النـاس وذلـك بقصـد الفضول فقط ..
كنت أسير بمحاذاة الشيخ واستمع لأسئلة الطلبة والمستفتين..
ولقد فاجأني الشيخ حينما التفت إلي وقال:
يبدوا أنك تريد العلم والتحصيل !!
كانت غير متوقعة والله ..
ثم قال الشيخ .. هل نزلت في السكن؟
قلت : نعم..
كان الطلبة يراقبون هذا الموقف وقلوب بعضهم تخفق مـن الغيـرة من هذا الحوار
الخاص!! والنموذجي!!
قال : إذا عجل بالتزكية حتى نسمح لك بالبقاء ..!!
قلـت لـه : لقـد اتصـلت علـى عبـاس وهـو مريـض وقـال سيتصـل عليك!!
قال : خيرا إن شاء الله .. ثم عدت أدراجي للسكن..
استبشرت بهذا النجاح الذي لم ارتـب لـه شـيئا بـل توفيـق الخـالق سبحانه وتعالى..
دخلت لغرفتي فوجدت زائرا ينتظرني!!
وجدت شخصا جالسا في غرفتي..
سلمت عليه .. فرد وقال : هل أنت تسكن في هذه الغرفة؟؟
قلت : اليوم نزلت فيها..
قال : إذا سنكون سوية هنا .. أنا أخوك بندر الحربي ..
تعارفنـا .. قليلا ثـم نزلنـا للعشـاء.. وهـذه المـرة لـم أنتظـر أحـدا

يدعوني!!
حقيقة أن تنام في غرفة صغيرة وضيقة مع شخص لا تعرفـه شـيء مزعج..لمن لم يعتد عليه
خصوصا انه لم يستأذنني احد في اختيار زميل السكن..
ولكن لا خيار لي فإما مع بندر أو الشارع!!
ولكن بندرا هذا رجل ظريف وحلو المعشر ..
وبعد حديث طويل معه اكتشفت طيبته ..
ومع انه رجل انعزالي ولا يحب مخالطة الناس ونظراته غيـر محببـة ، لعمقها وحدتها!!!
إلا أنني حينما عاشرته وخالطته تبين انه رجل طيب وفاضل..
استأمنته على بعض أموري وكنت أستشيره فيصدق المشورة!!
كنت أخـرج للتنـزه مـع بنـدر علـى سـيارته الـوانيت فـي الطعـوس المحيطة بعنيزة
وما أكثرها!!
في اليوم التالي .. حضرت درس الصباح ..
والذي يستمر من الساعة الثامنة وحتى العاشرة والنصف..
ويدرس فيه الشيخ خمسة كتب ..
والحضور في تلك الدروس ليس بالكثرة التي كانت بالأمس..
حيث أن هذه الدروس فقط في موسم الصيف والعطل الدراسية..
كانت الدروس صعبة علي لمستواها العالي عني..
ومع ذلك فلم انقطع عنها طوال الفترة المتبقية من الصـيف والـتي لم تطل كثيرا..
بخصوص المكان فقد تمسكت بالمكان الذي جلست فيه بالأمس ..
وذلك لسنوات عديدة بفضل الله تعالى..
وذلك على رغم عدم رضى جاري سامحه الله!!
والذي ستكون لـي معـه مواقـف ستصـطدم كـثيرا مـن قـراء هـذه الحلقات..
ولست اقصد من روايتها الشماتة به أو النيل منه..
فأنا لن اسميه ولا احد من القراء يعرفه أو يعرفني ..
ولا يخلوا ذكر القصة من فائدة وحكم وطرفة !!
ومع أن تلك المواقف حصلت قبل سـنوات عديـدة إلا أنهـا لـن تمـر دون اعتبار وتمحيص..
والموعد عند رب العالمين سبحانه وتعالى هو حسبنا ونعم الوكيل..

الحلقة السادسة عشر

في اليوم التالي حصل تقريبا ما حصـل بـالأمس غيـر أن المفاجـأ ة كانت وعلى غير المتوقع
حينما مشيت مع الشيخ في عودته لبيته بعد الدرس الصباحي ..
ناداني الشيخ وبانزعاج ظاهر وقال لي: لما لم يتصل صاحبك؟؟
قلت له: والله لا أدري ولكـن فـي اتصـالي السـابق عليـه قـال هـو مريض..
فلعله اتصل على تلفونكم فلم يجبه أحد!!
قال الشيخ: هات رقم تلفونه وسوف أتصل عليه أنا!!
لم أكن ساعتها أحمل رقم عباس فقلت له: سأحضره لك بعد صلاة الظهر..
وبعد الصلاة ناولت الشيخ ورقة عليها رقم الشيخ عباس ..
كنت قلقا للغاية .. فالشيخ محمد لمن خالطه رجل حازم ..
ولا أسهل عليه من أن يقول لي ارجع من حيث أتيت!!
وكون الشيخ يطلب رقم عبـاس ليتصـل عليـه مـن طرفـه إن ذلـك الفعل هو نبيل وتواضع
من شيخنا جزاه الله خيرا.. ورحمه وأسكنه جنات النعيم..
بعد صلاة العصر وانتهاء درس العامة ..أشار لي الشيخ وكنت أمامه بجوار المؤذن أن الحق بي!!
لحقته ومشيت بجواره ولكنه لم يكلمني في شيء..!!
انتظر الشيخ حتى انتهى النـاس وقضـى حـوائجهم وبقيـت أنـا وهـو بمفردنا نسير حتى
اقتربنا من البيت وكنت منتظرا دون أن استبق منه شيء!!
ولكن يعلم اللـه سـبحانه وتعـالى أننـي قـد خفـت وظننـت الظنـون فربما أن أخي سعود أخبر
عباس بمشكلتي ..
وبدوره أطلع عباس الشيخ على الحاصل !!
قال الشيخ: خلاص!!
شدهت وظننت أنه خلاص سيخرجني ولكنه استأنف كلامه...
أنا كلمت عباس وهو أثنى عليك خيرا!!
وسكت!!
قلت في نفسي :ما معنى هذا الكلام؟؟؟
ثم أكمل شيخنا وهو يضم يديه ويشير بها للإمام ويزم شفتيه وقــال

:
سنقبلك في السكن!! بشرط أن تجتهد في الطلب..
لو كان بيدي في تلك اللحظة أن اصرخ من الفرح لفعلت!!
أي خبر سعيد هذا !! الحمد لله رب العالمين..
ثم قال الشيخ : وأنت يافلان الشمري!!!
اغتنم هذه الفرصة ، خاصة أنك ما زلت في مقتبل عمرك .. وفقك الله..
انصرفت بعد أن قبلت رأسه ودعوت له..
ما أجمل أن ترى بصيص الأمل بعد اليأس .. ما أجمل الشعور بالاستقرار
وخاصة في كنف ورعاية رجل بوزن الشيخ محمد عليه الرحمة والرضوان..
لم أطمع ولم أحلم بل والله الذي لا إله سواه ولم يخطر في بالي أن أحصل على أي
امتيازات مادية أو معنوية من قبل الشيخ محمد ..
بل كان يكفيني أن أحصل على ما حصل عليه
الآلاف سواي من طلبة العلم الذين يحيطون بشيخنا من كل صوب كل يبحث عن
رضاه بعد رضى الخالق سبحانه وتعالى فهو للجميع بمقام الأب الحاني ..
ومن ذا لا يبحث عن رضى والده..أو والدته..
وكذلك يكفيني ويشرفني أن أتتلمذ على يديه وأحصل على علم قل منه أو كثر..
انخرطت بعون الله سبحانه في طلب العلم والتحصيل فكان هو شغلي وهمي ..
اقتنيت عددا من الكتب ورتبتها على الرفوف في غرفتي الصغيرة..
تعرفت على عدد من الطلاب ولكن لم يكن اهتمامي منصبا على ذلك..
من الطلبة الذين عرفتهم وخالطتهم الأخ نافع الشمري ..
وكذلك الخ خالد الشمري .. ومنهم الأخ محمد زين العابدين!!
هذا الأخير هو مشرف السكن ..
وقد وصل من شرورة لكي يرتب سكنا له ولزوجته التي دخل بها قبل أسابيع!!
وبذلك سينتقل من السكن الحالي والذي هو سكن للعزاب فقط

ليستأجر بيتا له ولعائلته..
الأخ محمد رجل عاقل وفيه حلم وأناة ولذلك كان اختياره للإشراف على السكن هو اختيار موفق..
كان الأخ محمد هو ملاذ الطلاب عند المحن بعد اللـه فهـو الوسـيط بينهم وبين الشيخ ..
ولقد كانت مهابة الشيخ محمد رغم تواضعه تمنـع كـثيرا منهـم عـن مخاطبته مباشرة..
ولكن يكفي أن يوصـل الأخ محمـد شـكاويهم وطلبـاتهم ليبـت فيـه الشيخ ..
طلبت عن طريق الأخ محمد أن يوفروا لي كتبـا ومراجـع فوضـعت قائمة كبيرة بالكتب..
سلمتها لمحمد .. فظهرت على وجهه ابتسامة صفراء ماكرة !!
وهز رأسه وقال: هل تظن الشيخ يوافق لك على هذه الكتب؟؟
قلت له قدمها له وسنرى..
وفعلا قدم محمد القائمـة للشـيخ بعـد ظهـر إحـدى الأيـام فوضـعها الشيخ في جيبه..
بعد يوم أو في ذلك اليوم بعد العصر ناداني محمد وقال : انظر في ورقتك!!
فوقعت عيني على شخاميط بالقلم الأحمر وضعت على كل الكتـب تقريبا وأضيف عليه
للتأكيد علامة X
ووافق على كتابين أو ثلاثة وأرفق معهـا قيمـة الكتـب نقـدا معلقـة بالفاتورة!!
أخذتها وحمـدت اللـه تعـالى واشـتريت الكتـابين فأضـفتها لمكتبـتي الصغيرة..
وعلى كل فقد وفر في السـكن مكتبـة علميـة لا بـأس بهـا وتحـوي مراجع كثيرة للباحثين ومحبي القـراءة .. ومـع ذلـك فالمكتبـة شـبه خالية ..
والسبب في ذلك
أن أغلب الطلاب قد يسر الله لهم مكاتب على حسـب تخصصـاتهم ومشاربهم في غرفهم..
فترى الطالب المهتم بعلم الحـديث والتخريـج أكـثر كتبـه ومراجعـه من ذلك..
وينطبق الحال كذلك على طالب الفقه والتفسير وغيرها ..

أما أنـا فقـد كـانت مكتبـتي صـغيرة ولكنهـا نمـت وترعرعـت حـتى خرجت من سكن الطلاب..
وإنه ليعجز عن حملها الرجال الأشداء أولي القـوة لكثرتهـا وتنوعهـا والحمد لله..!!

الحلقة السابعة عشر

كنت وبحمد الله مجدا في الطلب وقد انشغلت بالي وتفكيري تماما عن أي شيء آخر سوى العلم وطلبه
قد يلومني أحد على عدم اهتمامي بوالدي وأهلي ذلك الحين، وأنا والله أوافقهم هذا اللوم وأستحقه
ولكن ما الحيلة وما المخرج؟؟
لم أكن ذا رأي وهدى إلا أن الله تعالى برحمته لم يترك الأمور هكذا تسير بل بتدبير عجيب منه سبحانه حصلت وقائع هي أصل روايتنا هذه وهي ذروة سنامها ، وسأحكيها في وقتها كما هي ولا بد من التمهيد لها ولو طال ذلك!!
حتى تتضح الصورة وتنكشف الأوراق دون النيل من أحد بعينه فليس هذا مقصدي والله فلموتي ودفني مع سري عاجلا أو آجلا أهون على نفسي من كشف ذلك أو البوح به فالله سبحانه يعلم أنني أردت الفائدة لي ولمن سيقرأ هذه الرواية من أهلي وأصحابي الذين رغبوا في معرفة الحقيقة ، ولا اشك إن شاء الله أن كثيرا ممن وقع في نفوسهم شيء علي حينها حينما يطلعوا على ما سأخطه هنا أنه لو كان لديهم إنصاف(وهو عزيز) فلا بد أن يزيل كثيرا من اللبس والخلط غير المقصود..
كذلك ينبغي العلم أنني حينما أحكي ما يفهم منه الثناء على شخصي لا اقصد والله ذلك بل إنني أروي ما حدث وما مضى عليه حوالي الخمسة عشر سنة خلت ويعلمها كثير من الطلبة ويشهدون عليها ، ولست ادعي أنني أكثر الطلبة أو اقلهم تحصيلا وعلما ولكن هذه هي الحقيقة وهذه الصورة كما وقعت ، لا يأتِّيني أحد غدا يقول لي أنت تمجد شخصك ؟؟
لا والذي بيده علم الساعة ما هذا قصدي بل غايتي من كل ذلك أن أكشف أمرا طالما رغبت في كشفه وفضيلة آن الأوان لبيانها وبالله التوفيق..
لنرجع لروايتنا ...

كما ذكرت توجهت للعلم بكل جوارحي وحصلت خيرا عظيما ، والخير هنا لا يقاس بالكثرة كما قد يتبادر لذهن البعض ، العلم أيها الإخوة والأخوات لمن ذاق طعمه حقيقة هو التأصيل المبني على منهج سديد تحت مظلة عالم راسخ العلم..
شيخنا كما سبق بيانه ربانا على الكيف لا على الكم..
إن كثيرا من علماء وطلبة العلم من زماننا بشكل مباشر أو غير مباشر قد تتلمذوا عليه.
ولو تأملت حال كثير من نجباء زماننا لرأيت من أول قوائم العلماء الذين تتلمذوا عليهم هو الشيخ ابن عثيمين رحمه الله..سواء مباشرة أم عن طريق الشريط والكتاب..
حدثني أحد طلبة العلم في الأردن أن مجموعة من طلبة العلم هناك يستمعون لأشرطة دروس الشيخ على ميكرفون الجامع فيتحلق عليه الطلبة ويغص المسجد منهم كأنهم بين يديه ويستمعون ويدونون ما يقوله الشيخ من علم وافر..!! كل ذلك من شريط!!
كان الشيخ يكلف الطلبة بالبحوث فكنت من المكثرين من ذلك بحمد الله ..
كنت أحيانا أجلس أبحث من بعد صلاة الفجر فلا ارفع رأسي عن الكتاب حتى يؤذن الظهر وأنا لا أشعر..
كان تخريج الحديث الواحد على حسب التأصيل العلمي المعروف يستغرق أحيانا ثلاثين ساعة متواصلة بدون نوم !!
كل ذلك مني قليل مقارنة بفطاحل الطلبة وجهابذته الذين حصلوا خيرا عظيما لدى شيخنا وليس هذا بمستغرب أو مستكثر على تلاميذه صغروا أم كبروا ..
ولو شئت لحدثتكم عن عجائب لا يكاد يصدقها المرء عن مواقف احتفظ فيها عنهم بارك الله فيهم ونفع بهم..
لكن حصل موقف عجيب وغريب سبب تحولا بل عمق العلاقة بيني وبين الشيخ من حيث لا أشعر !!!
طلب منا الشيخ أي من جميع طلبته، أن يقوموا ببحث حول الفوائد أو الحكم من جواز أن يباح لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج أكثر من أربع نساء...
وكان التكليف بذلك البحث في دروس المساء ...ولا ادري هل كان في التفسير أم في درس البخاري نسيت والله!!
رجعت تلك الليلة وكنت حينها في غرفة الأخ نافع الشمري ...

حيث أن مراجعه وكتبه كثيرة...
قرأت في بعض المراجع مباحث حول هذا الموضوع ولكنها لم ترو الغليل!!
قرأت في أبواب النكاح من كتب الفقه والحديث فبالكاد استطعت استخراج فوائد محدودة العدد....دونتها في دفتر عندي ثم خرجت للبلاكون المقابل لمنارة المسجد في الجهة الجنوبية من سكن الطلاب وأضأت النور ثم جلست أتفكر في المسألة .. وكلما طرأت لي حكمة أو فائدة سارعت بتدوينها ورصدها ثم قمت بإضافتها للمبحث..
مر علي الأخ نافع ومحمد زين العابدين وطلبا مني النوم..
قلت سأفعل و سوف أصعد لغرفتي للنوم بعد أن أنهي كتابة بحثي..
وما زلت أدون واكتب وأتفكر حتى أذن علي الصبح ولم أنم دقيقة واحدة بل لم اشعر بالرغبة في النوم أصلا.. ولقد جمعت في تلك الليلة ما مجموعه أربعون فائدة!!
حملت ذلك الدفتر ونزلت به لصلاة الفجر ..وبعد الصلاة لحقت الشيخ وسلمته ذلك البحث..ولم أذكر له مراجعي أو ما عانيته من كتابة هذا البحث.. أو أي شيء فقط سلمته ورجعت لغرفتي فاستسلمت لنوم عميق ولم احضر درس الصباح!!
لم أكن أقدر ما هي نتائج هذا العمل .. بل كل ما كنت أتوقعه أن يحصل المبحث على تقدير معنوي وتوجيه ونقد لما فيه مما سيصقل موهبة البحث عندي وهذا يكفيني فخرا..
ذهبت لصلاة الظهر كما هي العادة وبعد الصلاة رافقت الشيخ وصحبته لأستفيد أي فائدة خلال مسيره..
ولكن حدث مرة أخرى مالم يكن في الحسبان ...
طلب الشيخ من الطلاب العودة للسكن وصرف الناس ثم أمسك الشيخ بيدي..
وقال : من أين دونت هذا البحث؟؟ وماهي مراجعك؟؟
قلت له وأنا مذهول وخائف كأنني أشعر بارتكاب خطأ أو مصيبة:
قرأت بعض المباحث البسيطة حول الموضوع ولكن غالب ما دونته استنتجته واستخرجته بنفسي!!
قال : هل أنت متأكد ؟؟
قلت: أي والله هذا ما حصل..!!
لا أشك لحظة أن الشيخ ارتاب من كلامي ولم يأخذه محمل الجد..

ولكنه لم يرد أن يشعرني بشيء أو يظهر انبهاره مما كتبته رغم حداثة سني وقرب الفترة التي قضيتها لديه..
اتصل الشيخ بغير علمي على الأخ محمد زين العابدين وسأله عني؟؟
ناداني الأخ محمد وحقق معي تحقيقا غير مباشر ..!!
سألته ما القصة؟؟
قال : بحثك الذي كتبته هذا يقول الشيخ انه فوق مستواك وأنه كلام عميق ونحو هذا الكلام..!! يقول محمد : ولقد أخبرت الشيخ انك لم تنم تلك الليلة حتى صلاة الصبح ..
في درس المساء وبعد أذان العشاء وانتهاء الدرس الأول..
أخرج الشيخ ذلك الدفتر وطلب من أحد طلابه الكبار أن يقرأه عليه علنا لكي ينقح البحث.. ويحكم عليه من قبل الجميع.. ولم يخبر الشيخ الطلاب أو القارئ أنه بحثي..
وكنت جالسا بجوار ذلك القارئ ..
أذكر ذلك الموقف والقارئ هو الشيخ خالد المزيني وهو احد أقدم وأقدر الطلاب علما وتحصيلا.. وكان ذو جرأة على الشيخ في إبداء رأيه والشيخ يحترمه ويحترم رأيه...
كان خطي (وما يزال) سيئا للغاية ويصعب علي قراءته أنا فما بالك بغيري..!!
كان الأخ يقرأ ويتوقف بسبب عدم وضوح كلمات وخربشات لا يفهمها غيري..!!
فكنت اقرب نظري له وأصحح العبارات وأساعده في تهجيها !!
نظر إلي القارئ بتعجب فقال : هل أنت من كتب هذا البحث ؟ كأنه يقول اصمت فهذا لا يعنيك !!
سكت ولم أجب .. ولا أذكر هل أخبرهم الشيخ بأنني أنا كتبت ذلك المبحث في ذلك الدرس أم لاحقا!! ولكنهم في النهاية علموا!!
أخذ الشيخ في التعليق على كل فائدة ويصحح العبارات ويقومها ويحذف المكرر حتى بلغ مجموع الفروق البينة بلا تكرار ولا تناقض خمسة وعشرون فائدة..!!
لم أستطع تذكر ما حصل في ذلك الدرس ولكن الذي أعرفه أن شيخنا رحمه الله كلما أراد أن يثني علي أمام احد يقول : فلان الشمري !! كتب بحثا ممتازا ويذكره بذاته من مناقبي!!
حينما أطلع على ذلك البحث (وهو عندي) الآن لا أشك أن مستواه العلمي بالنظر الثاقبة هو متواضع في ترتيبه وأسلوبه غير أنك

حينما تنظر إليه من ناحية عدد الفوائد وصحتها بصرف النظر عن الأسلوب وما فيه من خلل والحكم عليه كمنهجية دقيقة من هذه الناحية لا شك أن ذلك يعتبر وفي سني ذلك إنجازا ..
انظروا للطفل الصغير حينما ترونه يفعل شيئا مميزا كأن يلفظ عبارة جديدة لأول مرة أو يقوم بحركة لم يعتد الوالدان على رؤيتها سوف يرون ذلك منه شيئا عجيبا .. وذلك بالنظر لمستواه العقلي والسن ونحو ذلك من مقاييس ..
أما لو حدث من غيره ممن يكبره بعدة سنوات مثلا فهو غير مستغرب بتاتا والفكرة واضحة إن شاء الله..
لا يهم الآن بالنسبة لك أخي الكريم أختي الكريمة الحكم على ما فعلته هل هو إنجاز أم غير إنجاز المهم لكم الآن هو معرفة ما حصل بعد ذلك من طوام ودواهي سأحكيها في الحلقات القادمة بإذن الله تعالى يتبع إن شاء الله..

الحلقة الثامنة عشر

من خلال جلوسي الدائم أمام الشيخ وبجوار قدماء الطلبة
لا بد أن يؤدي ذلك برغبة أو بغير رغبة إلى نشوء علاقة ما!!
لن أتوسع في هذا الأمر وهو غير مهم أبدا لكم غير أن هناك حالة لا بد من ذكرها..
في حلقة مضت ذكرت ذلك الشاب الذي خرج من غرفة مجاورة لموقع الدرس..
كان ذلك الشاب من كبار طلبة الشيخ وأفقههم بل ومن أقرب الناس لشيخنا..
لا ينافسه على ذلك أحد ، ولم يكن يخفى علي ولا على سواي ذلك ..
بل أن للقرابة العائلية بينه وبين الشيخ زادت الأمر رسوخا وبيانا..
تعرفت على الرجل وكانت علاقتنا لا بأس بها ..
كنت أتصافح معه قبل الدروس ويزداد التعارف بيننا يوما فيوما!!
ذكرت في الحلقة الماضية أن الشيخ أعجب ببحثي الذي كتبته..
ورأى أن ذلك علامة نبوغ مني على صغر سني ولكنه حتى ذلك الحين لم يبد الشيخ
نحوي شيئا..

وذات مرة تغيبت في سفرة لمدينة حائل لزيارة الأخ سـعود وغبـت ثلاثة أيام..
لم يفتقدني أحد كما كنت أظن ولم أكن أعلم قوانين السكن حينهـا وضرورة أخذ الأذن
من المشرف...
ولقد اشـتقت لرؤيـة سـعود بعـد أن انقطعـت عنـه حـوالي الشـهر وزيادة فرغبت بلقائه..
زرته في حائل ومنها نزلت للرياض بالطائرة ثم للشرقية ثـم عـدت منها للقصيم..
كانت رحلة استجمام وترويح بعد عناء وانشغال بالطلب ..
حينما عدت لعنيزة كانت الأمور على مايرام فيما أظن !!
أذكر أنني بعـد صـلاة عشـاء ذلـك اليـوم وقـد وصـلت للجـامع قبـل الصلاة بقليل..
رافقت الحشد الذي يسير مع الشيخ لبيته ..
ولم يكن ذلك الحشد كبيرا ..
بعد انتهاء الناس تقدمت للشيخ فقبلت رأسه ..
قال لي: أين كنت ؟؟ لا حظت أنك تغيبت عن الدروس عدة أيام!!
لقد كانت لفتة أبوية وحانية افتقدها والله في تلك الأيام..
ما أجمل أن يشعرك أحد بالاهتمام بك والاطمئنان عليـك خاصـة لـو كنت في ضائقة وكربه..
أما أن تأتي تلك اللفتة من شيخنا فوا لله إن ذلك لشـرف لـي وأي شرف ..
قلت له: لقد سافرت لحائل لزيارة أقربائي ..!!
قال لي: ووالديك ؟
شدهت وارتفع حاجباي وعجزت عـن الإجابـة ولكـن تـداركت الأمـر سريعا وقلت:
طبعا والداي نعم!!
دار بيننا الحوار التالي:
أين يعمل والدك ؟
قلت له :والدي رجل أعمال!!
ثم استأنفت كلامي .. بدون حساب للعواقب ..
ولكن والدي بيني وبينه خلاف !!
قال : كيف؟
قلت : لا يحب والدي أن اطلب العلم بل يريدني أن اهتم بدراسـتي

النظامية فقط..!!
وأخذت في فبركة كلام على الوالد مما لا يصلح الحديث عنه هنا والله يعفو عني فيما
قلت!!
قال لي : وأين يقيم والدك ؟
قلت له : في الطائف !!
قال : الم تقل انك ذهبت لرؤية والديك في حائل؟؟
سكت ولم اجبه فعرف الشيخ أن في الأمر شيئا ولكنه لم يبال حينها!!
ختم حواره بهذه الجملة : لا أسمح لك مرة أخرى بالسفر حتى تأخذ أذنا مني فأنا في مقام والدك !!
ما أجمل وقع تلك الكلمات على نفسي هي والله في نفسي ذلك اليوم ..
كماء بارد شربته بعد عطش شديد في صحراء قاحلة وساخنة..
لقد بثت تلك الكلمات في نفسي روحا جديدة وهمة لا يقاومها أي كساد أو تلف ..
رحمة الله عليه واسكنه فسيح جناته وجعل ذلك في ميزان حسناته..
رجعت لغرفتي فحكيت لبندر ما حصل بيني وبين الشيخ من حوار..
لم يصدق بندر أن يكون هذا التصرف من الشيخ بهذا الشكل !!
فمن أنت حتى تحصل على هذه الميزة وهذا الاهتمام؟؟
.. ولكن والله هذا ما حصل..
أخذت قلمي وفتحت دفتري وأردت أن اعبر عن سعادتي بخاطرة أو شعر أو أي شيء!!
كتبت رسالة للشيخ .. قلت له فيها ..
أشكرك من أعماق قلبي فوا لله لقد كانت عبارتك تلك كالماء الذي يروي نبتة أوشكت على الذبول والفناء..
كانت عباراتها ركيكة ومعانيها عميقة سطرتها بعبارات امتزجت بالشقاء والعذاب والخوف والضياع واليأس ..وسلمتها للشيخ بعد صلاة الفجر ..
لقد وقعت تلك الكلمات في نفس شيخنا موقعا عظيما فدعاني بعد درس المساء للسير معه..
قال لي : لقد تأثرت بكلامك وأرجو منك أن تثق في وتجعلني في مقام أبيك ..

وأريد منك أن تستمر في الطلب والتحصيل وأرجو مـن اللـه تعـالى أن ينفع بك الإسلام والمسلمين...
أكدت له مرة أخـرى عـن مشـاكلي مـع والـدي وأنـه لا يريـدني أن اطلب العلم ..
كنت أريد أن افتح موضوعي كله مع الشيخ وليتني فعلت!!
ولكنني جبنت واستحييت أن احكـي للشـيخ كـل شـيء.. خوفـا مـن عواقب كلامي!!
لقد كانت فرصة سانحة ولكن الله تعالى كـان يريـد لـي شـيئا آخـر ..!!
ذات ليلـة دعـا مشـرف السـكن الأخ محمـد زيـن العابـدين الطلاب للاجتماع مع الشيخ بعد صلاة العشاء في سطوح السكن ...
أجتمع طلاب السكن وجاء الشيخ وجلس علـى مقعـد قـديم لا يكـاد يستوي عليه لتهالكه!!
استمع الشيخ لمشاكل الطلاب وما يعانونه من صعوبات مادية نحـو غلاء الكتب..
وأشرطة التسجيل ، وتحدثوا مع الشيخ حول ترميـم السـكن ورفـع قيمة المكافآت وتوسيع المكتبة وزيادة المراجع ونحو ذلك غيـر انـه حصل في تلك الجلسة موقف أحرجني للغاية!!
كتبت سؤالا للشيخ باسمي وبلقبي المزيف !!
قال الشيخ: أنت مرة تقول انك كذا ومرة تقـول إنـك شـمري وش الصحيح؟؟
وقعت في حرج شديد ولم استطع التعليق ولكن شيخنا تجاوز ذلـك وغير الموضوع!!
كيف عرف الشيخ بلقبي الحقيقي؟؟
من نظام السـكن لا بـد أن يكـون لـك ملـف لـدى المشـرف ومـن متطلبات فتح الملف ..
إحضار صورة الهوية !!
وضـعت صـورة الهويـة فـي ملفـي وسـلمتها مـع السـيرة الذاتيـة للمشرف..
نظر في وجهي المشرف وقال لي: مكتـوب هنـا أنـت مـن القبيلـة الفلانية؟؟
وأنت شمري ؟؟
كنت قد زورت في نفسي كلاما لأبرر هذا الحـال فقلتـه فقبلـه فـي الظاهر غير انه نقله

للشيخ بالتأكيد!!
لقد كنت بليدا فلـو أننـي قلـت الحقيقـة وشـرحتها لكـان خيـرا مـن الخزي الذي كنت فيه..
ولنجوت من الفضيحة التي سأقدم عليها!!
كان الشيخ في ذلك اللقاء يرسـخ فـي أذهـان طلبتـه انـه فعلا والـد للجميع ..
فكل الطلبة بلا استثناء هم فقراء ومعوزون وفيهم السـعودي وغيـر السعودي..
ولكنهم في نظر شيخنا سواء جزاه الله عنا خير الجزاء..
في ذلك اللقاء سأل أحد الطلبة الشـيخ عـن حضـور دروس الشـيخ سلمان العودة في بريدة!!
قال الشيخ : سلمان هو احد العلماء لكنني أنصحكم بالتقيد بحضـور دروس عالم واحد
فإذا شعرتم أنكم اكتفيتم مما لديه فلا بأس بالانتقال لعالم آخر ..
رجعت برفقة الشيخ لبيته وحينما اقتربنا من الـبيت بقيـت معـه أنـا والأخ محمد زين العابدين ..
أطال الأخ محمد الحديث مع الشيخ حتى تعب !!
ثم ابتعد قليلا واقتربت أنا من الشيخ فجلس علـى درج ملحـق بيتـه وبقيت واقفا!!
فأردت أن أجلس مقابله علـى الأرض لأكمـل أسـئلتي .. فقـال لـي الشيخ..
أجلس بجواري ؟؟
جلست بجواره فأكملت أسئلتي ثم انصرفت ...

الحلقة التاسعة عشر

أنا أكتب هذه الروايات والقصص في الحضر والسفر..
فمرة تجـدني مـع حاسـوبي المحمـول جالسـا علـى طاولـة طعـام وأمامي كوب الشاي البارد!!
والناس حولي ينظرون ولعل أحدهم يقول : إيه ...!!!
هذا لا بد أنه يعد خطة لعملية إرهابية؟؟؟
أو تجدني على مكتبي حـولي معـاملات ومسـتندات تحتـاج لتـدقيق ومراجعة فأترك كل
ذلك.. وانكب على جهازي أسطر لكم المفيد والغث!!!

أو تجدني في ساعة سحر والناس حولي يشخرون وأنا منهمك فــي إضافة عبارة أو مراجعة
قاموس أو سرقة نص!!
مالذي يكتبه مطوع في هذا الزمان ؟؟
تساؤلات هل هي مشروعة؟؟
هذه للأسف صورة سيئة كادت أن ترسـخ فـي رؤوس الجهـال مـن العوام على كل من سيماه
الخير والاستقامة... قاتل الله الإعلام الفاسد والسياسة الملعونة!!!
دعونا نرجع لروايتنا ..
لقد كان لاحتكاكي بل ومحاولة الاستفادة القصوى من علـم الشـيخ سبب ذلك شيئا من
المودة والقرب منه!!
العالم إخوتي الكرام يحب المجد ومـن يحسـن الإصـغاء والاسـتماع إليه ..

لم أكن أسعى لذلك أو أريده فلذلك ضريبة ليست بالهينة .. !! لمن يفهم ما أعنيه!!
ولكن العلاقة زادت وتطورت من مجرد طـالب مجتهـد إلـى طـالب مميز ومحبوب نوعا
ما!!
ويعلم الله سبحانه وتعالى أنني كنت ساذجا بحيـث أننـي لـم اشـعر بذلك ولم أميز ..
أول موقف أذكر ه في مخيلتي الآن أنني في ذات ليلـة وبعـد درس المساء ..
كنت برفقة الشيخ كالعـادة حـتى وصـل الـبيت .. وكـان الأخ محمـد زين العابدين
مشـرف السـكن يتعمـد أن يلحـق الشـيخ بسـيارته حـتى المنـزل ليعرض عليه ما لديه
ما استجد من نواقص أو معاملات أو طلب مال للسكن أو نحو ذلك ..
كان من عادة الشيخ أن يرجع الطلاب حينما يصل لبيته أو قريبا منه ..
أما أنا فبقيت أتناقش معه في بعض المسـائل العلميـة حـتى وصـل لباب البيت..

فتح الشيخ باب منزله وكان مظلما من الخارج ولا تسمع فيه حركة أو لجة ..
قال الشيخ لمحمد وكان قريبا مني : تعش معي أنت وفلان(يقصدني أنا)..!!
العائلة ليست موجودة وأنا لوحدي في البيت!!
تبادلت أنا ومحمد النظرات استغرابا من هذا العرض المغري!!
قبلت أنا ومحمد تلك الدعوة بكل سرور وبلا تردد!!
قال لنا : انتظرا حتى افتح لكم باب الملحق..
وهو عبارة عن غرفة مستقلة بطرف المنزل في شماله الغربي..
فتح الشيخ باب الملحق فدلفنا للبيت ..
نزع الشيخ عباءته وعلقها على يده ثم قال : سأتسنن وأحضر لكما العشاء !!
ثم خرج من الباب الفاصل بين الملحق والبيت والذي يدخل مباشرة للفناء ..
في ذلك الملحق كعادة البيوت في نجد ، حيث يمزج بين الطراز القديم و ثوب
الحداثة..!!
تحتوي الغرفة في صدرها على مشب للنار خلفه مخزن مكشوف للحطب ..
وعلى يساره بنيت رفوف رصت عليها دلال القهوة العربية وأباريق الشاي..
وتحته توجد مغسلة لغسل الفناجيل وإعداد القهوة والشاي للضيوف..
الغرفة مفروشة بفرش جميل لونه ازرق ..
سألت الأخ محمد .. لقد كنت أظن قبل حضوري لعنيزة أن الشيخ يقيم في بيت طيني؟؟
قال : لقد انتقل الشيخ لهذا المنزل عام 1409 ولم يكن راغبا ترك بيته الطيني!!
ولكن أبناءه أصروا عليه أن يبني بيتا حديثا ففعل..
قلت : وأين يقع ذلك البيت .. ؟؟
قال :سأريك إياه بعد أن ننتهي من العشاء ..
بعد قليل .. فتح الباب الفاصل .. فبرزت صينية كبيرة قد أحاط الشيخ عليها بذراعيه
وتوشك أن تقع .. فقمت فحملتها من يده .. وقلت له : هل ترغب

أن أساعدك؟
قال لي : تعال ...!!
لحقته حافيا فدخل مـن بـاب كـبير فـانتظرته ظنـا أنـه سـيقدم هـو الطعام فأحمله للملحق ..
فخرج علي الشيخ وقال : لا يوجد أحد تعال ادخل..
دخلت البيت وكان نور الصـالة خافتـا .. حـتى وصـلنا المطبـخ علـى يمين الداخل .. انشغلت
بالنظر والفضول ..
فأشار الشيخ لي أن تعال واحمل الطعام!!
حملـت الحافظـات والصـواني الصـغيرة فوضـعتها علـى سـفرة الطعام..
كانت تلك أول مرة آكل فيها من طعام بيت الشيخ ..
كان الطعام خفيفا وسهل الهضم ولو شئت لذكرته!!
بعدها ساعدت الشيخ في حمل المواعين والسفرة ..
سألت الشيخ ونحن بمفردنا في المطبخ : أين تقع مكتبتكم؟
أمسك بيدي وقـادني للجهـة الشـرقية مـن المنـزل ومررنـا بسـيب ضيق
ويقع عن يمينه علاقات وضع عليها عباءات الشيخ وعن اليسـار درج يقود للقبو.
أخرج الشيخ من جيبه الذي على صدره شـبكا علقـت عليـه مفاتيـح كثيرة..
ثم أدخل أحد المفاتيح في الباب المغلق الذي أمامنا ..
فدلف للغرفة وأضاء المصباح ..
أي حظ هذا وأي شرف لي أن أدخل بيت شيخنا بل وأدخـل مكتبتـه ..
لقد مر علـى قـدومي لعنيـزة منـذ ذلـك التاريـخ وحـتى تلـك الليلـة حوالي الشهرين وزيادة..
سأصف مكتبة الشيخ من الداخل في الحلقة القادمـة إن شـاء اللـه ..

الحلقة العشرون..

مكتبة الشيخ عامرة وأغلبها نسخ قديمة الطبع...
مساحتها حوالي ستة أمتار في أربعة ..

والرفوف ملصقة بجميع جدران الغرفة ...
يجلس الشيخ بجوار نافذة قريبة من الأرض ..
ويستقبل النافذة في الواجهة الجنوبية من الغرفة وأمامه تلفونان .. أحدهما للفتاوى الشرعية والآخر تلفون البيت الخاص..
وليست هناك مقاعد للجلوس أو طاولة للكتابة.. بل يجلس الشيخ على الأرض فوق
سجادة صلاة .. ويكتب على لوح تعلق عليه الأوراق ..
يراجع الشيخ في مكتبته الكتب أو يجيب على الفتاوى .. أو ينظم المعاملات أ ويقرأ
الرسائل..
بخصوص الرسائل في تلك الليلة التي دخلت فيها للمكتبة ..
شاهدت بوسط الغرفة كومة ضخمة من الرسائل والأوراق المبعثرة ..!!
قال الشيخ وهو يشير لها بأسى: هذه رسائل الأسبوعين الأخيرة ولم أستطع قراءتها ؟؟
تأتي للشيخ رسائل من كل بلاد الدنيا ..
أذكر مرة طلب الشيخ محمد مني ومن الشيخ فهد السليمان جامع فتاويه ..
أن نجرد رسائل الناس ونرتبها ونبوبها ففتحنا الظروف ..
فوجدنا رسائل من البلاد العربية ومن أوروبا وأمريكا وآسيا وأفريقيا ومن كل بلاد الدنيا ..
ورسائل فيها شيكات تبرعات ورسائل فيها طلب مؤلفات واستفتاءات..
ورسائل من مراكز إسلامية ..
سمعت الشيخ يقول مرة : أكثر الرسائل التي تأتيني هي من الجزائر ..!!
ولذلك لا عجب إذا رأيت كثيرا من الطلبة الجزائريين في حلقة الشيخ..
رأيت رسائل من علماء مشهورين يستشيرون الشيخ في بعض المسائل والنوازل .
ومنهم وبكثرة الشيخ العلامة بكر أبو زيد .. وممن رأيته كثيرا يحرص على الاستفادة
من علم الشيخ سواء بالاستفتاء أو بسماع دروسه على أشرطة الكاسيت سماحة الشيخ

عبد العزيز آل الشيخ مفتي المملكة الحالي..
وليست مكتبة الشيخ هي ما رأيته تلك الليلة فقط ..
بل إن لديه في القبو مكتبة أخرى تحتوي علـى المراجـع الـتي تقـل مراجعتها ..
و يوجد بها عدد من المخطوطات ..
ومنها مخطوطة تفسير الشيخ عبد الرحمن الناصر السـعدي العـالم المشهور ..
المسمى بتفسير الكريم المنان ...
وهذا التفسير قد كتبه الشيخ بخط لا يكاد يقرأ على دفتر الأستاذ والذي يسمى دفتر حسابات (مسك الدفاتر)!!
يجلس الشيخ في اغلب أوقاته بالمكتبة وغالبا لا يقيل إلا فيها ..
وله في زاويتاها الشمالية فـراش صـغير وبطانيـة قديمـة يتوسـدها ويقيل هناك حتى أذان
العصر..
في تلك الليلة عـدت أنـا والأخ محمـد وفـي الطريـق مررنـا بمنـزل الشيخ القديم..
وسأتكلم إن شاء الله عن هذا المنزل لاحقا حينما أحكي عن زيــارة الأمير
ممدوح بن عبد العزيز لعنيزة..
أرجو أن لا يكون الملل قد دخلكم بتفاصيل قد لا يريدها البعض..
ولكــن أرجــو أن يــأتي زمــان يــأتي فيــه مــن يحتــاج لمثــل هــذه المعلومات..
نرجع لجاري في درس الشيخ ..
كان ذلك الطالب المجد يظهر لي الاحترام والتقدير ..
كنت أرى ذلك (عن حسن نية) نبلا منه وطيبة ..
فكسبني ذلك الشخص وصرت أخرج معه أحيانا بعد الدرس لبيته أو للمكتبة ونحو ذلك ..
أذكر مرة أن الشيخ قال لـي : انتبـه يـافلان مـن النـاس لا تحـدثهم بأمورك الخاصة ..
ترى الطلبة يحسدون بعض !! ونقل لي أثرا عن ابن عباس أنه قال : يتحاسد طلبة
العلم في آخر الزمان كما تتحاسد التيوس في زروبها!!.. ونحو ذلك الكلام..

والظاهر أن صاحبنا بسبب قربه من الشيخ ..
شعر أنني سأضايقه في قربي وكثرة لقاءاتي مع الشيخ ..
حينها لم أكن أعرف الحسد ولم أمارسه والله في حياتي ..
كنت أتحدث مع ذلك الشاب في بعض أموري الخاصة وفي اليوم التالي يستفسر مني
الشيخ..
حول ما قيل عن كذا وكذا !!
كأنه يلمح لما قلته لذلك الشاب..؟؟؟
غير أنني حينما أقارن ما أشاهده منه من سماحة نفس معي وحسن معشر..
أستبعد أن يكون هو من نقل هذا الكلام للشيخ ويا لغبائي!!
كتبت مرة رسالة للشيخ قلت له فيها بما معناه..
أنني أرغب في أن أستفيد من علمكم في حلكم في عنيزة وفي سفركم خارجها!!
حيث يشرفني أن أكون خادما لكم كما كان أنس وابن مسعود يخدمان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ..
حينما قرأ الرسالة الشيخ فرح بها وسر خاصة انه رأى مني الحرص على ذلك..
حدثت ذلك الشاب بهذه الرسالة ..
فما كان منه إلا أن حذرني من ذلك وقال : لا أنصحك وهذا سوف يغير عليك
قلوب الطلبة الآخرين وسوف يقولون : هذا الولد له عند الشيخ ثلاثة شهور ..
والآن يريد أن يكون رفيقه في سفره..؟؟ لا ، انتبه وأنا أخوك لا تفعل ...
أخذ صاحبنا يهول لي الأمور حتى عزمت على ترك ذلك العمل المتهور!!!
وجاء يوم سمعت الشيخ يذكر أنه سيسافر للرياض ..
فوقع في نفسي أن أطلب منه أن أرافقه ولكن ما حذرني منه صاحبي جعلني أتردد !!

الحلقة الواحدة والعشرون

كنت يوما أسير مع الشيخ بعد صلاة العصر ..
فجاءه رجل ذو هيئة ومعه مرافق له ..
عرف نفسه للشيخ بأنه الأمير فلان ....
دعاه الشيخ للتفضل في بيته للقهوة والتعارف .. فرحب بذلك الرجل والظاهر أن هذا هو
غايته من الزيارة ...
قال لي الشيخ: تفضل معنا ...
فدخلت مع الضيف من باب الملحق ..
بعد دقائق أحضر الشيخ القهوة والتمر وإبريق الشاي معه...
فحملتها من يديه فكنت خادم القوم في تلك الجلسة ..
ويعلم الله قدر شعوري بالفخر والشرف أن أخدم شيخنا وضيوفه..
بعد انتهاء الجلسة وانصراف الضيوف ..
عرضت على الشيخ أن أرافقه لسفرته في الرياض ..
فقال : وما غرضك من ذلك ؟؟
فكررت له ما قلت له في الرسالة ....
فقال : أهلا بك وسهلا ولكن سفري ذلك جزء منه زيارة عائلية وسوف أرى..
ثم فاتحني الشيخ بموضوع آخر ...
هو موضوع الدراسة النظامية .. قال لي:
لما لا تكمل دراستك؟
فقلت له لا مانع عندي ولكن كيف؟؟
ملفي الدراسي ليس لدي !!
كنت أتهرب من الموضوع حتى لا تكتشف هويتي الحقيقية!!
قال الشيخ: دع الأمر لي وسوف أسجلك في المعهد العلمي...
قبلت وأظهرت الفرح والاغتباط وأنا في داخلي أغلي كالمرجل من الخوف!!
قلت له ياشيخنا ...
هل أنا في حلم ؟؟ أم في علم ؟؟
أن أكون الآن معك في بيتك مع الشيخ ابن عثيمين؟؟
ابتسم ودعا لي وقال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ...
التقيت بصاحبي .. وجاري .. بعد ذلك فحدثته بما كان ...
وكان السفر بعد يومين ...
كان ذلك بمثابة حراب أغرسها في قلبه دون أن أشعر أو أقصد ذلك والله..

دهشت وربي من حرصه على تثبيطي وتذكيري بالعواقب ..
ولكن حتى تلك الساعة لم ينكشف لي ما يدبره ...
شجعني بندر على الذهاب ...وقال لا تتردد ..
ذات يوم بعد صلاة العصر ألتفت إلي شـاب أعرفـه جيـدا وهـو مـن أصحاب جاري ذاك!!
وسألني أسئلة مباشرة فيها وقاحة وصلف ...
قال : ايش اسمك؟؟
قلت فلان ..
قال : قلي اسمك كاملا .. ؟؟
قلت : فلان بن فلان .. ذكرت اسم الأب فقط..!!
قال: وما لقب العائلة؟؟
عرفت خلالها أنه مرسل لتخويفي من شيء ما!!
ولم أحب هذا الشخص مطلقا ، فهو رجل سيء الخلق حقود ..
بعد يومين استعديت للسفر وحزمت حقيبتي ..
وطلبت من جاري ذاك أن يوصلني هو إلى بيت الشيخ ...؟؟؟
بل واقترضت منه مبلغا من المال لمصاريفي!!
كنت كمن يطلب الماء من بياع الزيت!!
ولقد جاء فعلا في اليـوم التـالي ،لا ليوصـلني بـل ليعطينـي رسـالة واضحة مفادها ..
لقد حذرتك وأنذرتك ولكنك لا تسمع كلامي وسوف تندم..!!
لقد كـانت نظراتـه والـتي أتخيلهـا الآن أمـام عينـي تقـذف بالشـرر المستطير !!
ثم انطلق بسيارته مغضبا بعد أن رد باب سيارته في وجهي !!
لم اقدر الموقف حق قدره ..ولم أكن أحسب الأمور بمثل حسـاباته
ولم تكن لي معرفة بطبائع البشر الحيوانية نعوذ بالله من ذلك..
أطلقت جرس باب منزل الشيخ فخرج أحد أبناء الشيخ ..
وهو يحمل حقيبتين ووضعها في مؤخرة السيارة..
وكانت تظهر على وجهه علامات الغضب وعدم الترحيب بي !!
ولم يسلم علي أو يخبرني أين الشيخ أو ماذا سنفعل !!
أي حال أنا فيه !!
انتظرت في الخارج حوالي النصف ساعة حتى خرج الشيخ فقال :
أين كنت ؟؟
أنا أنتظرك؟؟؟
لم أخبره بما حصل .. بل سكت وصافحت أبناءه الآخرين ..

يقولون العيون شواهد تكشف ما في القلوب ..
منذ أول مرة رأيت فيه أبناء الشيخ عرفت أنني لديهم غيـر مرضـي عني بل أنا مغضوب علي..
وإنني أقسم وأجـزم أن ذلـك كلـه مـن فعـل صـاحبي الـذي ظننتـه صديقا لي!!
فهو أحد أقربائهم والرجل منـذ سـنوات عديـدة قريـب منهـم ومـن الشيخ .. وقد كسب ثقتهم فلا شك أنه ذو مصداقية في خبره عنــي !!
ولقد حاولت مرارا وتكرارا أن اثبت لهم أنني شـخص مختلـف عمـا صوره الرجل عني ولكن بدون فائدة .. فالناس للأسف حكمهم في الغالب يترسخ ويتجذر منذ الصدمة الأولى!!
خاصة أن الوقائع التي حصلت قد زادت الأمر تعقيدا .. والحمد لله..
ولكـن اللـه سـبحانه وتعـالى عوضـني كـثيرا بشـيخنا وليغضـب كـل الناس عني!!
إذا كان حبك لي صادق فكل الذي فوق التراب تراب..
توجهنا للمطار برفقة سائق الشيخ..
وهي سيارة كابر يس موديل تسعة وسبعين!!
لونها بني مخطط بلون البيج !!
يقول السائق لي : أنا أسوق الشيخ منـذ خمسـة عشـر عامـا بهـذه السيارة..
ولقـد بـاءت كـل محـاولاتي ومحـاولات إدارة جامعـة الإمـام لتغييـر السيارة ..
حيـث أن الشـيخ يراهـا سـيارة ممتـازة ولا يهـم شـكلها أو موديلهـا المهم أن توصله

الحلقة الثانية والعشرون

على ذكر سيارة الشيخ ...
التابعة لجامعة الإمام ... أذكر مرة أنني رافقت الشيخ من الجامعـة وحتى بيته..
وحين وصلنا للمنزل أمرني الشيخ بالنزول من السيارة ..!!
فقلت له : خل فلان يوصلني للسكن لو سمحت بذلك ؟؟
فقال : لا؟؟
أنزل هنا وامش على قدميك!!
خرجت من السيارة فلما رأى أثر كلامه علي قال لي:

هذه السيارة يابني أعطيت لي لاستعمالها في عملي وشغلي...
ولا يجوز لي شرعا أن أسمح لأحد آخر باستعمالها سـوى بـإذن مـن الجامعة!!!
ولا حتى لأبنائي وأهلي !!
أذكر من ورع الشيخ الشيء الكثير ولقـد ذكـر لـي احـد كبـار طلبـة سماحة الشيخ العلامة
عبد العزيز بن باز رحمه الله أنه حينما ذكر له بعض مواقف الشــيخ ابن عثيمين
في الورع تعجب من ذلك وقال : من يقدر على هذا؟؟؟
وهو من هو في ورعه وزهده رحمهما الله وعفا عنهمـا فهمـا واللـه نادران في زمانهما
نحسبهم كذلك والله عز وجل حسيبنا وحسيبهم..
وصلنا ذلك اليوم لمطار القصيم الإقليمي ..
حملت الحقائب ودخلنا سويا لصالة المسافرين ..
لمح الشباب العامل في المطار من موظفين وعسكر الشيخ فجــاء بعضهم للسلام على الشيخ
وهم مبتهجون بذلك !!
أما أنا فقد كنت في شبه السكرة من الفرح ..
يا الله أين كنت وأين أنا الآن ...؟؟
الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..
لم يكن هناك أي تأخير فقـد وصـلنا وقـت نـداء ركـوب المسـافرين للطائرة ..
بعد تجاوزنا لمعاملات السفر جاء مدير المطار للسلام على الشــيخ ..
وأدخله في مكتب الضابط المناوب ..
وقدموا لنا الشاي ..
وحينما استكمل ركوب المسافرين توجهنا للطائرة أنا وشيخنا..
كان مقعد الشيخ على الدرجـة الأولـى وذلـك علـى حسـاب جامعـة الإمام التي
ستستضيف الشيخ لمحاضرة للمبتعثين من طلابها خارج المملكة ..
وعادة الشيخ إن سافر علـى حسـابه الشخصـي أن يركـب الدرجـة السياحية ..
لكن في عدة مواقف شـاهدتها يرفـض ربـان الطـائرة حينمـا يعلـم بوجود الشيخ ..

إلا أن ينقل في الدرجة الأولى .. إكراما للشيخ وحبا واحتراما له..
في تلك الرحلة كنت أنا بطبيعة الحال في الدرجـة السـياحية أو مـا يسمى الضيافة..
ولكن بعد إقلاع الطائرة ، جاءني الشيخ بنفسه وقد استأذن لــي أن أكون برفقته..
فكنت بجواره في الدرجة الأولى...
لكم أيها الإخوة والأخوات أن تدركوا تلك المشاعر الـتي كـانت فـي نفسي تلك اللحظات..
كنت أراقب الشيخ وأحاول أن استفيد من كل تصـرفاته فهـو قـدوة لي في كل شيء..
بعد شرب القهوة جاء مضيف الطائرة للشيخ وقال له:
هل ممكن أن ترافقني لغرفة قيـادة الطـائرة ، الكـابتن يـدعوك لـو تكرمت ؟؟
قام الشيخ من مقعده وتوجه لمضـيفه وبقيـت لوحـدي حـتى قـرب وصولنا للرياض ..
علما أن الرحلة تستغرق حوالي الأربعين دقيقة فقط!!
رجع الشيخ وجلس على كرسيه ..
وبدأ في تلاوة حزبه من القرءان .. حيث يقرأ يوميا جزأيـن كـاملين من صدره ...
وصلنا لمطار الرياض ونزلنا فـي الصـالة العامـة واسـتقبلنا منـدوب الجامعة ..
توجهنا مباشرة لجامعة الإمـام ولمكتـب الـدكتور عبـد اللـه الـتركي مدير الجامعة حينها..
سلم الشيخ على الدكتور الـتركي وسـلمت عليـه .. وبقيـت معهمـا لدقائق ..
ثم خرجت للخارج وانتظرت خروج الشيخ ..
بعد ساعة تقريبـا نـاداني منـدوب الجامعـة وقـال : الشـيخ يـدعوك للحاق به لموقع
المحاضرة..
نزلت مع المندوب حيث يظهـر أن هنـاك مخـرج خـاص مـن مكتـب الدكتور عبد الله ..
سألني مندوب الجامعة .. هل أنت ابن الشيخ ؟
قلت :لا ... أنا أحد تلاميذه ...
قال لي : هنيئا لك يا أخي هذا الشرف ..

دخلنا لصالة ضخمة جدا وفيها من الفخامة والنظارة ما يبهر العقول ...
ولم يكن هناك حضور سوى الصفين الأول والثاني !!
وبعض الناس هنا وهناك!!
حيث أن المحاضرة خاصة فقـط بـالمبتعثين وأظـن عـددهم حـوالي المائة وعشرون ..
تحدث الشيخ حديثا طويلا حول ما يتعلق بسفرهم من أحكام فقهية ومن تنبيهات
وتحذيرات من بعض الأخطار التي قد تواجههم في أمور دينهم ..
وبث الشيخ في نفوسهم الحماسة في الاستفادة مما لدى الآخريــن والعودة لبلادهم
لكي تنتفع الأجيال بهم وحذرهم من الأفكار المسـمومة والـتي عـاد بها بعض أبناءن
ونحو ذلك من توجيهات ومعان مفيدة..
ثم فتح الباب للأسئلة والتي أخذت اغلـب وقـت المحاضـرة وكـانت أسئلة مفيدة للغاية..
بعـد انتهـاء المحاضـرة ... توجهنـا لكليـة الـدعوة والإعلام وصـحب الشيخ
للكلية الدكتور سعيد بن زعير ولا أدري هل هو عميـد الكليـة أم هـو أحد دكاترته..
ودخلنا في قاعة أصغر من الأولى وأظنها تابعة للكلية ..
وكـانت غاصــة جــدا بالطلبــة ، وقــد امتلاء الــدرج وأمــام الأبــواب وأطراف المسرح بالحضور..
تحدث الشيخ في كلمة مختصرة ثم استقبل أسئلة الناس ..
كانت في تلك الأيام أحداث أشغلت الناس والمجتمع وهي قضية ..
مقتل الشيخ جميل الرحمن ودخول مجموعة مـن قـادة المجاهـدين الأفغان لولاية كنر..
وكانت تلك الأيام قد اضطربت آراء الناس حول ما يحدث ..
ولا أنسى أبدا عشرا ت الوفود التي قدمت على الشيخ فـي عنيـزة من مدن المملكة..
والتي تستفتيه حول هذا الموضوع خصيصا ..
سئل الشيخ في تلك القاعة عن موقفنـا نحـن كمسـلمين مـن تلـك الفتنة..
فأجاب بكلام مبني على الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ..

وقال : الذي أرى أن توقف التبرعات عن المجاهـدين هنـاك جميعـا حتى تنتهي الفتنة
ولا نعينهم في أن يقتل بعضهم بعضا .. ونحو هذا الكلام..
أثارت تلك الفتوى من الشيخ موجة من الحيرة والترقب في وجــوه الدكاترة والمشائخ
الموجودين في القاعة ..
وبعد انتهاء المحاضرة .. طلب الدكتور سعيد بـن زعيـر مـن الشـيخ أن يزور مكتبهم
دخل الشيخ وكنت معـه واجتمـع حـوله عـدد مـن الـدكاترة ومـدراء الأقسام ..
ودار نقاش علمي مع الشيخ حول فتواه ...

الحلقة الثالثة والعشرون

كان النقاش حول قضية كنر والجهاد فيه شيء من الحدة .. خاصــة من طرف المشائخ ..
أمـا الـدكتور سـعيد الزعيـر فلـم يتكلـم بكلمـة واحـدة ... طـوال النقاش..
حينما بلغ النقاش حدا تبعثرت فيـه الأوراق وتشوشـت فيـه الأفكـار قال الشيخ:
سبحان الله ؟؟
هذا هو رأيي الذي أدين الله به وأنتم قولوا رأيكم، وليتبع النـاس مـا يرونه حق
أما أنا فلن أرسل لشخص فلسا واحدا وأعرف أنه سيستعين به في إيذاء أخيه
فما بالك بقتاله أو بقتله !!
ولقد رأيت وجه الشيخ محمرا من الغضب والتوتر..
حينها قال الشيخ سعيد بن زعير:
ياشيخنا والله نحن نحبك ونقدرك ونـرى أن رأيـك لا تبتغـي بـه غيـر وجه الله لكن الإخوان
رغبوا في النقاش والحوار حتى تتضح لكم الصورة ، فهذا جهـاد قـد أنفقت عليه مبالغ
طائلة وأرواح كثيرة ودعم من هذا البلد وأهله طوال سنوات طويلة فهمنا الأكبر أن لا

تشوه صورته الناصعة ..
ثـم قـام الـدكتور سـعيد وقبـل رأس الشـيخ واعتـذر منـه وانفـض المجلس.
بعد ذلك توجهنا لمكتب الدكتور عبد الله التركي ومنه خرجنا لصـلاة الظهر
في الجامع الكبير .....
كنت برفقة الشيخ وكذلك كان معنا الدكتور عبد الله التركي ...
حينما رأى الشيخ الجمع الهائل من طلبة الجامعة والذين غـص بهـم كل المسجد..
فلا ترى فيه موطئ قدم من كثرتهم..
قال الشيخ : ياأخ عبد الله كم يتسع هذا الجامع..؟؟
قال: حوالي الثلاثين ألفا ...
ثم قال الشيخ : الله المستعان كم سيخرج لنا عالما من هؤلاء !!!
بعد الصلاة ألقى الشيخ كلمة قصيرة في المصلين يحثهم فيها علـى الحرص على العلم
واستغلال الأوقات ونحو ذلك ...
ثم خرجنا بالكاد من الجامع بسبب تكاثر المسلمين على الشيخ ..
توجه الشيخ برفقة الدكتور عبد الله التركي في سيارته الفارهة ..
ولم أكن أعرف وجهتنا فقد كان كل شيء مرتبا مسبقا !!
قالوا لي: أركب في هذه السيارة وأشاروا لسـيارة فيهـا شـاب أدم عليه مرايات ..
وفي الطريق تعارفنا وعرفت مقصدنا ..
كان ذلك الشاب هو ابن الـدكتور سـعيد بـن زعيـر ونحـن متجهـون للغداء في منزلهم..
وصلنا لمنزلهم فكان في استقبالنا جمع كبير من الناس ..
لم اعرف منهم سوى من ذكرت بالإضافة لشيخ كبير ضعيف البنيــة ..
سألت عنه : فقيل لي: هذا الشيخ عبد الله بن جبرين .. حفظه الله ورعاه ..
حينما ترى ذانك الشيخان الجليلان سويا تـزداد تلـك الجلسـة رونقـا وبهائا..
كان الشيخ عبد الله وشيخنا يتبادلان الحديث وإجابة الناس حول مـا يسألان عنه
بكل أدب وسمو يليق بهما ..

لا حظـت شـيخنا مـرارا يهمـس فـي أذن الشـيخ عبـد اللـه بكلام فيضحك الشيخ منه!!
بعد ذلك رافقنا شخصا لا اعرفه حينها ..
جسمه وطوله وبنيته اقرب ما يكون من شيخنا ..؟؟؟
سأل الشيخ : ما عرفتنا على الأخ ؟
فقـال : هـذا فلان أحـد تلاميـذنا ، ولقـد قـال لـي : إنـه يرغـب فـي صحبتي ليستفيد من علمي
ويخدمني كما خدم ابن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم..
شعرت بالخجل ، وتسمرت في مقعدي ولم أتكلم ..
وصلنا لمنزل الرجل في حي النسيم بشرق الرياض..
بجوار جامع الهدى القريب من مدرسة سلاح الحدود..
ونحن ننزل أغراضنا سألت الشيخ : من هذا الرجل؟؟
فقال : هذا أخي عبد الرحمن!!!
الأستاذ عبد الرحمن رجل فاضل جدا وخلقه وطيبته وسماحة نفسه يشهد عليها جميع
من عرفه ، وشيخنا يحبه ويثق فيه وينزل دوما في الرياض في بيته ...
وذلك قبل أن يبني شيخنا بيته في الرياض والذي هو ملاصق لمنزل أخيه عبد الرحمن..
حدثني الشيخ عن مرض أخيه عبد الرحمن ..وهو صغير ..
حيث أنه بقي طريح الفراش مدة من الزمن حتى يئس الأطباء مـن علاجه ..
فبقي أهله حوله يترقبون ساعة أجله وهم بلا حول له ولا قوة...
غير أن جارا لهم أو أحد أصحابهم احضر لهم طبيبا شعبيا ..
ففحصه وقلبه يمينا ويسارا وهو كالجثة الهامدة ..
قرر ذلك المعالج الشعبي أن يكويه في بعض مواضع جسمه ..
فكواه .. ثم انتظروا عدة أيام ..
فبدأ عبد الرحمن يستعيد عافيته حتى عاد صحيحا كما كـان وأفضـل ..
والأمور بيد الله سبحانه قبل كل شيء...
غير انه للأسف وبعد عدد من السنوات التي كانت فيـه علاقـتي مـع الأخ عبد الرحمن
ممتازة لم يتركه صاحبنا حتى أغار صدره علي والله المستعان..
كنت أتوقع أننا سـنبقى فـي منـزل الأخ عبـد الرحمـن طـوال فـترة

بقاءنا في الرياض..
ولقد أحببت الرجل من أول ما رأيته ... وأحببت البقاء في بيته ..
ألقى الشيخ محاضرة تلك الليلة في إحدى جوامع الرياض ثم توجهنا لمنزل أبناء عمومة الشيخ
حيث حضر جمع لا باس فيه من الأقارب متفاوتي الأعمار ..
ومنهم أخو الشيخ الدكتور عبد الله العثيمين الأديب المشهور ..
ومنهم ابن الشيخ البكر عبد الله العثيمين.. وغيرهم ..
بعد العشاء رافقنا الأخ عبد الله ابن الشيخ لمنزله المستأجر ..
حيث أنه يقيم في بشكل مؤقت قبل رجوعه لعنيزة..
كان عبد الله مهذبا جدا وغير متحفظ ..
والظاهر أن صاحبنا لم يلحق أن يفسد الأمور مع الجميع جملة واحدة ..!!
في اليوم التالي .. توجهنا بعد العصر للمطار وذلك للعودة للقصيم ...
حينما جئنا لتفتيش المعادن أخذ جهاز الإنذار يرن حينما مر الشيخ ؟؟
فأمر العسكري الشيخ بالرجوع وإنزال ما لديه من معادن.. ولم يعرف الشيخ..
ابتسم الشيخ ولم يرد إحراج الرجل فبدأ بخلع ساعته المعلقة في جيبه ..
فدخل تحت الجهاز فرن مرة أخرى!!
فعاد الشيخ وأخرج كومة المفاتيح من جيبه .. وهكذا تكرر ذلك ثلاث مرات..
حينها تقدم شاب من عائلة الشيخ للعسكري وهمس في أذنه فارتفع حاجباه ..
واحمر وجهه خجلا وقال : الله المستعان هذا الشيخ ابن عثيمين ؟؟
والله ما عرفتك ياشيخ ؟؟ اللي ما يعرف الصقر يشويه ..!!
ثم قبل رأس الشيخ واعتذر منه وأصر أن يصحبه حتى أجلسه عند باب السفر

الحلقة الرابعة والعشرون

عدنا لعنيزة والعود أحمد ولكن كانت تنتظرني حوادث لم تخطر على البال..

لكن رحمة الله تعالى سـبقت تلـك المكائـد والشـرور فجعلـت مـن دون ذلك فتحا قريبا!!
وصلنا للمطار استقبلنا نسيب الشيخ الأخ خالد المصلح ..
وأنعم بأبي عبد الله علما وخلقا وتفانيا في الدعوة إلى الله ..
والشيخ خالد من قبيلة حرب ومن عائلة ثرية ووالـداه مقيمـان فـي جده ولقد أحبه شيخنا
وقربه وزوجه اكبر بناته فنعم النسيب ونعم الصهر !!
وهو متخصص في علوم غير شرعية في الأصل.
حيث هو خريج جامعة البترول والمعادن وعمل في التـدريس فـترة بسيطة ثم فصل ..
والتحق بجامعة الإمام ودرس وحصل على أعلـى النسـب وهـو الآن دكتور في نفس
الجامعة وأظن تخصصه مادة العقيدة ...
قادنا الأخ خالد لعنيـزة وفـي الطريـق توقـف بجـوار أحـد المسـاجد المتقدمة بأطراف عنيزة..
ودخل الشيخ للمسجد وصلى ركعتين سنة القدوم من السفر..
لـم أرى شخصـا محافظـا علـى أداء السـنن مهمـا كـانت الظـروف والأوضاع لم أرى مثل شيخن
في ذلك، لا أقول في كثرة العبادة بل الاستمرارية في كل ظرف .. تعبدا لله تعالى..
أذكر مرة موقفا لن أنساه ...
جاء أحد الطلبة للشيخ وقال له: ياشـيخ أليـس مـن وقـع علـى يـده حائل من وصول الماء
إلى البشرة مـن صـمغ أو دهـان ونحـوه فـإنه يجـب عليـه أن يعيـد وضوءه وصلاته إن صلى
حتى ولو جهل أو نسي أو كان قليلا ...؟؟
قال : بلى...
قال: ياشيخ إن على يدك أثر دهان !!
وفعلا كان على يد الشيخ دهان فشق ذلك عليه ..
وجلس يفكر منذ كم يوم وقع ذلك الدهان على يده؟؟
فقال لي: لقد جاءنا الدهان في اليوم الفلاني وذلك قبل أربعة أيـام !!
استقبل القبلة وأعاد جميع الصلوات للأربعة أيام الماضية بل بسننها والوتر والضحى ..

ولم يعجل في ذلك بل صلى بكل أناة كما هي عادته!!
وكان في تلك السنة يبلغ حوالي تسعة وستين عاما رحمه الله..
ختم صلاته ثم أوصلاني للسكن .. ونسيت حقيبتي في سيارة خالد..
لم أخبر أحدا من الطلبة بسفري برفقته سوى من ذكرت ..
ولكن الخبر انتشر كما تنتشر النار في الهشيم..
وكنت أشاهد من غـالبهم نظـرات الغيـرة الطبيعيـة والـتي فطـرت عليها قلوب الأوادم..
ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه الإخلاص ..
أن الحسد شيء فطر عليه الخلق فهو من طبائعهم ولكن المذموم منه ما ترتب عليه
تعد أو إيذاء بلفظ أو بفعل ...
ولكنني لم أحاول إشغال نفسي بردود الأفعـال علـى ذلـك وعشـت بينهم بكل احترام
وسلام.. ولكن مع بعضهم؟؟
أو مع غالبهم؟؟
سوى صاحبنا ومن يدور في فلكه..!!
ظننت أن ذلك اليوم يـوم عطلـة وليـس هنـاك درس للشـيخ هكـذا ظننت !!
وما اكذب الظن!!
شيخنا لا يفرط في درسه ولو جاء من سفر بعيد قبله بدقيقة !!
أذكر مرة جئت مع الشيخ من الرياض برا ..
برفقة تلميذه الأمير عبد الرحمن بن سعود الكبير ..
وصلنا على أذان المغرب ..
سألت الشيخ : هل الليلة درس ؟؟
قـال : نعـم .؟ بالتأكيـد إن شـاء اللـه اذهـب وأحضـر كتبـك وتـوجه للجامع!!
يقول لي أحد الطلبة الذين حضروا وفاة والدة الشـيخ عليهـا رحمـة الله ..
يقـول فـي ذلـك اليـوم .. توقعنـا بـل جزمنـا أن الشـيخ لـن يحضـر الدرس ؟؟
ولذلك كان الحضور ليس بذاك ومع ذلك حضر شيخنا وألقى درسـه ..
حفاظا على أمانة التعليم ...
وصـدق صـلى اللـه عليـه وسـلم حينمـا قـال : وإن الملائكـة لتضـع

أجنحتها لطالب العلم رضا بما
يصنع...
نسيت أن أقول أن الشيخ أحضـر معـه موافقـة رسـمية مـن مـدير الجامعة
الدكتور عبد الله التركي بقبولي في المعهد العلمي في عنيزة تحت اسم فلان الشمري!!
حيـث كتبـت معروضـا للـدكتور فشـرح عليـه بالموافقـة ..مـع أن الدراسة قد ابتدأت منذ
حوالي الأسبوعين !!

الحلقة الخامسة والعشرون

حضرت الدرس تلك الليلة وجلست في مكاني المعتاد ..
صافحت جاري العزيز !!
فبادلني السلام والكلام غير أن القلوب شواهد!!
في اليوم التالي توجهت صباحا لبيت الشيخ لكي آخذ حقيبتي ..
وكنت واعدت جاري المذكور بناء على طلبه هو !!
أن يوصلني لمنزل الشيخ..
حيث قال لي : أريدك في موضوع...!!
في اليوم التالي ضـحى وفـي الطريـق لمنـزل الشـيخ بـدأ يسـألني أسئلة كثيرة تدور عن أصلي
وفصلي وأين كنت أعيش ..؟؟
وأين يقيم والداي ...؟؟
ونحو هذه الأسئلة الكثيرة التي ارتبت فيها!!
وارتبت في توقيتها بالذات ؟؟
أوقف سيارته أمـام المنـزل وتركهـا مـدارة وبقـي يسـألني بوقاحـة وبقصد الإيقاع بي في
مصيدة..!!
حتى ضجرت وارتفعت أصواتنا بالجدال والنقاش المرير ...
جدال بين اثنين ..
أحدهما رجل عاقل رشيد عمره فوق الثلاثين قد حصـل مـن العلـم والخير والاستقرار
والحظ مالله به عليم..
والآخر ضائع مشتت في مقتبل العمر قليل الخبرة والعلم لا أهل له

ولا بيت ولا مال سوى الله سبحانه
وتعالى ورحمته وفضله ..
قلت له : يافلان ... ؟
مالذي تريده من وراء ذلك ؟ عندها كشف أوراقه
وقال : أنت كذبت في كل ما قلته !!
ولقد عرفت حقيقتك كلها!!
أنت رجل خطير ..
أنت اسم قبيلتك الحقيقية كذا ووالدك هو كذا وكذا ..
ثم أخذ يسرد حقائق ووقائع تدل على أنه قد تقصى عني حتى عرف عني كل شيء!!
ثم ختم كلامه بقوله: أنا اتصلت بوالدك بالأمس وتحدثت معه وأخبرني بأنك فار من المنزل وأنك قد أوقعته بحرج شديد بفعلك وتركك لدراستك ... الخ الكلام ..
ثم حينها : انقلبت تعابير وجهه فاسود وتساقط الشرر من عينيه .. وقال:
أقسم بالله إن لم تغادر عنيزة وتترك الشيخ سأفعل بك وأفعل ...!!
وهددني بكلام لا ينطق به عاقل فكيف بطالب علم !!
لم يكن يهمني كلامه بقدر أن أهمني أن يعلم شيخنا بذلك ...
فرق كبير أن أخبر الشيخ أنا بالحقيقة من قبل أو أن يخبره ذلك الرجل بما يريده..!!
هناك فرق شاسع لمن يعلم طبائع الناس بينهما...
ولا شك أن الحقيقة الناصعة هي سلبية مهما كان الناقل .. أنا أم هو
غير أن الأمر يختلف كثيرا حينما يفسر ولو لم يكن له تبرير منطقي!!
ثم طردني من سيارته وذهب ..
بقيت أمام باب الشيخ منتظرا لأكثر من نصف ساعة وأنا متردد ماذا سأفعل؟؟
إن رجعت للسكن وسكت فالعواقب غير معلومة..
وإن تحدثت مع الشيخ الآن فلا ادري هل سيقبل مني أم لا ؟؟
احترت حيرة لا يعلم مداها إلا الله تعالى...
لقد مرت علي في الشهور الماضية التي قضيتها في عنيزة مرت علي أيام جميلة..

ولحظات لا تنسى من الجد والاجتهاد .. هل يذهب كل ذلك سدى؟؟
هل سيضيع كل ذلك بجرة قلم أو كيد حاسد؟؟
أنا مخطئ لا شك فيما فعلته .. ولكن هل قصدت ارتكاب ذلك الخطأ؟؟
لم أكن مجرما والله أو مرتكبا لعظيمة والحمد لله ..
هي أخطاء ولو كانت في نظر البض جسيمة بنيت على السفه وعدم تقدير الأمور حق قدرها..
بنيت على عدم الناصح والمرشد الصدوق قبل ذلك ..
بنيت على الحرمان والضياع والخوف ...
هل سأحرم من ذلك العلم الجليل بسبب ذلك الخطأ ؟؟
هل سينتهي كل شيء الآن ...؟؟؟

الحلقة السادسة والعشرون

أخيرا قررت أن أطرق الباب على بيت الشيخ ..
وليست غايتي هي حقيبتي أو أي شيء آخر !!
كنت أريد التأكد فقط هل علم الشيخ بكلام صاحبنا ؟؟
طرقت الباب .. فرد ت علي امرأة من سماعة الباب ...
فسألت عن الشيخ ... فقالت من يريده ؟؟
فقلت : فلان.....
فلم تجبني وأغلقت الخط في وجهي ...!!
وبعد دقيقة أو دقيقتين .. خرج الشيخ وبيده الحقيبة ..
ركزت النظر في عينيه ووجهه..
كنت أتوسم في تعابير وجهه ،فرأيت منه ابتسامته المعتادة !!
غير أنها هذه المرة متكلفة ومصطنعة !!!
بل ومعها احمرار شديد في بشرة الوجه !!!
سلمني الحقيبة ببرود متوقع وقال : انتظر الابن عبد الله و سوف يوصلك الآن للسكن..
ثم دخل وقد بدا لي أنه يستعجل الذهاب !!
يبدو أن عبد الله قد وصل برا لعنيزة في الليلة الماضية ..
ولا شك أن هناك أمرا جللا عجله أو شيئا آخر!!!
خرج عبد الله ووضعت الحقبة خلف السيارة ثم جلسنا في المرتبة الأمامية..
الأخ عبد الله رجل جريء وصادق ولا يعرف اللف والدوران ولذلك

دخل في الموضوع
مباشرة!!
وقال: من أنت ؟
ومن بعثك؟
أنت رجل ثبت لنا أنك مخادع وكذاب ..
وكذبت على الوالد في أمور كثيرة .....
وانطلـق يتكلـم بكلام كـثير لا أسـتجمعه ... بقيـت صـامتا طـوال المسافة القصيرة للسكن ..
والتي مرت علي كأنها دهر !!
لم أناقشه ، ولم أحاول الرد على كلامه .. فواضح جدا أنه قـد ملـئ قلبه علي والله شاهد
لم أصدق وصولنا للسكن .. بقيت متسمرا مكاني وخفـت أن يختـم بكلامه بلطمة على
وجهي .. وليته فعل ولم يتكلم بكلامه الذي تفوه به...!!
ثم قال لي : انزل وخذ حقيبتك ...
نزلت ثـم لحقنـي وقـال : واللـه مـا أضـمنك تحـط لـي شـيء فـي السيارة؟؟
ثم حملت متاعي وصعدت لغرفة السكن والحمد لله أننـي لـم أجـد فيها أحدا!!
سقطت على فراشي وبقيت أبكي بكاء الثكلى ..
كان موقفا هائلا وكلاما شديدا يصعب على من هو في سني تحملـه ..
لقد وصفت بأقذع الأوصاف، ورميت بتهم عظيمة لا استحقها واللــه ؟؟
لكن هل ألومهم ؟؟
أنا لا ألوم عبد الله ابن الشيخ ولا عبد الرحمن أخ الشـيخ ولا عائلـة الشيخ
لا ألومهم ولا أحمل الضغينة عليهم والله الآن ..
لقد مرت على تلك القصة سنون عديدة ..
فهي الآن فقط ذكريات بقيت في الخيال ..
هم بشر وقد نقل لهم عني ما يسئ ..
وثبت لهم بعض ما نقل عني فكانت تهمة متلبسة بجميع تفاصيلها!!
يقول رسول الله صلى الله عليه وسـلم (ربمـا يكـن أحـدكم ألحـن بحجته فأحكم له فيقتطع قطعة مـن النـار .. إنمـا أنـا بشـر !!!) إذا

كان هذا من رسول الله فما بالك بمن سواه..
اللوم كثير منه يقع على ذلـك الناقـل اللـذي امتلاء قلبـه حقـدا وغلا علي لا لشيء سوى ظنـه الغـبي أننـي جئـت لأجـل منافسـته علـى المكانة التي حصل عليها من شيخنا..
هل كل من كان أكثر علما هو خير الناس ؟؟
ألـم يقـل رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم إن الحسـد ليأكـل الحسنات كما تأكل النار الحطب ما فائـدة العلـم الـذي تعلمنـاه إذا كان سيوصلنا لهذه الحال...؟؟؟
اللوم أيضا يقع علي أنا في عدم إخبار الشيخ بالوقائع فـور قـدومي لعنيزة ..
ولا اشك ثانية واحدة أن شيخنا لن يـتردد فـي حلهـا بصـرف النظـر عن علاقتي به..
فهو رجل علـم وإصـلاح ورأيـت مـن المواقـف مـا هـو أصـعب مـن مواقفي سعى شيخنا بحلها والإصلاح فيها ...
كدت أجن من الحزن والهم والضيق لم أكن أعلـم مالـذي سـأفعله ...
أذن الظهر فلم أطق الاستعداد للصلاة ...
انتظرت قدوم الشيخ للمسجد.. حيث يمكنني مشاهدته حينما يقدم ماشيا ..مـن نافـذة غرفـتي ... وحينمـا رأيتـه قادمـا زادت حسـرتي وألمي عليه وعلى تلك الساعات التي قضيتها معـه ولـو أنهـا قليلـة ولكنها باهظة الثمن!!
قلت في نفسي: ما ذنب شيخنا من هذا كله ؟؟
أنا الملوم وأنا من يستحق اللوم ؟؟
أنا الذي أسـأت إليـه ويجـب علـي بصـرف النظـر عـن كـبر الخطـأ وصغره يجب علي أن اعتذر منه.. وأشرح له ما حصل ..
استجمعت قواي ونزلت للمسجد وصليت مع الجماعة ..
وبعد الصلاة رافقت الشيخ لبيته ...
لم يكن يلتفت إلي مع أنني كنت أسـير بجـواره فعلمـت أن الشـيخ غاضب مني ..
والله المستعان وعليه التكلان .....

الحلقة السابعة والعشرون

حينما رأيت الشيخ معرضا عني سبب لي ذلك صدمة عنيفة..
صحيح أنني نعمت بظل أبوته لفترة وجيزة من الزمن ..

غير أنها لا يمكن أن تعوض!!
خنقتني العبرة وكدت أبكي بمشهد الناس ..
لاحظ الشيخ ذلك بالتفاتة سريعة منه نحوي ...
فأشار للجميع بالرجوع وبقيت أنا وهو نمشي دون أن نتكلم بكلمة..
واضح أن الأمر محرج للشيخ وأنه شعر في نفسه بخيبة الأمل ..
فقد كان يطمح مني شيئا غير ما فعلت فيه ..
لقد كان اهتمامه بي نابعا من سماحة نفس ورغبة في تنشئتي تنشئة صالحة
وهو فضل منه بعد فضل الله ولو شئت لحدثتكم بكلمات وعبارات من شيخنا
فيها من الرحمة والعذوبة واللطافة أملاء بها صفحات وصفحات ..
غير أن القصد من هذه القصة هو تسليط الضوء على جزء من حياة شيخنا
قصة هو بطلها وهو مخرجها وهو كاتب حروفها غير أني راصد وأحكي لكم ما صار .
والله على ما أقول شهيد...
وصل لبيته ، فقلت له ياشيخنا : اسمح لي بالحديث معك في داخل البيت ..
فقال : لا بأس ...
دخل للمنزل ورد الباب ثم فتح باب الملحق الخارجي ..
وأنا انتظر الشيخ ليفتح باب الملحق مر صاحبنا الذي نفخ بوق هذه الفتنة بجوار المنزل..
فلما لمحني وحيدا وأهم بالدخول للمنزل غاب بسيارته خلف البيوت المجاورة..
أصبحت كالطريدة بالنسبة إليه وخيل إلي أنه كحيوان مفترس يريد النيل مني !!
دخلت للبيت وتوجه الشيخ للقبلة لصلاة السنة الراتبة للظهر...
جلست بجوار مكان جلوسه المعتاد في صدر المجلس ..
صلى ثم سلم ثم دنا من مكانه فقال : هات ما عندك!!
بدأت بحمد الله والصلاة على رسول الله عليه الصلاة والسلام ..
قلت يا شيخنا: لقد كنت شابا حبب الله لي العلم وطلبه..
.. فمنذ التزامي واستقامتي
وأنا منصرف له بكل ما أوتيت من طاقة وجهد ..
ثم رويت للشيخ تفاصيل أموري مما سردت بعضه عليكم في

الحلقات الماضية ..
وحدثته عن مشكلتي مع الوالد .. وكذلك عن سفري للرياض..
ثم تعرفي على سعود المعاشي ..
وقصة الانتساب لقبيلة شمر ... حتى وصلت للقصيم ..
كنت أتحدث معه والعبرة تخنقني ..
وأحاول جاهدا أن لا أفقد أعصابي ..
لم يكن الشيخ يقاطعني بل كان يستمع لي بكل إنصات ..
مع أن ملامح وجهه لم يظهر منها علامات القبول لكل ما كنت أقوله ..
وله الحق في ذلك فالتهمة قد ضخمت حتى وصلت لحد أطلعكم عليه لاحقا..
حيث لم أعرف كل شيء آنذاك...
شيخنا رجل أريب ولماح وشديد الذكاء ..
فهو يميز الغث من السمين ويزن الأمور بموازين دقيقة ..
هذه الموازين والمقاييس أو المعايير ليست مبنية على الهوى والظن والتشكك والبناء على
ذلك.. بل هي مبنية على سبر الأغوار ودراسة المسألة من جميع وجوهها مع خشية الله
تعالى وتأله ومراقبة وابتغاء مرضاته لا تأخذه في الحق لومة لائم .. وهكذا العلماء هم
قال الله تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء)...
بقيت أتكلم أكثر من ساعة كاملة ..
فلما ختمت حديثي قال لي: ما فعلته خطأ وتصرف أهوج ..
ولو أنك أطلعتني من أول الأمر على ما حصل .. لأمكننا التصرف .. ولكن
قدر الله وما شاء فعل...
أذهب الآن للسكن ، وسوف أرى ماذا يمكننا عمله..
قبلت رأس الشيخ وخرجت وأنا خائر القوى لا أكاد أستطيع السير..

الحلقة الثامنة والعشرون

رجعت للسكن وانتقلت لغرفة الأخ محمد زين العابدين بأمر من الشيخ!!

هل هو تحفظ علي ؟؟ لكـي يراقبنـي؟؟ أم كـان ذلـك بسـبب آخـر أجهله ؟؟
كان الأخ محمد هـو غالبـا الوسـيط بينـي وبيـن الشـيخ وقـد لمحـت مرارا
الأخ محمد يلتقي بصاحب الفتنة!!
لا أقصد من ذلك أبدا أن أتهم الأخ محمد ، فراية محمد والله عنـدي بيضاء ولكنه رجل
حصيف يسعى للإصلاح والتقارب بكل الوجوه الممكنة .
لقد كانت ردة فعله طوال المشكلة أنه لم يظهر الانفعال والغضـب بل كظم غيضه
وانتظر ما تصير عليه الأمور بيني وبين الشيخ...
تغيرت الوجـوه علـي وتنكـرت النفـوس وضـاقت علـي الأرض بمـا رحبت ..
أصبح السكن بالنسبة لي ككابوس مخيف ونفق مظلم لا نهاية له
لم يؤذني أحد بكلام أو فعل الحمد لله ،
ولكن كانت مجرد النظرات والصمت الرهيب حولي
يولدان الكآبة والحزن والأسى في نفسي ..
لم يكن الطعام في السكن مع الطلبة لي مستساغا بل أصبح غصة في الحلق ..
ولذلك لم أحرص على مخالطة الطلبة ولا أن أتحدث معهم ..
كنت أطلب من علاء الدين أن يعطيني الطعام فأذهب به لغرفتي
أو أن أنتظر خروج الطلبة فآتي فآكل من الطعام البارد وحدي..
كنت أجلس في الغرفة اقرأ القرءان ..
حينما يمر المرء بأوقات عصيبة فإنه يحتاج لمن يؤنسه ..
لقد كان أنيسي في تلك الليالي القرءان وأنعم به من أنيس..
لقد كنت أقرأ السور بتأن وتـدبر وأشـغل فكـري بمعانيهـا العظيمـة مما أفهمه وأدركه ..
فيكون في ذلك من الأنس والتطمين والترويح ما جعلني أغتبط بمـا أنا فيه!!
من السور العظيمة التي قرأتها مرارا وتكرارا سورة يوسف ..
حيث كنت كلما وصلت لمقطـع انكشـاف شخصـية يوسـف لإخـوته وقد صار سيد مصر
تصيبني نوبة بكاء ثم يتبعه أمل واستبشار قريب بفرج الله تعالى..
من السور التي تأثرت بها كثيرا في تلك الأيام سورة فاطر!!

إن في هذه السـورة مـن المعـاني والعـبر والتوجيهـات والإشـارات العظيمة
مالو تأمله المرء لخرج بآلاف مؤلفة من العبر والفوائد..
من السور التي تأثرت أيضا بها سورة القصص وقصة موسى عليــه السلام وإلقاء
أمه له في التابوت وخوفها عليه ثم عيشه وترعرعه في بيت عدوه
وما وجده في حياته من العنت والمطاردة والخوف حتى بعثـه اللــه سبحانه وتعالى
لفرعون وقومه وبني إسرائيل ...
القرءان يا إخوتي الكرام يا أخـواتي هـو خيـر صـديق ومـؤنس فـي الشدائد
وصدق الله تعالى حينما قال (ألا بذكر الله تطمئن القلوب)

في ذاكرتـي عـن تلـك الأيـام تشـويش رهيـب فكلمـا طرقـت بـاب الذاكرة
لكي تفتح لي نافذة أو كوة أو خرقا صغيرا نحوه ترفض ذلك رفضـا قاطعا ..!!
كأنها تقول لي : مالك ومال تلك الأيام ...!!
ألم يكف ما تجرعته فيها من آلام هائلة!!
دع تلك المآسي في جوفي ، ولا تفتح الباب فتفسد على نفسك مــا بقي من عمرك!!
فيكفيك ما أنت فيه الآن من متاعب أنت في غنى عن المزيـد منهـا ..!!
وخوفي أن يأتيك ما كنت تظنه عـبرة وعظـة للآخريـن فيكـون فـي مجرد ذكره
تعجيل حتفك !!!
فهل تريد الآن أن تنبش الأوجاع وتعيد الذكريات الحزينة!!
قلت لها : دعينا يا ذاكرتي الحزينة دعينا نروي للناس ما حصل حتى يعتبروا من حالي ..
وليعلموا كيف أن رحمة الله سبقت سخطه وعقابه ..
حينما هبت جنود أبليس وأعوانه لنجدة أشرار الناس في النيـل مـن علم الأمة
دعيني أحكي لهم كيف طردني الناس ورموني بالأحجار حتى فررت منهم على قارب

صغير غرقت به في منتصف البحر .. فبقيت أسبح وأسبح حتى وصلت للشاطئ المقابل!!
ولم أكد أصل !!
ثم زحفت على بطني على الرمال حتى ارتفعت على تلة في الشاطئ.. تشرف
على غابة أمامي ...
فتجولت بناظري حولي فرأيت من خلف الأشجار المظلمة ..
عيونا لا تختلف نظراتها عن تلك النظرات التي فررت منها ..
والتي تطورت حالها من مجرد العتاب أو الحقد ليتبعها الإيذاء والمطاردة!!
حينها سقطت مغشيا علي ...
دعيني أروي لهم كيف أن شيخنا لمحني من بعيد ملقيا على شاطئ الأحزان..
فجاء ذلك الشيخ الجليل يسير من داخل تلك الغابة ووقف على رأسي ...
فرآني لا يكاد يسترني ثوب من العري..
قد تشققت أشداقي من العطش ..
وقد ضمر بطني من الجوع
وقد تتابعت أنفاسي الضعيفة من الجهد فكدت اتلف وأموت ...
حينها انحنى الشيخ نحوي ..
ووضع يده الباردة على وجهي ومسح بها دمعتي وقال:
لا تحزن يابني إن الله جاعل لك فرجا قريبا !!

الحلقة التاسعة والعشرون

لقد ولد الصمت الرهيب حولي بعد تلك الجعجعة التي مرت في الرياض ولد ذلك
في نفسي فراغا وخواء ورغبة في الموت أو الانتحار!!
ليس هو الانتحار بمعنى إزهاق الروح بل بالعودة من حيث أتيت !!
لم أترك فكرة تدور في خلد أي إنسان إلا وفكرت فيها ..
بقيت معلقا بين السماء والأرض أيهما يجذبني ..
حين ذلك وأنا في معمعة الفكر استدعيت من الشيخ ..من طرف الأخ محمد زين العابدين
قال لي شيخنا: استمر في حضور الدرس مثلك مثل الآخرين ولا

تقصر في الطلب ..
وسوف أتحدث مع والدك في الموضوع أو أنه قال : لقد تحدثت مع والدك في الموضوع ؟؟
نسيت والله ..!!
والنتيجة : إن خطأك وجسارتك علـى والـدك وهروبـك مـن المنـزل وتركك لدراستك وتغيير
نسبك كل ذلك لا يجوز أن يمنعك من طلب العلم..
كان الشيخ كمثل الطبيب يشخص المرض ويضـع يـده علـى موضـع الألم ثم يقرر الدواء ..
هل سيكون بالبتر أو بالترياق أم بالحمية؟؟؟
قلت له: جزاك الله خيرا إن كلامك هذا يعطيني بصيص أمل ..
لم أطل معه الحديث ...
عدت بعدها للسكن ..
أتعرفون مالذي فعله صاحبنا ذاك؟؟
لقد صار يصحب شيخنا مشيا على قدميه بعد كل صلاة لظنـه أننـي لن أجرؤ على
السير مع الشيخ بحضوره!!
ظن ذلك المسكين أنني بمجرد ذهابي مع الشيخ بعـد الـدرس فقـد كسبت وده ..!!
إذا فما حال عشرات الطلاب الآخرين ؟؟
هذا من فضل الله تعالى علي والحمد لله ..
في البداية هبته وخشيت شره وبطشه خاصة بعـد الـذي فعلـه فـي من إساءة وتشويه سمعه..
ولكنني عدت لسابق عهدي فحينها مل وتراجع !!
ولكنه لم يعدم حيلة لمنعي من الخير ..
كلف شخصا اعرفه جيدا بمراقبتي فكان ذلك المعتـوه يسـير خلفنـا بسيارته السوداء
وينتظرني بعد
كل صلاة فيسير بالسيارة حتى يصل الشيخ لبيته حينها أسـلم علـى الشيخ وارجع!!
شعر الشيخ بعد أيـام بمـا يفعلـه الرجـل فاسـتدعاه وسـأله مالـذي يفعله ومن كلفه بذلك ؟؟
فتعذر بأعذار يعيب علي ذكرها هنا !!
حينما عزمت على حضور الدروس بعد الحديث مع شيخنا ..

وجدت أن مكاني قد سيطر عليه شخص آخر جاء من طرف جـاري القديم!!
ولكنني لم استسلم لهذا التعامل الرخيص البليد...
صرت احضر مبكرا وأنازع على المكان الذي حافظت عليـه شـهورا حتى دان الجميع لي
بذلك..
كنت اجلس بجـوار ذلـك الحقـود ولكـن بينـي وبيـن قلبـه كمـا بيـن المشرق والمغرب!!
والحمد لله يشهد علي جميع من عرفنـي أننـي لـم أتفـوه نحـوه ولا في ظهره بعبارة واحدة
تسيء له.. بل كنت أقـر بفضـله وعلمـه وسـبقه مـع بغضـي لفعلـه معي والله حسيبي وحسيبه
بعد عدة أيام اسـتدعيت مـن الشـيخ مـرة أخـرى وهـذه المـرة مـع محمد زين العابدين..
أذكر تلك اللحظة جيدا كانت بعد صلاة عشاء ..
سرنا ثلاثتنا إلى بيت الشيخ دون مرافق آخر ..
كان الشيخ يتكلم ونحن منصتون، يقول لي:..
فلان قد حمل عليك ويريد منك أن تترك عنيزة وهذا لا حق لـه فيـه ولا أوافقه عليه ..
ولكن أنت يجب عليك أن تحاول كسبه والتودد إليه ..!
أو ابتعد عنه ولينصرف كل واحد منكما لطلب العلم ...
ثم عاتبني الشيخ في تحدثي مع الرجل ذاته سابقا في أمـور تخـص الشيخ وكيف أن الناس سيستغلون ذلك ضدي!!
وأنه زعم أنني جاسوس مدسوس ضد الشيخ !!
وكلفت بالتقرب منه لكي أكسب ثقته ومن ثم أطلـع علـى أسـراره وخصوصياته ..
فابعثها لمن اتبعه!!
فقلت له ياشيخ : هل تصدق هذا الكلام ؟؟
صمت الشيخ ولم يرد أن يسمع الأخ محمد جوابه !!
خوفا من أن يصل الكلام لصاحبنا فيفهم أن الشيخ في صفي وخيرا فعل !!
وعدت شيخنا خيرا وأن استمر في العلـم وفـي دراسـتي النظاميـة إرضاء لوالدي ..
فقال : سوف أتصل على والدك حتى يأتي هنا لكي أتفاهم معه!!

فقلت له : افعل ياشيخنا ما تراه الأصلح وأنا أرضى به ..
ثم طلب الشيخ مني التأخر قليلا ليتكلم مع محمد على انفراد ..
فتكلما قليلا وهما يسران .. ثم دعاني الشيخ..
فكرر علي كلامه السابق كأنه يتوثق مني ثم قال ..
سوف أسافر بعد أسبوعين لمكة لأداء العمرة وسوف اطلب من والدك الحضور لمقابلتي
هناك!!
ولم يذكر لي هل سأرافقه أم لا؟؟

الحلقة الثلاثون

لقد كانت تلك القضية على طوال عدة أيام وقد تتجاوز الأسبوع مثار قلق لشيخنا فأشغلت باله وتفكيره ..
خاصة وان صاحبنا لم يترك طريقة أو وسيلة للنيل مني إلا وفعلها..
ولولا خوفي من غضب بعض الإخوة ممن يعرف الرجل لحدثتكم بأشياء فعلها وقالها لا تكاد تصدق ..!!
لقد سعى صاحبنا في البداية للنيل من شخصي ووجد مبتغاه في بعض الأمور..
ولكنه حينما رأى الوضع توجه للهدوء،أراد إثارة زوبعة أخرى ولكن هذه المرة من داخل بيت الشيخ !!
لا أريد سرد تفاصيل ما حدث مما قد يفهم منه النيل من أبناء الشيخ وزوجه وولده وأقاربه..
فهم والله كرام أبناء كرام ولهم في قلبي كل المعزة والاحترام ويزيد حقهم علي بصلتهم بشيخنا رحمه الله
ومهما بدر منهم فلا ألومهم واللوم كله أو جله يقع على ذلك الرجل وعلي أنا في جزء منه كما سبق بيانه..
لقد سعى صاحبنا ذلك فأفسد قلوبهم علي فرأيت منهم من الجفاء والكره والتأفف
ما حطم فؤادي وشق صدري من الأسى ..
غير أنه لم يكتف بذلك بل إنه أفسد قلب بعض أقارب الشيخ على الشيخ نفسه ..
ولو شئت لذكرت ذلك بالأسماء والمواقع وما قاله، ولكن حفظا لسر شيخنا وعدم الفائدة من ذلك ثانيا أمتنع عن فتح الباب ...

ولقد آذى ذلك شيخنا وضيق صدره حتى حنق على الرجل كما سيأتي ذكره لاحقا إن شاء الله..
مرت الأيام وأوشكت الأمور أن تعود كسابق عهدها ...
تأثر بعض الطلبة بتلك الواقعة حيث هجرني عدد منهم استهجانا لفعلتي ..
انتقل الأخ محمد من السكن وعين الأخ دخيل الشمراني مشرفا على السكن لفترة وجيزة
لم تطل..
استدعاني مرة وكان يحمل في يده ملفي الذي كان في أدراج ملفات طلبة السكن فقال لي:
أنت لست من قبيلة شمر ؟ أنت من قبيلة كذا؟؟
فقلت له : هذا الموضوع لا يعنيك ثم انصرفت وتركته!!
كفاني ما أنا فيه من مشاكل حتى أفتح على نفسي جبهة جديدة!!
أذكر أنني في تلك الأيام التي سبقت سفري أن أموري مع الشيخ كانت على ما يرام..
وفي إحدى الليالي بعد صلاة العشاء طلبت من شيخنا أن يوفر لي جهاز تسجيل صغير..
لكي أقوم بتسجيل فتاويه التي يلقيها في طريقة للبيت مما يصلح للنشر..
أعجب الشيخ بالفكرة ولا أدري هل سبقني عليها أحد؟؟
أشترى لي جهازا ممتازا وباهظ الثمن ولكنه ثقيل الوزن وينفع للضرب!!
لا تستعجلوا علي سأحكي القصة لا حقا!!
طلب مني الشيخ أن أستعد للسفر برفقته لجده ...
حيث أنه رتب مع والدي اللقاء هناك.. بعد أداء العمرة...
لم أجرؤ على أن استفسر من الشيخ ما دار بينه وبين والدي !!
وكنت في نفسي أقول (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسوؤكم)!
اشتريت التذكرة بالدرجة السياحية ... على ذات الرحلة مع الشيخ...
ظن صاحبنا أن الموضوع انتهى وأنني لن أعود لعنيزة فقد كان على اتصال بوالدي طوال
الأسبوعين المنصرمة كما سيأتي ذكره ..
ولذلك لا حظته مبسوطا مستبشرا مع الطلبة
بخلاف الأيام الخالية فهو لا يكاد يرفع رأسه من الغيظ والغضب..!!

سألت الشيخ هل ستعتمر ؟
قال نعم..
فقلت : هل أشتري لي إحراما ؟
فقال : إن شئت...
في يوم السفر توجهت لمنزل الشيخ فطرقت الباب ..
ففتح لي باب الملحق...
لقد فتح لي الباب شاب في سني تقريبا وفيه شبه كبير بوجه شيخنا ..
هذا هو عبد العزيز ابن الشيخ ..
تعرفت عليه ، وفهمت من كلامه أنه سيكون برفقتنا!!

الحلقة الواحدة والثلاثون

قادنا للمطار هذه المرة ابن الشيخ عبد الله وشيعنا للمطار تقريبا جميع أبناءه
كان الشيخ متوترا على غير العادة وقليل الحديث وأنا أتفهم سبب ذلك!!
فلقد كان غالب أبناءه متوجسين من وجودي ويعتبروني دخيلا غير مرغوب فيه..
وصلنا للمطار على موعد الإقلاع تقريبا ...
سألني الشيخ ونحن متجهون للطائرة أين إحرامك؟
فقلت له في الكيس الذي أحمله في يدي..
قال : لو أنك لبسته في بيتك كان أسهل عليك ...
لاحظت أن الشيخ يلبس الإزار من تحت ثوبه بحيث أنه إذا حاذى الميقات خلع ثوبه ثم يلبس الرداء ...
وهذا ما كان ...
بقيت أنا وعبد العزيز ابن الشيخ متجاورين في الدرجة السياحية ..
ووالده شيخنا في الدرجة الأولى حيث هو مستضاف من مركز الدعوة في جده لإلقاء
محاضرات وندوات ولقاءات عامة ونحو ذلك مما سيأتي ذكره ..
كان لعامل السن دور كبير في تسهيل التعامل مع الأخ عبد العزيز

..
وكذلك لين جانبه وتمتعه بالأخلاق السامية جعلا مـن رفقتـه مكسـبا لي ..
حاولت جاهدا أن أغير الصورة التي رسمها ذلـك الرجـل عنـي فـي مخيلة جميع أبناء الشيخ وأقاربه ، غير أنني لم افلح فهو بهـم أوثـق ومنهم أقرب وعلاقته أرسخ وأقدم!!
وأنا في موضع تهمة وغريب وثبت علي ما يخل بوضعي !!
ولكنها بالتفحص والنظر المنصف ليست مبررا للهجـران والقطيعـة أو الظلم والإيذاء!!
بقيت أتحدث أنا وعبد العزيز في أمـور عامـة وتجنبنـا الحـديث فـي الأمور الخاصة فقد كان كلانا متحفظا!!
سمعت كابتن الطائرة يقول على الميكرفون ..
نرحب بفضيلة الشيخ محمد بن صـالح العـثيمين المرافـق لنـا علـى هذه الطائرة ..
بعد انقضاء أكثر وقت السفر واقترابنا من الميقات جاء إلينا الشـيخ بنفسه ..
وهو لابس للإحرام ولحيته تقطـر مـن طيـب الـدهان .. ويـرى أثـره على لحيته البيضاء..
فقال لنا : قوما والبسا إحرامكما ولبيا للعمرة ...
لبسنا الإحرام ولبينا ودخلنا في النسك..
هبطت الطائرة لمطار جده ...
وتوقفت وفتحت أبوابها ...
خرجت أنا وعبد العزيز من الباب الخلفي للطائرة .. وكان همنـا أن نجد الشيخ..
ونحن ننزل من الدرج لاحظنـا عـددا مـن السـيارات الفارهـة تقـف أمام سلم الطائرة لتستقبل ضـيوفا لا نعلـم أننـا نحـن المقصـودون بذلك!!
كان الشيخ واقفا يصافح حشدا من الناس أمام السلم مباشرة ..
توجهنـا للشـيخ فأشـار لابنـه عبـد العزيـز وإلـي أن أركبـا مـع أحـد السيارات..
ركبنا في السيارة وخرجنا من المطار..
وتوجهنا لحي الروضة في جده..
توقفت السيارات أمام بيت فاره كبير ذا لون أبيض ..
أنزلنا حقائبنا وثقلنا ودخلنا البيت لكي نرتاح قليلا..

هذا المنزل هو المكان الذي اعتاد شيخنا النزول فيه كل مرة ينــزل لجده..
وهو منزل الوجيه الشيخ صالح بن إبراهيم الزامل..
هذا الرجـل الكريـم صـاحب المـرؤة العاليـة والنبـل النـادر المحـب للعلماء ..
رجل قد أغناه الله من واسع فضله .. فهو من أثريـاء ووجهـاء جـده يقول لي أحد معارفه:
كان أبو إبراهيم رجلا مقبلا على الـدنيا يملـك القصـور والفلـل فـي سويسرا ولندن وأمريك
ثم إنه تاب إلى الله تعالى وتوجه للطاعة فتصـدق بجـزء كـبير جـدا من ماله ..
يحبه شيخنا حبا جما ، ويكرمه بالنزول في ضيافته كل مرة ..
سمعت من شيخنا ثناء عاطرا علـى هـذا الرجـل ونعـم الرجـل أبـو إبراهيم ..
بارك الله له في ماله وولده..
مكثنا قليلا ووضع لنا الغداء وبعدها توجهنا لمكة لأداء العمرة...
كان مرافقنا بالإضافة إلى الشيخ صالح الزامل هو دليلنـا الآخـر الأخ علي السهلي..
وهــو شــاب محــب للعلمــاء مــن ســكان جــده ويتحفــك بالحــديث والطرائف ..
فيكون النصب والإرهاق في صحبته متعة!!
بارك الله فيه وجزاه الله خير الجزاء...
كان الشيخ طوال الطريق يلبي ويرفع صـوته بالتلبيـة .. حـتى يكـاد يبح صوته من ذلك..
كنت أراقبه وأفعل مثل ما يفعل وأقول مثلما يقول...
وكان يقطع أحيانا ذلك بالحديث معنا والسؤال عن شيء يهم..
غير أنه في الغالب لا ينقطع عن الذكر والتسبيح...

الحلقة الثانية والثلاثون

وصلنا للحرم قريبا من أذان العصر
صلينا العصر في الحرم ...
كان الشيخ يقول : سبحان الله، انظروا، توضأنا في عنيزة وهــانحن نصلي في مكة!!

اضطبعنا كما هي السنة ثم بدأنا بالطواف..
كان الشيخ يسرع في خطاه حتى يكاد أن يجري .. وهـو مـا يسـمى الرمل
وكنا نفعل مثل ما يفعله خلافا لكثير من الطائفين ..
لاحظنا أحد العاملين في تنظيم المعتمرين حول الكعبة ..
وهو رجل كبير في السن عليه عباءة مزررة باللون الذهبي..
مر بجواره الشيخ فلم يعرفه فنادى على الشيخ : إن ما تفعله بدعة وخلاف السنة..!!
فلم يلتفت إليه الشيخ ولم يرد عليه..
وحينما مر بجواره المرة التالية كرر عليه الكلام ..
حينهـا رد عليـه الشـيخ وهـو يسـير (والرجـل يلهـث خلفـه ويمسـك بمنكب الشيخ يريد إيقـافه!!) قـائلا : قـد ثبـت بـالنص أن ذلـك مـن السنة وروى له الحديث .. ثم دفـع يـده واسـتمر.. ثـم قـام الشـيخ صالح الزامل وهمـس فـي أذن الرجـل وقـال لـه : الشـخص الـذي تتكلم معه ، هو الشيخ محمد بـن صـالح العـثيمين عضـو هيئـة كبـار العلماء!!
تـأفف الرجـل وقـال : لا حـول ولا قـوة إلا بـالله ،واللـه مـا عرفـت الشيخ ..
بعد انقضاء الأشواط الثلاثة الـتي يرمـل فيهـا ، مشـينا مشـيا عاديـا ولحق ذلك الرجل بنا واعتذر من الشيخ ..
لا يحب شيخنا أن يعرف نفسه لأحد فذلك ليس من شيمه ..
إلا إن رأى حاجة لذلك ..
من المواقف التي أذكرها جيدا ..
في سنة من السنوات كنت أسعى بين الصفا والمروة معه ...
وكان الشيخ بطبيعة الحال محرما ..وكثير من الناس لا يميـز جيـد ا حينما يكون محرما..فهو بخلاف الشكل المعتاد له..
مررنا بجوار رجل في الخمسينيات يحمل مصحفا فـي يـده ويلبـس نعلا في المسعى..
فاقترب شيخنا منه وقـال لـه: لا ينبغـي لـك يـا أخـي أن تسـير فـي المسعى بنعلك..
فالتفت للشـيخ ولـم يعرفـه وأخـذه طـولا وعرضـا وقـال: هـذا مـن السنة!!
فقال له الشيخ : نعم هذا من السنة حينما كان الصفا والمروة واديا مفروشا بالحصى والتراب.. أمـا الآن فهـو مبلـط ولـو لبـس النـاس

النعال مثلك لتأذى المصلون من ذلك ..
فقال الرجل : هذا أمر لا يعنيك وانصرف وترك الشيخ !!
فلحقه شيخنا وقال له : أريد أعرفك بنفسي ، أنا أخوك في الله محمد بن صالح العثيمين!!
فقال : هو أنت ؟؟
الشيخ؟؟
قال : نعم أنا !!
فانحنى الرجل وحمل نعله وقال : والله ياشيخ ما عرفتك سامحني!!
وقبل رأس الشيخ واعتذر منه ... وهي تحية تعورف أنها للعلماء!!
فقال الشيخ : سامحك الله يا أخي .. لو أنك عرفت الرجال بالحق خير من أن تعرف الحق بالرجال!!
ومن المواقف التي أذكرها جيدا .. أنه ذات مرة كان الشيخ خارجا من باب الصفا من الدور الثاني بعد صلاة العشاء .. فلمح عاملا سعوديا في البلدية يطارد امرأة تكر ونية ممن يبعن أمام الحرم بعض الخردوات والزينة والنعال.. كانت تجري وتحمل متاعها الملفوف في قطعة قماش وتصيح وتولول.. والرجل يجري خلفها يريد الإمساك بها..
وكانت امرأة كبيرة في السن وهو شاب نشيط فلحقها على درج أحد البيوت فأمسك بمتاعها.. فأخذت تصيح وتترجاه وتبكي بصوت محزن يقطع الفؤاد ..
وهو لا يلتفت إليها ولا يرد عليها..
فرأيت الشيخ أحمر وجهه وامتلئ غضبا وتوجه لذلك الرجل ..
فأمسك به بشدة ونزع القماش من يده وألقاه في يد العجوز فطارت به واختفت عن ناظرنا..
وقال لذلك الشاب الذي صعق من الموقف ولم يتوقعه ويستعد له.. وكانت علامات الخوف والتعجب ظاهرة على ومحياه قال له: اذهب لمديرك وقل له إن ابن عثيمين قد أطلق تلك المرأة وسوف أتحمل المسئولية عن ذلك !!
أعتذر من الشيخ وقبل يده ورأسه وانصرف ...

الحلقة الثالثة والثلاثون

وهكذا انتهينا من مناسك العمرة وكانت سهلة ميسرة ..
واعتمرت عمرتي التي أعتبرها أول عمرة أعملها قريبة أو هي على السنة على الإطلاق..
توجهنا للحلاقين اللذين على باب المروة ..
وكعادتهم يصرخون على المعتمرين كل ينادي على محله..
فاختار الشيخ رجلا كبيرا في السن من الباكستان ولحيته حمراء ..
وقال ذلك الرجل له : أنا أعرفك أنت فيه مطوع كبير !!
حلـق الشـيخ وحلقـت، وأبـى عبـد العزيـز أن يحلـق بـل كـان يريـد التقصير ..
فقال له الشيخ : ياولدي أكسب دعوة رسول الله حيث دعا مرتيــن للمحلقين ، ففعل..
انتهينا من الحلق ، وتوجهنا للسكن وهي عبارة عن شقة تابعة لأحـد أصحاب الشيخ
تقع أمام باب المروة مباشرة ، وقد هدت لاحقا ...
حصل لي في تلك العمارة موقفان لا أنسـاهما أبـدا .. ولعـل فيهمـا طرفة !!
واسمحوا لي أن أحكيه لكم فيها لا تخلوا من فائدة ودعابة !!
كانت الشقة التي نقيم فيها في الدور الأخير وهو العاشر ..
وذات مرة في إحدى الزيارات لمكة .. صـعدت مـع الشـيخ .. علـى مصعد الشقق الوحيد
وصعد برفقتنا الشيخ سعد البريك الداعيـة المعـروف والمقيـم فـي نفس العمارة ..
نزل الشيخ سعد في طابقه وغادرناه لطابقنا العاشر..
وفجأة توقف المصعد عن العمل وبقينا معلقين بين طابقين..
ضغطت على زر النداء فلم يجبنا أحد وكدنا نختنـق مـن الحـر وقلـة الهواء..
عندها قمـت بـدفع بـابي المصـعد وفتحتهمـا بعـد محـاولات عديـدة وبالكاد فتح!!
ولكن تبقى المشكلة أنه معلق بين طابقين، ولكن مـن رحمـة اللـه بنا أن بقيت في أسفله
فتحة بسيطة .. يمكن المرور منه
ولكن بمشقة ، وفيها خطورة حيث من الممكن أن يتحرك المصـعد في أي لحظة فيحصل
مالا يحمد عقباه !!

نزلت أنا أولا فخرجت بنجاح ، وبقيت ألح على شيخنا بالنزول حــتى وافق على
مضض..فتدلى من الباب فخرج والحمد لله !!
ولولم نفعل ذلك لهلكنا بلا شك ..
والموقف الآخر ،
ذات مرة جئنا لنفس السكن ولكن هذه المرة كان المصعد عطلانــا بالمرة ولا يعمل..
فكان الواجب علينا الصعود على الدرج لعشر طوابق ..!!
صعد الشيخ بكل خفة ورشاقة أمـا أنـا فتعـثرت مـرارا وهممـت أن أرجع للحرم وأترك
الشيخ!!
فكان الشيخ يسحبني ويجرني وهو ابن السبعين حتى وصـلت وكـاد نفسي ينقطع!!
غير أن الشيخ حينما وصل للسكن تذكر أن لديه مكالمة مـع الأميـر عبد الله ولي العهد ..
وهي ضرورية ولا يمكن تأخيرها ..
فقال لي : احضر الهاتف لكي اتصل .. فبحثت عن جهاز الهاتف في كل غرف الشقة..
فلم أجده فتتبعت سلك الهاتف الموصل بـالفيش فوجـدته موصـولا بغرفة مغلقة وليس لدينا لها مفتاح!!
علمت من وجه الشيخ وملامحه أن لا خيار لديه ..
فقررت النزول لشراء جهاز له ..
فقال لي: سوف انزل معك ..
قلت له : أبدا ، وكنت أعلم أنـه سـينزل معـي مجاملـة لـي تخفيفـا للمشقة!!
وخوفا علي من أن أموت قبل الرجوع!!
فأصر على النزول معي فأذعنت لذلك ..
نزلنا وما أسهل النزول كما ما أسهل الهدم !!
نحن أهـل الـدعوة نبنـي ونتعـب ونعـاني أمـا أهـل الشـر مـن أهـل العلمنة والنفاق فيهدمون وما أسهل ذلك فالكـل يقـدر علـى الهـدم لمن لا ضمير له أما البناء فهي مهنة الشرفاء ..
جعلنا الله منهم..
بحثنا في المحلات فوجدنا أجهزة متعددة ومختلفة الأسعار ..
فكنت أريد شراء جهاز معقول الثمن حيث أننـي علمـت أن حاجتنـا

إليه لمكالمة واحدة فقط..
غير أن الشيخ له رأي آخر !!
بحث عن أرخص جهاز بالسـوق وقيمتـه عشـرة ريـالات وهـو أشـبه بلعب الأطفال!!
فقلت له : ياشيخنا هذا ما ينفع لشيء !!
قال : ياولدي مكالمة واحدة فقط !!
فأخذناه واستحييت والله من شراءه ولكن هذه هي رغبة الشيخ ..
وليس هذا بخلا منه كما قد يظن بعض أهل الغفلـة بـل الشـيخ مـن أكرم الناس
كما يشهد بذلك من عرفه ولكنه مقتصد على نفسه بأقصى الحـدود رحمه الله وعفا عنه..
صعدنا الدرج ويا للعذاب !!
فظن شرا ولا تسأل عن الخبر..
وصلت للشقة فرميت نفسي تحت دش الماء واغتسلت من العـرق والجهد!!
دخل شيخنا وأراد إصلاح خط التلفون فما استطاع فـانتظرني حـتى خرجت من الحمام..
فقال : تعال أصلح لي الهاتف..
فتأملت ... ثم
قلت له : ليس من سبيل سوى بقطع سلك تلفون صـاحب المنـزل وتوصيله..
فأبى الشيخ وقال : هذا ليس من المرؤة هل تريده يقول : أفسـدوا سلك تلفوني!!
فقلت له : ما العمل ؟؟
فبحثنا وتتبعنا السلك حتى وصلنا لفيش التلفون ..
فقمت بفكـه بسـكين ووصـلت أسـلاك تلفوننـا المبتـذل ولكـن أيـن اللاصق الذي يثبته!!
فقلت : ياشيخ التلفون يعمل ولكن نحتاج للاصق فهـل سـننزل مـن اجله للسوق ؟؟
فقـال : كلا بـل أوصـل السـلك بيـديك وأمسـك بـه حـتى أنهـي المكالمة!!
كانت فكرة شاقة ولكنها أهون على نفسي من النزول من الدرج ..
اتصل شيخنا على مكتب الأمير .. فرد عليه عامل البدالة .. فعـرف الشيخ بنفسه ..

فرحب به الرجل وقال له سأوصلك بطويل العمر..!!
فاستمر في الانتظار دقـائق معـدودة حـتى يوصـلوه بـالأمير وكنـت خائفا والله ..
أن يرد طويـل العمـر فيسـقط السـلك مـن يـدي فأحاسـب حسـابا عسيرا !!
ولكن الله سلم ..
كلم شيخنا الأمير وقضى منه مـا يريـد ثـم لففنـا التلفـون وأهـديناه لأولاد صاحب البيت لكي يتسلوا به!!

الحلقة الرابعة والثلاثون

كما سبق وذكرت فقد نزلنا بشقتنا الواقعة مقابل المروة..
ولم نشعر بالتعب والإرهاق خاصة بوجود الأخ علـي السـهلي اللـذي وهبه الله موهبة الطرافـة الفطريـة ، فهـو يتلفـظ بكلمـات تجـبرك على الضحك والوناسة إجبارا!!
نمنا ليلتنا تلك في مكة...
صلينا الفجر في الحرم وفي وقت الضحى توجهنا لجده...
كان معنا في سيارة الشيخ صـالح جهـاز تلفـون سـيار قبـل معرفـة أجهزة الجوال..
اتصل شيخنا على شخص .. فسمعته يكنيه بأبي محمد !!
ثم التفت الشيخ إلي .. ففهمت من نظراته أنني معني بمن يتحدث معه..
أوشك قلبي على التوقف من الرعب !!
وتصببت عرقا ، وصار الدم يغلي في عروقي ...
حيث علمت انه يكلم والدي !!
غير أنني لا حظت شيخنا يتكلم معه بكـل هـدوء فخفـف ذلـك علـي هول الصدمة..
ثم سلم شيخنا سماعة التلفون للشيخ صالح حتى يصـف لـه منزلـه في جده!!
لا أستطيع أن أصف مشاعري في تلك اللحظات ..
كانت مشاعر متضاربة ... ولكن يطغى عليها الخوف ..
لا أدعي أنني كنت مسرورا أو متشوقا للموقف!!
فقد كنت كسجين هرب من سجنه!!
منذ حوالي الخمسة شهور..

لا أقصد أن حياتي كانت سجنا بل التوصيف القريب أن تسمى انعتاقا وتحررا من القيود!!
وإن كان ولا شك أن والدي عليه الرحمة والرضوان لا يقصد من وراء ذلك سوى مصلحتي
ولكن ... هل كل من قصد شيئا وفق؟؟
هل كل صاحب دعوى هو مقبول على الإطلاق؟؟
أليس كل أحد معرض للخطأ في التوصيف والملاحظة مما يبنى عليه
خطأ في اتخاذ القرارات..
أليس رسولنا صلى الله عليه وسلم وهو سيد البشر أخطأ؟؟
كما فعل مع ابن أم مكتوم فعاتبه رب الجلالة من فوق سبع سماوات؟؟
ولكنني لو رجعت للوراء لكان تصرفي مختلفا للغاية ، فالحمد لله على ما قدر...
لم يظهر على شيخنا أي ارتباك أو حرج من ذلك الاتصال كما هو حالي..
وصلنا لجده فوجدنا حشدا كبيرا من الناس في انتظارنا..
جده هذه هي مدينة الشيخ محمد العثيمين!!
يحب شيخنا أهلها وهم أشد حبا له..
وسمعت شيخنا مرارا يقول ذلك
ولذلك حينما يعاتب على حظ جدة منه بخلاف المدن الأخرى
يقول هؤلاء هم جيران الحرم فلا تلومونا بحبهم!!
ولذلك من الملاحظ كثرة طلبة الشيخ في عنيزة من أهل جده ..
وأما الحضور الكثيف لمحاضرات الشيخ في جده فذلك لا ينافسهم عليه أحد..
نزلنا في منزل الشيخ صالح ..
فبدا أن المجلس يغص بالناس .. غير أن هناك ضيفا مميزا في تلك الجلسة لاأنساه!!
دخل علينا رجل حجازي الطلعة ، هادي الطباع ، حليق الذقن .. مؤدب ..
فيه سكون لا تكاد تسمع له حسا ...
تقدم في المجلس ، وحينما رآه الشيخ .. قام له .. وصافحه بحرارة..
لم يكن وجهه غريبا علي ، فقد سبق أن رأيته ...

ولكنني لم أميز شخصه؟؟
فبقيت أحملق فيه وهو جالس بجوار الشيخ لا يكاد يرفع رأسه من الخجل..
وبعد التدقيق والتمحيص ، انكشفت لي شخصيته ...
فصعقت ، وتعجبت ، وما توقعت أن أرى ذلك أل....!!!
بجوار الشيخ !!
إنه المغني المشهور محمد عبده !!
مالذي أتى به ؟؟
ومن دعاه؟؟
يقيم محمد عبده بجوار منزل الشيخ صالح الزامل وله جامع كبير هناك قد بناه محمد عبده على نفقته ..
سمعنا جميعا بتوبة هذا المغني ..
وكان لقاءنا به في تلك الأيام التي أعلن توبته من الغناء واعتزاله له وليته استمر بذلك..!!
غير أنه مورست عليه ضغوط من جهات معروفة..
فسوغت له الباطل فعاد له والله حسيبنا وحسيبه..
زينوا له أن الغناء مباح خاصة منه ما يسمى بالغناء الوطني ..
كان شيخنا مهتما بمحمد وزاره في بيته مرارا ..
تثبيتا له على الحق ولكن الله لم يرد ذلك (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)
ورأيته مرة يجلس مع الشيخ لوحده وكان يشتكي له من شدة الضغوط عليه ويبكي فكان شيخنا يصبره ويذكره بالله ..
ولقد تبرع لنا الأخ محمد بتبرعات جليلة لقضايا إسلامية عديدة عفا الله عنا وعنه لعلي أذكرها لاحقا..

الحلقة الخامسة والثلاثون

كان ذلك اليوم فيما أذكر يوم خميس
ووضع لنا الغداء في الفيلا المجاورة والتي هي أيضا تابعة لفلل الشيخ صالح الزامل
وذلك لكثرة الضيوف وازدحام الملحق بهم ..
غير أني لم أجد لذلك الطعام أي لذة رغم تنوعه وفخامته و لكن لم يطب لي الحال!!
فقد كنت قلقا للغاية ، فوالدي قد يدخل علينا في أي لحظة..

ولا شك أنني لم أكن أحب رؤيته وأنا في جمع من الناس ..
كنت أراقب الباب وأراقب الشيخ محمد حيث أن التلفون الثابت وضع بجواره وينتظر مكالمة الوالد...
انتهينا من الغداء وقدم لنا الشاي وبدا المجلس بالانفضاض..
ولم يكن أحد يعلم بقدوم الوالد سواي والشيخ محمد والشيخ صالح ..
بقيت مع الشيخ محمد وذهب الآخرون للقيلولة ..
وأجهد الشيخ من الانتظار فدخل غرفته ونام..
أذن العصر وتوجهنا للمسجد..
وبعد الصلاة عدنا للبيت ..
وبعد نصف ساعة من الصلاة .. رن جرس الهاتف...
فرد الشيخ صالح الزامل .. فعرفت من كلامه أنه الوالد ..
وصف له المنزل وصفا دقيقا.. ثم أغلق السماعة..
ناداه شيخنا وهمس في أذنه وطلب منه أن يوفر لنا مكانا منعزلا عن الآخرين ..
كان التوتر على أشده مني ، بينما شيخنا كأن على فؤاده قالب ثلج!!
وهكذا الرجال اللذين طحنتهم الحياة طحنا وتعلموا من دروسها يواجهون المصاعب بكل ثبات وروية واتزان...
ذهبت برفقة الشيخ صالح للفيلا المجاورة حيث سأستقبل الوالد قبل قدوم الشيخ..
بقيت في الخارج واقفا في الشمس .. ولا يقر لي قرار..
كنت أتصور غضب الوالد وهو رجل غضوب من طبعه فكيف وهو في هذا الحال؟؟
حيث مضى على هروبي من المنزل حوالي الخمسة شهور ...
بعد دقائق تقدم حارس الفيلا وفتح الأبواب الضخمة ودخلت سيارة جمس كبيرة لونها احمر وأسود وهي سيارة الوالد التي عهدت..
حينما دخلت مقدمة السيارة وكان بلاط الفناء مرتفعا عن مستوى الشارع لم يظهر لي وجه الوالد..
و لكن حينما استوت السيارة رأيت وجهه ..
لحيته بيضاء مختلطة بالسواد كما عهدته ووجهه عابس بل عليه علامات الغضب والانفعال.. وهذا ما توقعته بالتأكيد !!
كان مشهدا مضطربا يصعب علي وصفه ..
تقدمت لباب السيارة بعد أن استدار بها وأوقفها تحت المظلات ..

ففتحت الباب فانكببت على يد والدي وقبلتها وقبلت جبهته ..
فأشاح بوجهه عني ولم يرد السلام علي ..
لم أتضايق مما فعل فأنا أستحق منه أكثر من ذلك !!
لم ألاحظ أن معه شخصا آخر سوى حينما سلم علي، فاستدرت للصوت..
فرأيت أحد أصدقاء والدي اللذين يحبهم ويثق فيهم وهو الأستاذ مشرف الزهراني الأستاذ مشرف رجل عاقل ورزين ويثق والدي بنصحه ولذلك كانت صحبته للوالد ذلك اليوم من رحمة الله بي...
دخلنا لغرفة صغيرة ملحقة بالفيلا حيث تضمن لنا خصوصية كاملة..
جاء الشيخ صالح حينما علم بقدوم الوالد فصافح الوالد بحرارة شديدة كما هي عادته مع ضيوفه ولم يكن يعلم بالموضوع الذي بيني وبين الوالد ، فأخذ الشيخ صالح يثني علي وعلى حرصي على العلم وأن أعظم توفيق لله لي أن جعل لي قبولا لدى إمام الأمة الشيخ بن عثيمين .
لاشك أن تلك العبارات الصادقة التي نطق بها الشيخ صالح والتي خرجت منه بدون قصد حيث هو لا يعلم عن القصة أصلا ولم يخبره أحد بها ،كان لتلك الكلمات أثر في الموضوع فكأن معناها .. يا أبا محمد لا داعي للقلق فقد حفظ الله لك ابنك فليس هو كمن هم من أترابه من الشباب اللذين اشغلهم اللهو فأضاعوا دينهم ودنياهم بل إن الله هيأ لابنكم مكانا لا تستطيع أنت ولا غيرك أن يضعه فيه بل هو فضل خالص من الله عز وجل !!
أحضر لنا القهوة والشاي وكنت أخدم الوالد وصاحبه ...
ولم نكن نتحدث بل كان الصمت رهيبا والهدوء منذر بشر مستطير ..!!
هذا ما تخيلته وتوقعته...

الحلقة السادسة والثلاثون

بقينا في انتظار قدوم الشيخ ولم يطل الغياب ..
دلف شيخنا للمجلس فوقف إزاء الوالد فصافحه ورحب به وصافح رفيقه ثم جلسو
كنت أراقب وجه الشيخ ووجه الوالد ..
كان وجه شيخنا كما سبق وذكرت على محياه الهدوء والسكينة
أما وجه والدي فقد كان على وجهه علامات الحيرة والخجل !!

فهو محتار مما سيقول وخجل من الشيخ صاحب المقام الرفيع..
أما أنا فإنني لا يحق لي الكلام بعبارة واحدة!!
فمن رأسي البليد خرجت كل هذه المصائب!!
قرأت في كتاب الحيدة والذي يروي قصة المناظرة المشهورة بين أحد علماء السلف (نسيت اسمه) وبين بشر المريسي إمام الجهمية وذلك في مجلس أمير المؤمنين المأمون..
حيث وصف ذلك العالم كيف أنه أصابته هيبة الموقف بين يدي الخليفة بالقشعريرة والارتباك، فلاحظ ذلك المأمون وكان رجلا داهية .. فأخذ يتحدث مع الشيخ في أمور خارج الموضع الذي جاء من أجله نحو أحوال المدينة التي قدم منها وكيف الغلاء والرخص في الأسواق وهل جاءهم غيث وما حال الزرع والضرع ونحو ذلك.... يريد من ذلك كله أن يلطف الجو
المشحون ويذهب الروع عنه ...
وهكذا فعل شيخنا ذلك اليوم ..
أخذ يتحدث مع الوالد ويسأله عن عمله وكيف أحوال الطائف وعن الأمطار ونحو ذلك
كنت أرقب في وجه والدي الابتهاج..
وأخذت أسارير وجهه بالانفراج رويدا رويدا حتى إذا ما شعر الشيخ بتهيئته بدأ شيخنا في الحديث في الموضوع الأهم!!
قال الشيخ : تعلمون أن الأخ فلان (كنت أتمنى أن يناديني بالابن وأظن الشيخ تعمد ذلك لحكمة يقصدها فتأمل!!) قد جاء لعنيزة من أجل طلب العلم وقد لاحظت منه حرصا على العلم وصدقا في الطلب فقربته مني وصحبته معي في بعض أسفاري فرأيت منه ما أسرني وتأكدت من أمانته وحرصه على التحصيل العلمي..
غير انه قام أحد طلبتنا بالاتصال عليكم وتأكد من حاله وأنه هارب من بيته وجاء بغير إذن والديه فغضبت منه وحصل أن اتصلت عليكم مرارا فدار بيننا الحديث الذي تعلمه وحددنا هذا الزمان لكي نلتقي واحضر لكم ابنكم فلان لكي ترونه ونقرر في حاله ماهو الأصلح والأرشد له ..
سكت الشيخ ثم بدأ الوالد في الحديث ...
من عادة والدي إذا أراد الحديث الجاد أن يخلع شماغه ويضعها على حجره ويتكلمبصوت خافت وهادئ...
قال : فلان فعل فعلا لم يفعله أحد من الناس ، عصاني وعصى أمه وترك دراسته وهرب من المنزل ..

قاطعه الشيخ !!
وقال : يا أبا محمد لا داعي أن تذكر لي مـا سـبق أن سـمعته منـك ...خاصة وأن وقتي ضيق
للغاية ولدي محاضرة الليلة والناس تنتظرني في الخارج ..
سوف أعرض عليك أمرا وأنت قرر ما تراه في ابنك..!!
شيخنا رجل حازم ويحب الدخول في صلب الموضوع مباشـرة ، ولا يحب الانشغال بتفاصيل قد تبعد عـن الواقعة الحادثة لتنتقـل نقـدا وتمحيصا لما مضى وفات..
قال له :
أريدك أن تترك فلانا عندي في عنيزة وسوف أسجله في المدرسـة الثانوية لكي يكمل دراسته ، ولك علي يا أبا محمد أن أراقبه وأربيه كما أراقب وأربي أحد أبناءي وثق تماما أنـه سـيكون تحـت رعـايتي ومسئوليتي بعد رعاية الله سبحانه فلا تمنعه من العلم وطلبه....
أيها الإخوة والأخوات يصيبني الخجل وأكاد أذوب مـن الحيـاء حينمـا سمعت هذه الكلمات من شيخنا رحمه الله ..
والله الذي لا إله سواه لم أتوقع أن يقول شيخنا مـا قـال ولا خطـر في بالي ..
حينما تقرءون سـيرة شـيخنا وذلـك حينمـا انتقلـت عـائلته للريـاض وكان شيخنا من تلاميذ العلامة الشيخ عبد الرحمن الناصر السـعدي فكان لزاما أن ينتقل التلميذ للرياض مـع عـائلته ولكـن الشـيخ ابـن سعدي طلب من والد الشيخ محمد أن يبقيه في عنيزة حتى يستمر في الطلب ..
أنا لا أقارن نفسي والله بهذين العلمين الكبيرين ولكن أحكـي ذلـك الموقف النبيل من شيخنا عليه سحائب الرحمة والرضوان ...
لم يدر في خلدي أن شيخنا سيقول ذلك ولم يكن متوقعـا مـا قـاله الوالد..
قال والدي وبكل ثقة واطمئنان....
مادام فلان هو في رعايتك وتحت مسئوليتك فأنا أوافق على بقـاءه في عنيزة
بشرط أن يكمل دراسته ويجتهد فيها ويبتعد عن رفقة السوء ..
وله علي ياشيخ محمد أن أرسل له نفقة شهرية قدرها ألفين ريـال ..

الحلقة السابعة والثلاثون

أكاد أعجز أحيانا وأقف محتارا في صياغة بعض العبـارات المناسـبة في توصيف بعض الأحداث !!
إن لكل كلمة رنينا خاصا ولحنا مميـزا ولكـل عبـارة وزن لا بـد مـن مراعاة نغماته حتى تعطي الانطباع الصادق لما ترمي إليه !!
بالمختصر ذلك أكبر من طاقتي !!
ليتني شاعرا أو أديبا حتى أنطق بما يعتلج بدواخل نفسي ...
صدقوني أيها القراء الكرام أنني حينمـا أتـذكر تلـك الأيـام أو أكتـب عنها ..
فإنني أعيش في جنباتهـا كالسـائل الحـائر المسـكين يحضـر توزيـع الغنائم أو الإرث!!
ما ذا كان حالي تلك اللحظات ؟؟
كيف اصف مشاعري حينما سمعت ماقاله شيخنا؟؟
كيف أصف حالي حينما سمعت والدي يقول ما يقول؟؟
بكيت والله ، بكيت بكاء فرح ومرارة معا ..!!
ذرفت الدمع وكاد أن يكون نهرا جاريا من دمي ...
بكيت من الألم الذي اكتويت به طوال تلك الشهور التي مرت علي كقرون ..
من الطائف لأبها للرياض لحائل ثم للقصيم وبينها أمور لو تعلمونهـا لا أخالكم تودون معرفتها !!
دعوها لي فأنا لوحدي أكتوي بها وأجري على الله ...
قمت لوالدي فقبلـت يـديه ولـو قـدرت لألبسـته تاجـا مـن ذهـب أو سورته سوارا من ياقوت!!
ولكن هل هذا ما يريده أبي ؟؟
هل يريد أبي مني جزاء أو شكورا ؟؟
ماذا يريد كل أب من ولده؟؟
إن أجمل دعاء يحب كل واحد منا عن ولده أن يقال له...
جعله الله قرة عين لك ...
نريد أبناءنا أن يكونوا قرة عين وكفى !!
أما شيخنا محمد .. فسأبقى أبد الدهر أدعو له حتى يجمعني الله به بحوله وكرمه في جنات النعيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر ...
لم تنتهي القصـة ولـم أختـم المقـال رغـم قصـره سـوى لأعطيكـم فرصة أيها السادة الكرام أيتها السيدات الكريمات لكي تستخلصـوا العبر مما مضى ..وتعلقوا ماشئتم ..

وسوف ألقاكم بعـد أسـبوع مـن مقـالي هـذا لكـي نسـتأنف الجـزء الثاني من القصة..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
أخوكم ومحبكم مالك الرحبي أبو عبد الله..

رحلتي إلى النور الجزء الثاني

الحلقة الثامنة والثلاثون

سوف أستأنف ما بدأته بلا تغيير في أسلوب الطرح
وسأحاول الإطالة ما استطعت لذلك سبيلا بنـاء علـى رغبـة الإخـوة والأخوات ..
انقضى ذلك اللقـاء وقمـت للوالـد وجلسـت بجـواره وتحـدثت معـه حديثا مقتضبا حيث كان هو في عجلة من أمره ..
وشيخنا قد غادرنا لمجلسه المكتظ بالضيوف ..
بعد أن اتفقنا على عودتي مع الشيخ ثم التوجه للطائف بعد عشـرة أيام...
للسلام على الوالدة والإخوان والأخوات ومن ثم نقل مكتبتي وحاجياتي لعنيزة..
قلت للوالد : تصدق، من في المجلس مع الشيخ ؟؟
قال : من؟
قلت له : المغني محمد عبده !!
تعجب من ذلك ونظر لرفيقه مستغربا ..
كنت أريد من ذلك ملاطفته ،ولكنه ما زال في نفسه شيء علي ..
غير أنه رحمه الله تناسى مع الأيام تلك الفعلة الشنيعة مني،
وأصـبحت صـفحة قديمـة باليـة ،هـا أنـذا أخرجهـا لكـم مـن أدراج الذكريات
البالية لأنفض عنها الغبار وأطيبها بطيب الورد والمسك
وأطرحها طرحا كما هي ولكن برائحة جديدة وطعم جديد!!
ودعني الوالد ووضع في جيبي ألفا ريال عدا ونقدا ..
فكانت في جيبي كشهادة تخرج من بيت أبي محمد ..
وبالإذن لي بالانتقال لكنف شيخنا العلامة محمد بن عثيمين ..
عليهما الرحمة والرضوان....
خرج الوالد من المنزل وكنت أرقبه وعيني تترقرق بالدموع..
كان المشهد محزنا لي وتمنيت أن ألحق والدي وأقول له..
لا تقلق يا أبي ... سوف أسعى بكل جهدي لأغير الصورة السيئة التي رسمتها عن نفسي ..
تمنيت أن ألحقه وأذهب للوالدة العزيزة فـأطيب خاطرهـا وأرضـيها ..

والتي أعلم علم اليقين أنها أشد قلقا وخوفا علي منه ..
لا شك عندي أن والدي لم يكن مطمئنا علي في ذلك الحال ..
فهـو رجـل يـدرك بفطنتـه خطـورة الموقـف بـل يـدرك ضـبابية المستقبل..
فما يدريه قد يكون كل ما رآه وشاهده وسمعه هو سراب ..
أو غمامة صيف عن قريب تقشع!!
والأمر بيد الله سبحانه وتعالى من قبل ومن بعد..
ها أنذا أيها الإخوة والأخوات الكرام أفتح لكم صفحة جديدة من ذكرياتي وأطوي تلك الأيام المليئة بالعذاب والشقاء ..
ولكن هل انتهى كل شيء ؟؟
هل توقفت دورة الحياة ومعاناتها ..؟؟
هل مضت الأمور على ما يرام في كل أحوالها؟؟
كلا؟؟
إن الأيام حبلى بالمفاجئات ....
والتي قد تكون سارة رقيقة ناعمة....
أو تكون نارا كاوية وعذابا ..
تكفيرا للخطايا أورفعة في الدرجات؟؟
قد يقول قائل : لم أقدم شيخنا على هذا التصرف ..؟؟
والجواب: لا أشك أنه كان يعلم عواقب فعله ...
ولكن كما سبق وذكرت ، أن شيخنا يزن الأمور بموازين مختلفة!!
هذه المقاييس والمعايير ...
مبنية على التقوى والخشية من الله تعالى والإخلاص له ..
لا على الهوى وسوء الظن .. وبعد ذلك
فليغضب كل العالمين حينها ..
دعوني أروي لكم بعض الأحداث في تلك الرحلة ثم لنكمل القصة..
عدت للمجلس مع الضيوف.. وجلست بجوار عبد العزيز ابن الشيخ ..
والذي لم يشعر بما حصل في تلك الجلسة لا هو ولا غيره..
سواي أنا وشيخنا ...
بقي الناس يتحدثون مع الشيخ ويستفتونه ..
كان فيهم جمع من مشائخ جده ومحبي الشيخ أذكر منهم ...
الشيخ علي الحكمي ..
الشيخ جمعان الزهراني ....
الأخ علي السهلي ..

الأخ عبد الهادي الحكمي ...
والشيخ محمد الشميمري...
وهـؤلاء الخمسـة تكـرر حضـورهم ولقـائهم بالشـيخ فـي كـثير مـن سفراتنا لجده...
وللأسف نسيت كثيرا من الأسماء التي لم تسعفني الذاكرة بهم.!!
انتهت الجلسة قبل أذان المغرب وتوجهنا لجامع الأمير متعب ..
حيث سيلقي شيخنا محاضرة ...
كان الجمع هائلا والخلق صلت خارج المسجد من الزحام ..
ألقى شيخنا تلك المحاضرة ..
ثم بعد الصلاة توجه لسيارته المعدة له ..
وهي سيارة الشيخ صالح الزامل ..
وبالكاد وجدت فيها مكانا لـي ولعبـد العزيـز الـذي لازمتـه ولازمنـي طوال تلك السفرة...
حينما توجهت السيارة لوجهتها ..
تبعنا قطار من السيارات !!
والتي أشك أنها كانت مدعوة للوليمة المعدة للشيخ!!
كانت تلك السيارات لجمع من محبي الشيخ ..
والذين لا أسميهم الطفيليين كما يدعي البعض!!
ولكنهـم فتيـة قـد شـغفوا بالشـيخ و صـاروا يلاحقـونه أينمـا اسـتقر وحل..
كان ذلك في بعض المواقف محرجا للشيخ مع مستضيفيه....
فيضطر أحدنا للتوقف .. لتبليغهم بلطف أن الـدعوة خاصـة فيتقبـل الجميع ذلك
بكل احترام وأدب .. فينصرفوا .. بارك الله فيهم..
توجهنا لحي الأمير فواز ...
حيث كان مضيف الشيخ هو الأستاذ عبد الرحمن المحمودي..
وهو صاحب الشقة التي نزلنا بها في مكة..
نزلنا في بيته العامر..
ونزلت معنا الجموع التي لم تدعى ..
رأيت الحرج الشديد في وجه المضيف من ذلك ..
والذي أظن أنه لم يتضايق من كثرتهم فهو رجل سمح وكريم ..
وبيته فسيح وطعامه كثير...
غير أن السبب سيدركه لاحقا منكم من فطن !!
بعد جلوسنا في المجلس الفسيح .. والذي غص بالحضور

تحلق جمع كبير من الطلبة حول الشيخ ..
منهم المستفتي ومنهم صاحب الحاجة ومنهم من جاء ليستفيد مـن أدب الشيخ.. فهو مدرسة متنقلة رحمه الله..
لقد كان الواحد من السلف يسافر المسافات البعيدة من أجل لقيـا عالم
لكي ينهل من علمه وأدبه وسمته ..
وهـاهم طلبـة العلـم مـن جـده ومكـة ونجـد والمنطقـة الشـرقية والشمالية والجنوبية وغيرها يقتدون بسلفنا الصالح بـارك اللـه فـي الجميع..
لم أكن أعرف المدعوين ولا مستوياتهم في المجتمع ..
ولكن بعد فترة من الوقت دخل علينا ضيفان مميزان لـم أتوقـع أن سأراهم رؤيا العين ولا في أحلامي!!
دخل علينا شابين وسيمين ظاهر عليهما الثراء والسلطة والنفوذ!!
إنهما الأمير سعود بن فهد بن عبد العزيز ..
والأمير عبد العزيز بن فهد بن عبد العزيز .. ابنا الملك!!
وجلسا بجوار شيخنا عليه الرحمة والرضوان..
كان شيخنا يتكلم معهما بكل بساطة ودون تكلف ..
فأعطى ذلك انطباعا عن شيخنا يفهمه الجميع!!
كان الأمير عبد العزيز صامتا طوال الجلسة تقريبا ..
ويظهر أن هذا من طبعه أو بسبب وجود أخيه الذي يكبره ..
أما الأمير سعود فيظهر أنه كوالده وفقه الله يتحـدث بطلاقـة وفيـه فصاحة ويحب التحدث مع الحضور بلا تحفظ..
كان الشيخ عبد العزيز الغامدي صاحب مشروع الزواج حاضرا ..
وكان يداعب الأمير سعود بضرورة أن يبحـث لـه عـن زوجـة شـابة تكون ضرة من ضرات أهله!!
فكان يحاول الفكاك منه وتصريفه .. ويشيح وجهه عنه..
ولكن الأخ عبد العزيز رجل ملحاح يريد تزويج خلق الله جميعا..
حتى شيخنا لم يسلم منه!!
وبالكاد خرج الأمير من مقصلة عبد العزيز الغامدي..
الأخ عبد العزيز لديه مشروع كبير لتزويج الشباب والفتيات ..
والراغبين في التعدد..
وسمعت عن مشروعه كثيرا منه ومن غيره ..
ولا أدري هل ما زال يعمل في هذا المجال أم تغير حاله..
ذات مرة حضر الأخ عبد العزيز رحلة قمت بتنظيمها لمجموعة مـن

ضيوف ولي العهد الأمير عبد الله بن عبد العزيز ..
وهم من إحدى الدول الأوروبية وحضر برفقة عدد منهم زوجاتهم..
وكان معنا صحفي من جريدة عكاظ وعدد من المصورين ..
طلب الشيخ عبد العزيز أن يلقي كلمة للضيوف ..
فتحدث وكان يترجم له أحد دعاتنا المرافقين بلغة القوم..
ولكنه سامحه الله حور موضـوع الكلمـة وبـدء بالحـديث عـن تعـدد الزوجات..
وكان صوته مرتفعا ويصل لزوجات الإخوة ..
فسمعنا فرقعة الصحون ورمي الكاسات من خلف الباص الذي كـن يجلسن فيه..
وضرب الأبواب!!
حتى يصمت هذا الزائر المزعج..
ولكنه استمر في حديثه ..
فخرج النسوة من الباص ..
وابتعدن عن المجلس .. والحمد لله أنهن لم يحصبننا بالحصى!!
ولا شك أن أزواجهن دفعوا ثمن تلك المحاضرة لاحقا!!

الحلقة التاسعة والثلاثون

انتهت تلك الجلسة الممتعة وخرجنا من بيت الأسـتاذ عبـد الرحمـن المحمودي..
وتوجهنا لبيت مضيفنا الشيخ صالح الزامل..
تلك الليلة لها مذاق خاص وطعم خاص..
لقد تغيرت حياتي تماما ذلك اليوم..
لقد انتهت تلك المحنة التي صارت كالسيف المصلت على عنقي
والذي كنت أنتظره أن يدنو يوما من عنقي فيقطعه !!
ولكن الله تعالى بدل حالي وغير مجرى حياتي ..
لقد كان لتلك الليلة بحق وذلك اليوم وضع فريد لي..
فلقد قابلت أبي ..
ورآه شيخنا .. وأرضاه وأقنعه ببقائي عنده تحت رعايته ومسئوليته
وحلت عقدة هروبي وانتهت بلا رجعة والحمد لله..
أصبح بقائي للدراسة عند الشيخ شرعيا..
زادت ثقتي بنفسي..
وقويت عزيمتي ..

وارتفعت همتي..
ووضح مقصدي وهدفي..
وتغيرت ملامح وجهي !!
فكان وجه الواثق لا وجه الخائف المرتاب!!
وبدأت من تلك الليلة تكوين شخصيتي الجديدة..
شخصية الطالب المجد الواثق من أصله ونسبه ونفسه !!!
فهذه نعم تترى ومنن جليلة أعجز عن شكر الخالق سبحانه عليها مدى عمري فله الحمد وحده والثناء ...
عدنا فوجدنا مكان النوم معدا لنا جميعا..
أنا وشيخنا وعبد العزيز في غرفة سويا..
والإخوة الآخرون في غرفة مجاورة..
حتى شيخنا رحمه الله شعرت منه تلك الليلة تبدلا وتغيرا ..
فرحا بانتهاء مشكلتي مع الوالد ...
كنت ألهو مع الأخ عبد العزيز وأريه بعض التمارين الرياضية وهو تمرين الضغط برفع الجسم بالاعتماد على اليدين!!
فلمحنا الشيخ ..
فجاء إلينا وقال: ماذا تفعلان؟؟
فقلنا: نتدرب !!
فقال: ألا تريداني أن أتدرب معكما ؟؟
تبادلت النظرات مع عبد العزيز .. فانحنى الشيخ ولم ينتظر جوابنا..
وضغط وعجزنا أن نجاريه في ذلك!!
شيخنا من رآه ولم يخبر طباعه ويعاشره فإنه يخشاه ويمتلئ قلبه مهابة منه..
ولقد رأيت أشخاصا يتحدثون مع الشيخ والعرق يتصبب من وجوههم
هيبة منه ..
ولكن من عرفه وعاشره وعاش قريبا منه ..
يرى شخصية أخرى مختلفة وفريدة ..
تلزمك بمحبته والإعجاب بشخصه...
شخصيته جمعت بين الحزم واللين..
و جمعت بين المهابة والجلال والرحمة واللطف ..
وبين الشجاعة والسماحة..
وبين علو الهمة والتواضع ..
وبين الجد والمرح..

و جمعت بين الفصاحة وحسن المنطق والتبسط في الحديث..
هو بشر ككل البشر .. يصيبه ما يصيبهم ..
يغضب ويحزن ويتألم .. ويضحك ويمزح ويمازح..
ولكن الله تعالى وهبه علما كالجبال وإيمانا وخلقا وعقلا راجحا..
ووفقه وهداه .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..
طلبت من الشيخ تلك الليلة أن يوقظني معه لصلاة الليل ..
من عادة الشيخ أن ينام على الأرض ..دون مراتب أو أسرة..
وذلك في كل أسفاره ... وكنت أفعل مثله واعتدت على ذلك..
فهو لا يطلب سوى وسائد يضعها تحت رأسه..
يخلع عمامته ثم يقوم بتمريرها على الأرض ثلاث مرات
ثم يقرأ أذكار النوم وينفث على يديه ويمسح بها على جسده كما هي السنة..
ثم يلف عمامته على وجهه ولا يخلع ثوبه ..
ويستلقي على يمينه ثم ينام..
يستيقظ شيخنا على جرس ساعته المنبهة الـتي يحملهـا دومـا فـي أسفاره
وذلك قبل الفجر بساعة تقريبا..
أوقظني تلك الليلة ..
فتوضأت ..
وصليت الوتر سريعا.. وجلست أراقب الشيخ ماذا يفعل..
صلى ركعتين خفيفتين..
ثـم صـلى خمـس ركعـات تقريبـا .. وأتـم القـراءة فيهـا والركـوع والسجود..
وختمها بقنوت طويل بتبتل وخضوع..
حتى أذن الفجر...
حينما ختم وتره رفع صوته بالذكر..
سبحان الملك القدوس ثلاث مرات.. يمد بها صوته كما هي السنة..
صلينا الفجر ثم عدنا للمنزل فنام حتى وقت الضحى..
استيقظنا وأفطرنا ثم توجهنا لاستكمال برنامج الشيخ..
مكثنا في جده يوما أو يومين نسيت ذلك!!
ثم رجعنا للقصيم...
وصلنا للمطار فاستقبلنا الشيخ خالد المصلح نسيب الشيخ..
وفي الطريق أوقفنا كما هي عادة شيخنا أمام أحد مساجد عنيزة
وصلى فيها ركعتي القدوم من السفر...

أنزلوني أمام سكن الطلاب وتوجه شيخنا لبيته..
حضرت الدرس ذلك اليوم .. ولكن بوجه جديد وعزيمة كالحديد!!
تفاجأ جاري بوجودي .. شعرت بذلك ولو لم أبصره بعيني!!
من خلال حركاته وارتباكه ثم صمته ...
والله شاهد سبحانه.. ومطلع عما عزم عليه..
عدت لبرنامجي المعتاد .. واشتريت كتبا حديثة الطبع..
وحصلت بالمجان على كمية لا بأس بها من الكتب والمراجع المهمة..
حيث خاطب الشيخ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
بطلب كتب لي من مطبوعات الجامعة ..
فبعثوا لي كراتين مليئة بالمجلدات الفاخرة من مطبوعاتها ومنها
درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية..
ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية أيضا ..
ومجموع الفتاوى له وغيرها مما لا يحضرني..
انتقلت لغرفة أخرى وذلك بأمر شيخنا ..
حيث اختار لي أن يكون زميلي في الغرفة الأخ محبوب الباكستاني
وهو من خيرة طلبة شيخنا خلقا وأدبا وعقلا ..
كان يحضر الدكتوراه حينها في مادة الحديث فكانت صحبته ومرافقته مكسبا ثمينا لي.. غير أنه كان كثير الأسفار لمدينة الرياض لمتابعة شئون رسالته .. فكنت أبقى في أحيان كثيرة لوحدي..
وضعت لنفسي برنامجا صارما تحت إشراف شيخنا ..
مليء بالحفظ والمراجعة وكتابة البحوث والقراءة ونحوها..
وكنت كلما أشكلت علي قضية أو مسألة دونتها في أوراق عندي ثم أقرأها على الشيخ وأسجل أجوبته بعد الصلوات فيفك طلاسمها بكل براعة
ويحل عقدها بكل ثقة ..
بخصوص الدراسة النظامية وبما انه قد مرت فترة طويلة على ابتداء الفصل الدراسي فقد أخرت الالتحاق بالمدرسة حتى الفصل التالي حيث يسمح النظام الثانوي المطور بذلك...
مما منحني فرصة الانصراف الكامل لطلب العلم في حلقة الشيخ...
ذات مرة أخبرني الشيخ بأن أمير القصيم وهو الأمير عبد الإله بن عبدا لعزيز سوف يقدم لزيارة سكن طلاب الشيخ..

حضر الشيخ للدرس تلك الليلة كما هو المعتاد..
ولم يتغير من نمط الدرس شيء..
سوى أن المنطقة المحاطة بالجامع قد اكتضت بالعساكر والشـرط استعدادا لقدوم الأمير...
في خلال الدرس دخل أحد رجال الشرط وتقدم إلى الشيخ وهمس في أذنه..
فقال شيخنا... ورفع بها صوته: بلغ الأمير أن يتفضـل فـي المسـجد ويحضر الدرس ...!!
خرج رجل الشرطة من المسجد ..
ورجع مرة أخرى وعلى وجهه علامات الخوف والوجل والتحرج ..
فهمس مرة أخرى في أذن الشيخ ..
فقال شيخنا للطلبة: انتظروني قليلا وسأرجع..
وخـرج حافيـا وسـلم علـى الأميـر وطلـب منـه حضـور الـدرس مـع الطلاب حيث أنه لا يستطيع قطع درسه !!
دخل الأمير وحاشيته وحرسـه وتسـننوا فـي الصـف الأول وجلسـوا لاستماع الدرس.. وانتظار الصلاة..
استكمل شيخنا درسه الأول والثاني بعد الأذان كما هي العادة..
ثم صلينا العشاء...
بعد الصلاة نادى علي الشيخ ...!!
وكنت كما هي عادتي أصلي بجوار المؤذن..
فتقدمت إليه .. وقال لي : اذهب وانتظرني في غرفتك فسوف أزورها مع الأمير!!
نظرت في وجهه وبحلقت فيه !!
فقال: هيا انطلق..!!
انطلقت كالمجنون لا الوي على شيء ولا ادري ماذا افعل..
صعدت لغرفتي وقمت بكنسها وترتيبها وتطييبها ..
ولكن لا يصلح العطار ما أفسده الدهر!!
خجلت وتمنيت أن يصرف الشيخ الأمير لغرف أخرى أحسن حالا وتنظيما وأكثر بهاء ..
تجول شيخنا مع الأمير في داخل السكن..
وأراه المكتبة وقاعة الطعام المتواضعة..
ثم صعدا للدور الثالث ثم للرابع حيث أنا في انتظارهم..
دخل الأمير وهو ممسك بيد الشيخ..
وخلفهما حشد هائل من الناس والعسكر ...

ووقفا باب غرفتي الصغيرة ..!!
وتجول الأمير بنظره فلم ير شـيئا يسـتحق النظـر سـوى عـدد مـن الكتب والدفاتر وعدة الطلب!!
فقال لي الأمير ... ما اسمك؟؟
فقلت : فلان بن فلان الفلاني.. دون تردد ووجل!!
فقال: ونعم فيك !! فرددت تحيته ..
ثم قال : اجتهد في العلم..وفقك الله..
وانصرفا ..

الحلقة الأربعون

أحاول في سرد قصصي ورواياتي هنـا أن أحشـر مواقـف ومنـاقب عن شيخنا بين العبارات والكلمات كلما وجدت ذلك سائغا..
ذكرت منذ بداية قصتي أنني سأروي موقفا واحدا لشيخنا!!
ومن خلال السياق بعثرت عددا من القصص والشواهد
مما يزيد حبكة الموضوع ويعطي له نكهة خاصة..
ويوصل رسائل وانطباعات اقصدها وتفيد القراء الكرام..
أما بالنسبة عن شخصي فليس لدي شيء يستحق الذكر سـوى مـا يمر
بي من مواقف مع الشيخ والتي هي صلب الموضوع ..
لاحظت عددا من المتابعين للقصـة يطلبـون منـي الاسترسـال فـي الحديث
وأنا أتفهم أن القصد من ذلك معرفة حياة الشيخ محمد بن عثيمين كما رأيتها وعاصرتها.. وهذا موضوع أوسع وأشمل مما يتصور أولئك
و لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله...!!
لذلك سوف يختلف البرنامج قليلا ..
سأحرص علـى اسـتكمال قصـتي حـتى النهايـة وكلمـا سـنحت لـي فرصة
لذكر منقبة أو موقف سوف اذكرها وأسترسل أحيانا ..!!
فأرجو أن لا يصيب ذلك إخوتي القراء بالملل ..
فهي لا تخلو من فوائد وعبر هداني الله وإياكم صراطه المستقيم..
مع أن الذاكرة أحيانا تخونني .. لبعد الزمن وكثرة المشاغل ..
والله خير معين سبحانه..

أرجع لقصتنا..
بعد مرور حوالي عشرة أيام من عودتنا من جده ..
كلـف الشـيخ الأخ محمـد زيـن العابـدين والأخ محبـوب والأخ بنـدر الحربي بالسفر معي للطائف لكي أحضر مكتبتي وحاجياتي..
نزلنا بسيارة الأخ بندر حيـث هـي مـن نـوع النيسـان الداتسـن ذات الأربعة
أبواب.. .. وتوجهنا للطائف من طريق عفيف..
وهو طريق طويل وممل ولكن صحبة هذه الرفقة الصالحة ..
تنسيك تعب السفر ومشقته..
حدثنا الأخ محمد عن ذهابه للجهاد في أفغانستان ..
وروى لنا قصصه ومشاهداته هناك
ومما أذكره أنه في أحد الليالي المظلمة ..
وكان مع مجموعة من المجاهدين العرب والأفغان...
طاردتهم طائرة روسية..
وقصفتهم بالمدافع والصواريخ حيث أن معهم عددا من الأسرى الروس وشيوعيون أفغان..
وروى كيف أنهم تمكنوا من إسقاط تلك الطائرة بصاروخ موجه..
بعد عناء وإثخان فيهم.. من العدو..
أذكر أيضا ما رواه لنا الأخ محبوب عن طلبة العلم في باكستان..
وكيف أنهم يجدون المشقة الهائلة في تحصيل العلم
والوصول إلى الشيوخ الثقات ..
ومـا يـواجهه الطـالب مـن عقبـات مـن أهلـه وجمـاعته الـذين قـد يخالفونه
المعتقد أو النهج..
وكيف أنتقل من العقيدة الضالة والمبتدعة لعقيدة السلف ..
وازدادت رسوخا بعد قدومه للمملكة..
وقال : إن أكبر نعمة حصلها هو تمكنه مـن طلـب العلـم فـي حلقـة شيخنا
عليه الرحمة والرضوان.. ويغبطه أنداده على ذلك ..
كان انطلاقنا من القصيم بعد صلاة العصر تقريبا ..
وسرنا أغلب الليل. ..
ووصلنا لضواحي الطائف بعد منتصف الليل..
كان الحديث مع الإخوة ممتعا غير أنهم كلما صمتوا ..
أتضايق من التفكير ممـا قـد يحـدث... وأتـذكر أننـي متـوجه لرؤيـة

عائلتي..
فافتح بابا للحديث
فينشغل فكري عما أنا مقدم عليه..
لم أكن أحب أن أتخيل ما سيحدث..
لا شك أن عائلتي قد وجدت في نفسها علي ..
مما فعلته..
خاصة وأنني لم أتصل بهم شهورا عديدة..
فأنا أبنهم وحق علي أن لا أقاطعهم .. وأصلهم واتصل بهم..
وهذا مافعلته بحمد الله بعد ذلك طوال بقائي في القصيم..
حينما اقتربنا من حينا أصابتني كآبة وخوف وارتباك..
وهو أمر طبيعي جدا...
فالمرء حينما يطول بعده عن أهله وذويه بسفر أو غياب لأي سبب كان ،تصيبه نوبة من الارتباك والتردد..
قبيل ولوجه دارهم أو ينزل حلتهم..
هذا فيمن حاله طبيعية وفي أمر معتاد؟؟
أما حالي فهو معقد للغاية ، فالوطأة أشد والخوف والتردد أعمق..!!
حينما وصلنا قريبا من حينا ..
دارت في ذاكرتي تلك الأيام الخوالي..
تذكرت لحظة الهروب من البيت..
وكيف أنني خرجت من البيت خائفا أترقب...
وهاأنذا أعود الآن وكلي أمل لعهد جديد وصفحات مجيده إن شاء الله
سبحان من يبدل الأحوال ..
طلبت من الأخ محمد أن يتوقف قليلا لنستريح من عناء السفر..
ويأكل الإخوة شيئا ..
وكان مقصدي في نفسي أن أهيئ فؤادي وعقلي لمقابلة العائلة..
تضايق الأخ محمد من ذلك وكان يرغب أن استضيف الإخوة في بيتنا..
وكلامه مقبول ورأيه أسد..
فهو من سلالة كرام وأهل نخوة وشهامة..
فلا يرضى الواحد منهم أن يطعم الضيف سوى في بيته ومن طعامه
ولكن وضعيتي وحالي مختلفة للغاية ..

فعاداتنا وتقاليدنا ونخوتنا لا تقل عنهم والحمد لله ..
يقول الفقهاء..
الحكم على الشيء فرع عن تصوره!!
ويقولون أيضا..
مراعاة الحال ، والحكم على شواهد الأعيان كل بحسبه ..
فما كنت أحب أن أشغل عائلتي أو أشعرهم بتكليف..
خاصة لطول الغيبة ولخصوصية وضعي..
على كل..استرحنا لفترة من الزمن..
ثم طلبت الهاتف من صاحب المطعم ..
فاتصلت على البيت..
فردت علي الوالدة..
فرحبت بي وسرت بسماع صوتي وكأن شيئا لم يحدث!!
رضي الله عن والدتي وعفا عنها وجعلني معها في فردوسه الأعلى..
قلت لها سنقدم عليكم بعد قليل ..
وسوف ننقل المكتبة فورا في السيارة..!!
قالت : ألن تباتوا عندنا؟؟
فقلت لها: لا أريد أن أكلف عليكم والإخوان يرغبون الرجوع من غد!!
فقالت : باتوا عندنا الليلة والصباح رباح!!
توجهنا للبيت ..
واستقبلنا الوالد..
فرحب بي وبالضيوف ..
والحمد لله كانت نفسيته ممتازة ولم أرى منه أي تضايق أو انزعاج..
خاصة أن شيخنا بعث معي برسالة للوالد هذا مضمونها..
الأخ المكن ..... حفظه الله
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد..
فأريد أن أبشركم أن ابنكم فلان مجتهد في دراسته وطلب العلم ومحافظ على صلاة الجماعة خلف الإمام.. الخ..
وقد بعثته إليكم لكي يحمل مكتبته ويسلم على والدته..
ويحضر ملف الدراسة لكي يكمل دراسته الثانوية..
ثم دعا الشيخ لي وللوالد جزاه الله عني خير الجزاء..
وأحتفظ بعدد من رسائله للوالد عندي .. رحمهما الله..

سلمت على أمي وإخوتي جميعا ...
اشق شيء في السفر الطويل والانقطاع عن اهلك وأحبابك
هـو أن تنـزل عليـك الأخبـار جملـة واحـدة وقـد يكـون بعضـها مـرا وموجعا
ولذلك أحرص دوما أن اتصل على أهلي باستمرار خوفا من مرارة الفواجع دفعة واحدة!!
فاجئني مرض أحد إخوتي الكبار بمرض قريب من الصرع !!
حيث أصيب بمس أو عين ..
فما استطعت الحديث معه أو افهم حاله.. فهو لا يكاد يعقل !!
سألت الوالدة عن أمره؟؟
فقالت: والله هو كما ترى ، وما تركنا مستشفى ولا عيادة إلا وعرضناه عليهم ، استمرت حالة أخي كذلك لعدة شهور ..
ولكنـه تعـافى وعـادت لـه صـحته وهـو الآن سـيد نفسـه ولـه ذريـة وشأن!!
اجتمعت بالعائلة أخيرا ..
لقيت العمة .. التي وقفت معي في محنتي..
وقلت لها: الحمد لله فقد أوفى الله بظني ونجوت!!
فضحكت وفرحت ..
جلست مع إخوتي الصغار الذين اشتقت لهم كثيرا..
وخاصة أختي الصغرى التي أحبها حبـا لا يعلمـه إلا اللـه تعـالى ومـا زلت..
وكم تـألمت لفراقهـا وللبعـد عنهـا فالحمـد للـه الـذي جمعنـي بهـم جميعا..
وجدت كثيرا من كتبي وأغراضي معدة لي عند باب البيت بناء على طلبي..
لم يشق علينا تكديسها في مؤخرة السيارة وبالكاد وسعتها..
بات الإخوة في المجلس..
وسهرت طوال الليل مع الوالدة والعائلة ..
حيث كان يوم خميس ...
بعد صلاة الفجر ودعت العائلة ..
وتوجهت مع الزملاء لمكة لأداء العمرة ..
أدى الأخوة العمرة وبقيت أنا في السيارة أحرس متاعنا وكتبي..
ثم رجعنا للقصيم ووصلنا قريبا من العشاء..
أوقفنا السيارة .. وناديت على عدد من الزملاء.. ليعاونونا

في نقل الكتب للغرفة .. التي أمتلاءت أدراجها أخيرا بالكتب!!
لم أنم تلك الليلة من الحماس..
ورتبت غرفتي ورصصت كتبي في مواضعها حتى أذن الفجر..
نزلت للصلاة ..
وانتظرت شيخنا أمام باب المسجد ..
فجاء للمسجد وهو حاف !!
ويضع أعلى عباءته على رأسه..
قبل أن يدليها على كتفه قبيل دخول المسجد..
قبلت يديه ورأسه..
وليتنا قبلت قدميه ..
فله الفضل علي بعد الله في انطلاقتي الجدية ..
جزاه الله عني وعن المسلمين خير الجزاء...

الحلقة الواحدة والأربعون

سألت شيخنا رحمه الله يوما ...
مـا خيـر وسـيلة وأقصـر طريـق لتحصـيل العلـوم وخاصـة علـوم الفقه..؟؟
قال: عليك بالقواعد والأصول...
قلت له : وأين أجد تلك القواعد والأصول؟؟
فقال: يصعب أن تجدها جميعا كلها في كتاب واحد ..
ولكن عليك بالتنقيب في كلام الفقهاء والعلماء الأصوليين..
وستجد في تعليلاتهم واستدلالاتهم كثيرا من القواعد الجامعة لفروع المسائل أو الأصول التي تبنى عليها الأحكام..
اشتغلت بجمع تلك القواعد والأصول من كتب الفقهاء والأصوليين
ومنها كتب ابن قدامة المقدسي.. كالإقناع والكافي ..
ورجعت لكتب القواعد للحافظ ابن رجب والحافظ السيوطي
وكذلك لكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ..
ومن أكثر الكتب التي استفدت منها بمشورة شيخنا شرح العمدة للحافظ ابن دقيق العيد الشافعي المالكي!!
وكذلك فتح الباري للحافظ ابن حجر ..
والمجموع شرح المهذب للنووي..
ومنها أضواء البيان للشنقيطي ومذكراته في الأصول..
كنت اقرأ وأراجع تلك الكتب ثم أدون تلك التعليلات والقواعد

وفي اليوم التالي أقرأها على الشيخ وأسجل تعليقاته وتفصيلاته لها ويفرع عليها قواعد أخرى يسردها شيخنا على السليقة دون مراجعة وتردد ، ممـا حيرنـي فـي عقليـة وسـعة إطلاع هـذا العـالم الجليل..
رحمه الله رحمة واسعة..
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..
سألته ذات مرة : ياشيخنا هل تراجع أو تحضر لدروسك؟؟
فقال : الحمد لله العلم أحمله في صدري ،ونادرا احتاج للمراجعة!!
ولقد شهدته مرارا ينقل من حافظته مسائل ونصوصا يحتاج الواحـد من
للبحث فيها والتحرير عنها دهرا ،يسوقها الشيخ ببيانه الشافي بكل ثقة واقتدار.. من صدره بالنص والكمال!!
كما ذكرت سابقا مـرت علـي فـترة مـن الهـدوء مـن قبـل صـاحبنا العتيد!!
ولكنه لم يصبر ولـم يطـق الانتظـار حيـث ظـن ذلـك المسـكين أن البساط
سيسحب أو كاد أن يسحب من تحته وما درى أن شيخنا
قلبه سيسع الجميع لو كنا نعقل أو نرشد!!
فاجأني ذات مرة أن لحقني وأنا خارج من المسجد ونادى علي!!
فالتفت إليه .. فما صدقت نظري ؟؟
انه صاحبي ذاته؟؟
ابتسم في وجهي ابتسامة لا أكاد أميزها!!
وقال لي : كيف أحوالك وما هي أخبارك؟؟
فقلت ك أنا بخير حال والحمد لله ...
لم يطل الحديث معي بل كان يريد أن يعطيني انطباعا معينا ونجـح فيه!!
لمن يفهم ما اعنيه!!
انصرف فبقيت واقفا حائرا لا اصدق ما جرى..
هل من المعقول أن الرجل عاد لرشده ؟؟
قلت في نفسي: لا يستغرب ذلك من طالب علم في مثل مسـتواه ..
يعلم الله تعالى شدة فرحي بما حصل واستبشاري بذلك..
وظننت أن ذلك هو نهاية تلك المآسي التي لا تليق بطلبة العلم خصوصا على سمعة شيخنا رحمه الله..

في اليوم التالي بادرته أنا بالسلام في صلاتي الفجر والظهر..
كان قصدي أن استوثق من الرجل هل ما فعلـه حقيقـة أم أنـه كيـد ؟؟
جاءني بعد صلاة العصر وقال لي: هل ممكن ترافقني لفنجان قهوة في
بيتي؟؟
قلت : لدي برنامج مع الشيخ...
ولكن لأجلك سأذهب معك!!
ركبت معه على سيارته ..
وأنا فرح بهذا التقدم الغير متوقع!!
وقطعنا الطريق لبيته الواقع في أطراف عنيزة..
كان يتحدث ويتبسط في الكلام ويبتسم ويظهر السرور والفرح..
مما زاد وثوقي واطمئناني..
وما كنـت أعلـم أننـي كالشـاة تسـقى وتطعـم العلـف وهـي تسـاق لسكين
الجزار !!
وصلت لبيته ، وهو منزل عائلته وكان شبه خال !!
دخلنا المجلس ..
ولم يقدم لي القهوة والشـاي كمـا هـي العـادة بـل تحـول الحـديث بشكل
مفاجئ..لتحقيق وتدقيق ..!!
ولكنه كان من النوع الهادئ ولم يكن عاصفا أو مدويا!!
ولم أفهمه أنه كذلك إلا حينما قال لي :
أريدك أن تفرغ كل مافي جيبك من أوراق !!
قلت له : لماذا ؟؟
قال: أفعل ما أطلبه منك !!
أخرجت ما في جيبي من أوراق فبعثرها وفتش فيها ودقق
فقال : أخرج كل مافي جيبك ؟؟
فقلت : لا يوجد شيء سوى مناديل وأقلام..؟؟
قال : أخرجها!!
أخرجتها حتى لم أترك شيئا في جيبي!!
لم افطن لمقصده حينها!!
فتش في تلك الحاجيات وبحث فما أشفى ذلك غليله ونهمه!!
فقام إلي وأخذ يفتش جيوبي بنفسه ورفع شماغي عن رأسي

وانزلها !!
قلت له : عماذا تبحث يافلان؟؟
قال : لا يعنيك!!
قلت : وكيف لا يعنيني؟؟
قال : أنت تخفي شـيئا ولا ادري أيـن وضـعته.. ولكـن سـوف أجـده يوما!!
ثم أمرني بالخروج معه من المنزل ..
خرجنا وكان وجهه مسودا من الغيظ وهو كظيم ويكاد يفتك بي!!
ركبت للسيارة وأنا خائف منه ..
ولم نتكلم حتى اقتربنا من السكن ..
عندها دار في فكري شيء...!!
وفهمت ماذا يقصد وعماذا يبحث!!
قلت له : يافلان أما آن لك أن تعقل !!
أنت أحضرتني لبيتك وفتشتني وأهنتني ماذا تريد من ذلك؟؟
سكت ولم يجبني !!
قلت له : هل تظن أنني سحرت الشـيخ وأننـي اخفـي السـحر فـي جيبي؟؟
فالتفت إلي ونظر في عينـي وكـاد أن يوقـف السـيارة ولكنـه نظـر أمامه
ولم يتحدث بكلمة واحده!!
نزلت من سيارته وأنا خائر وحزين من فعل هذا الخائب..
ترددت في الاتصال على شيخنا ..
هل أخبره بما فعل ذلك الرجل؟؟
لم أصدق والله أن بلغت به الظنون هذا الحد!!
هل ياترى لو أخبرت الشيخ سيصدق؟؟
أليس من المعيب أن اشغل شيخنا بتلك التفاهات؟؟
خاصة بعد انتهاء مشكلتي مع الوالد قريبا..
حضرت الدرس تلك الليلة وأنا لا أكاد أشعر بما هو حولي ..
بعد صلاة العشاء انتظرت الشيخ ..
فسألني أين كنت اليوم؟؟
فقلت له : ذهبت مع فلان في بيته!!
فتعجب وقال : مع فلان؟؟ صحيح؟؟
كأنه فرح بذلك ..
ثم ناولني عباءته ودخل لدورات المياه .. حيث سيذهب بعد ذلك

لزيارة إحدى قريباته كما هي عادته..
لم يكن لدي فرصة للحديث معه أو إبلاغه بما فعل صاحبنا معي..
في اليوم التالي ..
لم أقابل الشيخ لصلاة الفجر ولا الجمعة ذلك اليوم...
حيث كنت تعبانا وكسولا ومتضايقا للغاية ..
رأيت الشيخ من نافذة غرفتي وهو خارج من المسجد من صلاة الجمعة
ومعه جمع من الناس ومنهم صاحبنا ذاك!!
بعد صلاة العصر .. مشيت مع الشيخ وقرأت عليه عددا من القواعد..
وحينما اقتربنا من منزله وكنت وحيدا مع الشيخ ..
لاحظت صاحبنا يسير بسيارته ويراقبني..
حيث مر بسيارته من أمام منزل الشيخ..
سلمت على الشيخ ثم رجعت للسكن..
وفي الطريق بدر لي أن ارجع للشيخ وأحدثه بما تم بالأمس..
فرجعت لبيته .. وطرقت الباب ...
فرد علي أهل الشيخ .. فطلبت منهم أن ينادوه...
فقالو لي: انتظر قليلا...
حينها .. مر صاحبنا بسيارته مرة أخرى فرآني واقفا أمام بيت الشيخ..
فأوقف السيارة و ترجل منها وتوجه نحوي..
فاقترب مني .. وصرخ في وجهي ..
وقال: ماذا تفعل هنا ؟؟
هيا أغرب عن وجهي ؟؟
فقلت له : أنا أمام بيت الشيخ ، وليس بيتك وهذا ليس من شأنك!!
فرفع يده فجأة..
ولطمني على وجهي بشدة فسقطت على الأرض..
وتبعثرت أوراقي ومسجلي..
فحمل المسجل وضرب به على وجهي فسقطت مرة أخرى ثم رمى به على جدار منزل الشيخ فتكسر ولم يعد ذا نفع..
ثم دفعني بشدة وعنف وقال : هيا اذهب وإلا فعلت بك وفعلت!!
حملت متاعي وأوراقي المبعثرة وتمنيت أن يخرج الشيخ فيرى ما حصل بعينه.. ورجعت للسكن وأنا أبكي من الألم والحسرة..
سبحان الله.. أهكذا العلم وهكذا حال طلبة العلم؟؟

وممن ؟؟ من أقرب الناس للشيخ ؟؟
واعيباه وفضيحتاه على العلم وطلبته!!
والله الذي لا إله سواه إنني أتحدث لكـم ولا أكـاد اصـدق مـا حـدث وجرى
دخلت على سكن الطلبة وطلبت من علاء الدين أن يعطيني هاتفا..
فقال لي: مالذي حصل لوجهك؟؟
فقلت : دعني ياعلاء سأخبرك لاحقا..
فقال : إن هاتفي يستقبل ولا يمكن الاتصال منه..
ولكن اذهب لتلفون المكتبة فيمكنك الاتصال منه..
دخلت على مشرف المكتبة وهو الأخ عبيد اللـه الأفغـاني وهـو مـن أصحابي القريبين جدا مني..
فاستأذنته للاتصال على شيخنا لأمر هام...
فتفهم الأمر وعرف أن هناك كارثة حصلت معي!!
فاسـتأذنته أن أخلو بالتلفون ..
لم أكن ارغب أن يسمع الطلاب تلك المهزلة والفضيحة..
فخرج من المكتبة ولم يكن حينها سواه ورد الباب خلفه..
فاتصلت علي تلفون الشيخ الخاص..
فردت علي أهله وحولتني للشيخ...
حينما سمعت صوته ، انفجرت باكيـا ولـم أسـتطع أن أنطـق جملـة واحدة مفهومة ..
فقال لي: ..
اهدأ وحدثني بما حصل ...
فرويت له القصة وما فعله طالب العلم ذاك معي..
فاسترجع شيخنا ، وعرفت الغضب والحيرة من صوته ..
وقال لي: سوف أرى مالذي سأفعله مع هذا الرجل..
ثم أغلق السماعة ....

الحلقة الثانية والأربعون

لم أحضر الدرس ذلك اليوم من الخوف والحياء..
ولم أخرج من غرفتي طوال ذلك اليوم وحتى اليوم التالي ..
صليت الظهر مع الشيخ ثم لحقته بعد الصلاة..
وكان الشيخ واجما ويستمع لأسئلة الناس حتى انتهوا وبقيت أسير وحدي معه..

كانت الحيرة والغضب واضحة عليه..
لا شك أنني أردت منه أن ينصفني من ذلك الطالب المعتدي..
فهو حق لي ....
ولكن ما معنى ذلك؟؟
سيكون في ذلك فتحا لباب الأقاويل في الشيخ وطلبته حينها..
وهو مؤذ للشيخ ...
وهذا شيء لا أرضاه البتة ..
حتى ولو أدى ذلك لأذيتي والتعدي علي مرارا والله..
ومالذي يضيرني لو تحملت في ذات الله تعالى وطلب العلم أذية ؟؟
فقد أوذي وضرب وشتم وتعدي بل وقتل من هو اشرف مني وخيرا وأتقى عند الله تعالى..
لم يطلب مني شيخنا شيئا ولم ينهني عن شيء ولم يخبرني مالذي جرى بينه وبين ذلك الطالب..
..ولا أشك انه استدعاه واستوثق منه ما فعله..
فهو رجل قريب من الشيخ وهو طالب مجتهد في العلم إن لم يكن اعلم
طلبة الشيخ في بعض العلوم!!
فأي عار سيجلبه ذلك الرجل لنفسه ولشيخه ولحلقته ولطلبة العلم لو
أشيع الخبر حينها؟؟
لو طلب مني الشيخ أن أصبر وأصمت لفعلت ولكن سيبقى في نفسي
شيء!!
ولو أمرني بفعل شيء نحو أن أشتكيه أو شيخنا فعل ذلك لكانت كارثة!!
لذلك سكت الشيخ وكأنه يشير لي أن القرار راجع إلي!!
ولا أدعي والله أنني كنت راشدا حكيما في أفعالي حينها..
ولكنني كظمت غيضي وفوضت أمري لله سبحانه..
وصمت ولم أشتكه للشرطة أو أي جهة تحاسبه..
وأنا أحمد الله تعالى أنني فعلت ذلك ..
فمنذ تلك المشكلة وأنا أشعر في نفسي أنني جزء من عائلة هذا العلم
الشهم الكريم الذي آواني وكفلني ..

فالحمـد للـه أننـي لـم أضـيق صـدره بشـيء أو أن أفتـح لـه بابـا للمشاكل..
ولكن هل ارتدع ذلـك الرجـل السـفيه عـن غيـه وعقـل وتـاب عمـا فعل..
دعوني أكمل فصول الرواية وأحداثها وستعرفون مالذي حدث!!
كما سبق لم يطلعني الشيخ عما جرى بينهما..
ولكنني أدركت بعض الأمور من خلال تصرفاته..
والتي من خلالها نستطيع استنباط ما يجري..
حيث انقطع رفيقنا عن الدروس لفترة طويلة !!
وتوقف عن القراءة على الشيخ في درس العصر..
بل لم يعد يصلي خلف الشيخ في المسجد كما هي عادته..
ورأيت بينه وبين الشيخ جفوة ..
وأنا لم آمر بذلك ولم تسئني !!
كما قال أبو سفيان رضي الله عنه.. !!
فبعد فعلته معي صرت لا أطيق رؤيته ولا أطيق مجاورته ..
وحينما رجع لحضور الدرس بقي سنوات يحضر الحلقة
دون أن ينطق بكلمة واحدة أو يكلمه شيخنا إلا ما ندر..
وكل ذلك من نتائج أفعاله المشينة معي حينها...
لقد سعى ذلك الرجل طوال بقائي في عنيزة فـي تشـويه صـورتي والنيل
مني سواء في عنيزة عند طلبة الشيخ أو لدى أقاربه وأهله وولده..
وكذلك لدى كل المشائخ الذين يصل إليهـم دون أن يردعـه ديـن أو خلق
أليس من المعيب أن يكون شغلنا نحن طلبة العلم أن نفـتري علـى بعضا
بعضا ونشغل الناس بمثل هذه التفاهات..
لا يظنن جاهل أو مغفل أنني أردت بكتابتي عـن تلـك القصـة النيـل من ذلك
الطالب أو الانتقام من تصرفاته معي ..!!
إن هذا سيكون حسابه بين يدي رب العالمين سبحانه..
ولو قصدت ذلك لفضحته باسمه ولذكرت مخازيه باسمه..
وهذا مالا يليق بنا معاشر طلبة العلم وفي ذلك أذية لشيخنا ولأهلـه ..
فدعونا ياإخوتي نستفيد من تلك القصة دون أن ننشغل بمعرفة من

هو
فلان أو فلان..
إن كـل مـا قصـدته مـن كـل ذلـك هـو رد جـزء مـن جميـل شـيخي وأستاذي
ووالدي الشيخ محمد رحمه الله ورضي عنه ..
فدعوني احكي الحكاية واروي الواقعة بكل اطمئنان وراحة ضمير..
إن موقف شـيخنا محمـد معـي هـو موقـف شـريف ونبيـل أريـد أن أحكيه
للناس لتعرف فضله وعقله وسعة حلمه رحمه الله ..
أريد أن يعرف أبنائي و كذلك كل من اساؤا بي الظنون ممن قــرب وبعد
أريدهم أن يدركوا ما حصل ويكفيني أن تبلغهم الحقيقة الــتي أديــن الله
بها وبعد ذلك فالقرار راجع لهم وأمري وأمرهم لله تعالى..
لقد شحن ذلك المسكين نفوس بعض الناس حتى وصل بهم الحـال أن
يفعلوا أفعالا لا تكاد تصدق..
سـافر مجموعـة مـن أصـحابه بإيحـاء منـه للطـائف مـن أجـل أن يستوثقوا
عني لدى من يعرفني من المشائخ ..
وليتهم أكتفوا بذلك فليس هناك سوى ما يشرف والحمد لله ...
بل كذبوا وافتروا و صوروا لهم أنني في شـهور بسـيطة قـد صـرت أقرب
الناس للشيخ فلا بد أنني استعملت وسـائل غيـر شـرعية وقصـدهم أنني
سحرت الشيخ !!
ورجعوا لعنيزة ونشروا بين الناس أنهم وجدوا سر المسألة
وكيف أنني سأكون خطرا على الشيخ وولده وأهله ..
اختلفت آراء أولئك السفهاء ..
فمنهم من قال : هو ساحر ..
ومنهم من قال : بل هو جاسوس ..
ومنهم من قال : هو !!!
والذي أريد أن يعرفه هؤلاء ممن يقرأ هذا الكلام اليوم أنني طوال بقائي في عنيزة لأكثر مـن عشـر سـنوات والـذي لا إلـه سـواه لـم

اسمع
شيخنا يقول كلمة واحدة عـن سـحر أو جاسوسـية لا عنـي ولا عـن أحد
من طلبته فهو رجل عاقل وحصيف ويخشى الله تعالى في أعراض الناس ويعرف أنه موقوف بين يدي الله ومسئول عن كل ما يقوله فليعد أولئك جوابا لربهم عما قالوه وافتروه ..
وليأتوا بالبرهان إن كانوا صادقين ..
لم يرو لي الشيخ ما يقوله هؤلاء عني ولم اسمعه يتكلم به معي أو مع غيري لا من قريب ولا من بعيد ولم يحاول الإستيثاق من ذلك فهذه شهادة شرف أعتز بها من الشيخ رحمه الله..
كان الشيخ يقول لي : أنت مثـل ابـن عبـاس رض اللـه عنـه حينمـا قال:
أدركت العلم بثلاث (بقلب عقول وجسم غير ملول ولسان سـؤول) أو كما
قال رضي الله عنه..
لم يشتغل الشيخ ولم يشغلني بمثل هذه الخزعبلات ..
بل كان وفيا معي وبعهده الذي قطعه لوالـدي بـأن يرعـاني وأكـون تحت
نظره وتربيته ..
جاءت أيام الدراسة فدرست في ثانوية ابن سعدي وبالكاد تخرجـت من الثانوية..
حيث أن نفسي طابت من الدراسـة النظاميـة ولـولا ضـغط الشـيخ علي
لتركتها ولم أكمل مطلقا..
جاء رمضان ذلك العام ..1412 للهجرة..
حيث يتبع فيه شيخنا برنامجا صارما في قراءة القرءان
وتتوقف دروسه تقريبا سوى تدريس بعض الأبواب الفقهية التي تتعلق بالصيام ورمضان..
حينما بلغنا الخبر برؤية الهلال ذلك العام ..
لم نتمكن من صلاة التراويح ليلة الأول من رمضان ..
فلم يبلغ الناس إلا متأخرين وأظنهم أعلنوا ذلك في آخر الليل ..
في ذلك الصباح استقبلت الشيخ وهنأته بالشهر الفضيل ..
وسألته عن برنامجه ؟؟
فقال : سأجلس أقرا القرءان في المسجد..

قلت له : سأبقى معك ..
قال: لا دروس سوى قراءة القرءان فحسب..
فقلت : نعم سأفعل إن شاء الله..
وكنت حينها مرهقا ومتعبا ولم انم أغلب الليل ..
صلى الشيخ الفجر ذلك اليوم ثم بعد التسبيح والذكر ..
دخل لمصلى الجمعة الذي في مقدمة المسجد..
ورمى عباءته على الأرض وابتدأ في قراءة القرءان وهو يسير ذهابا وإيابا..
فقرأ عشرة أجزاء .. حيث يختم كل ثلاثة أيام ..
فتكون ختمته في الشهر عشر ختمات ..
ولو شاء لختمه كله في يوم واحد ولكنه يـرى أن السـنة أن لا يقـل عن
ثلاث لحديث عبد الله بن عمرو ابن العاص.. المعروف..
و بما انه ينزل لمكة ويمكث العشر في الحرم تدريسا وإفتاء
ولكثرة أشـغاله وضـيق الـوقت فهـو يقـرأ أيضـا بعـد صـلاة العصـر ليعوض
عن نفسه الختمات التي يريد أن يقرأها في مكة ..
ومن عمل شيخنا انـه يـواظب علـى الشـيء إذا فعلـه مهمـا كـانت الظروف
ويحترز لذلك .. رحمه الله رحمة واسعة..
طلب مني الشيخ أن أراجع حفظي ثم بعـد ذلـك يسـمع لـي حينمـا ينتهي
من قراءة حزبه .. في المسجد أو ونحن نسير لبيته..
حيث لا يكون أحد سوانا..
ويكون ذلك بعد انقضاء حوالي ثلاث ساعات من بعد الصلاة..
كـانت لحظـات روحانيـة أجـد المتعـة واللـذة فـي اسـتذكار تلـك اللحظات
الجميلة ..
أذكر أن تلك الأيام كانت باردة ولذلك يلبس شيخنا عباءته الغليظة ذات اللون المسمى (العنابي) !!
وكنت أتدثر بعباءتي وأقرأ القرءان ويصيبني النعاس أحيانا..
فأنام فيرفع شيخنا صوته بالقرءان كأنه يوقظني فأستيقظ وأكمل حزبي..
حاولت مرارا أن أفعل مثل الشيخ وأسير في المسجد كما يسير هو

ولكنني تعبت وعجزت ..
وهو يفعل ذلك لكي لا ينام وينعس ولا يكسل ..
ذات مرة في تلـك الأيـام ونحـن نسـير لـبيت الشـيخ وحولنـا هـدوء وسكينة
فالناس كلهم هجوع..
والأسواق والشوارع خالية من الناس والسيارات ..
فلا تسمع سوى سقسقة وتغريد العصافير..
طلبت من الشيخ أن يحدثني عن نفسه ..
وعن حياته في شبابه ..
فأخذ يروي لي أشياء جميلة سأذكرها في الحلقة القادمة
بحول الله تعالى ...

الحلقة الثالثة والأربعون

ذات يوم من أيام رمضان المبارك تلك..
وبعد أن أكمل الشيخ حزبه من القرءان في الصباح..
دعاني لكي يراجع لي حفظي ..
فكنت أقرأ عليه ويفتح علي إن أخطأت ..
وكنت أمشي بجواره بين زوايا المسجد ..
دنا الشيخ من النافذة في الزاوية الغربية من الجامع..
ثم توقف قليلا!!
وأخذ يمعن النظر في مسجد الطين القديم الذي بني منذ زمن بعيد يتجاوز القرن من الزمان وما زال حتى تلك الأيام يصلى فيه ..
قال لي الشيخ : أتدري؟؟
لقد حفظت القرءان في هذا المسجد ..
عند عمي سليمان آل دامغ رحمه الله ..
وكنت مؤذن هذا المسجد الصغير لفترة من الزمن...
قلت له : كم كان عمرك حينما حفظت القرءان ؟
قال : حوالي العشرة أعوام..!!
ثم أكملت تسميع حزبي .. وخرجنا من الجامع..
وكان الوقت حينها ضحى ..
ونكاد نسير لوحدنا في كل الطرق التي مررنا بها..
أخفيت مسجلي الجديد في جيبي ..
وقلت للشيخ : ياوالدي هل يمكن أن تحـدثني عـن شـبابك وحياتـك

في
صغرك.. ؟؟
فتنفس الشيخ الصعداء ثم أخذ يروي لي في عبارات رقيقة ومعاني سامية لا تحضرني جميعها ...
ولكن سأنسجها من ذاكرتي وأضيف عليها أشياء رواها الشيخ لي في مواقف أخرى وهي بذات مضمون ما قاله.. دون زيادة أو مبالغة..
ولو كانت عندي مكتوبة أو مسجلة لرقمتها لكم بحرفها ولكن للأسف
لم يبق سوى ما في ذاكرتي وبالكاد تجود معي بشيء!!
قال رحمه الله:
كانت عائلتنا فقيرة .. كأغلب العوائل في عنيزة حيث مر على الناس
جوع ومخمصة لقلة الأمطار ولندرة المال، ولانعدام الأمن ، حيث يعجز
الواحد أن يخرج من عنيزة لبريدة أو لأي مدينة أخرى حينما يحل الظلام .. خوفا من السراق وجماعات النهب والسلب...
كانت عائلتنا تملك بقرة حلوب نشرب من حليبها ولبنها ونتغذى من سمنها ولحمها في المواسم.. كما هو الحال في كل بيوت عنيزة..
وكان والدي يذهب نهارا للوادي لكي يزرع ويسقي نخله وغرسه..
فكنت أساعده في شؤون عمله ..
حبب الله تعالى لي العلم وطلبه قبل أن تنشأ المدارس النظامية والمعاهد، فالتحقت بحلقة شيخنا ابن سعدي رحمه الله مرورا بدروس
بعض تلاميذه الكبار اللذين كانوا يدرسون مبادئ العلوم لصغار الطلبة
ومنهم أنا (يعني الشيخ نفسه..)
فكنت أحرص على الجمع بين الطلب ومساعدة الوالد رحمه الله..
استمر الشيخ عدة سنوات في الدراسة على شيخه ابن سعدي
وأقبل الطلبة عليه من عنيزة وخارجها ..
حيث هو علامة القصيم حينها بلا منازع..
يقول الشيخ : كان شيخنا ابن سعدي رجلا حليما ورحيما بطلابه فكان
يشجعنا على الطلب بكل ما توفر له من إمكانات ..

فكان يثير جو المنافسة بين المجموعات بالمناظرات والمجادلة والمحاورة ، فيكافئ المجموعة الفائزة أو الطالب المجد بحفنة من تمرات الرطب أو العنب أو بمكافأة مالية رمزية ..
وكان الشيخ في دروسه يبسط الكلام ليستوعب الصغير والكبير عنه
ويحاور طلابه ويمازحهم أحيانا في دروسه ، مما يثير جو الحرص وحب الاستماع والاستفادة من علمه وأدبه ..
وكان الشيخ يزور الطلبة في بيوتهم ويحضر مناسباتهم ويعود مرضاهم
يقول شيخنا : كانت مكتبتي حينها عبارة عن غرفة صغيرة ، انحشر فيها وتصعب علي فيها الحركة سوى بمشقة ولها كوة صغيرة تشرف
على زريبة البقر ولم أكن أتأذى من روائحها النتنة لأنني لا أشم أصلا!!
أراجع في مكتبتي المتواضعة دروسي من كتاب الروض وتفسير الجلالين وغيرهما ..
يقول الشيخ : ثم مرت بعد ذلك فترة من الركود العلمي فتضائل عدد
الطلاب عند الشيخ ابن سعدي...
وشغل الناس بأمور سياسية ومذاهب فكرية كالناصرية والقومية العربية الاشتراكية وغيرها بسبب الإعلام المنحرف والموجه..
وانفتحت أبواب التجارة والعمل والتعليم في الجامعات والمعاهد فهاجرت كثير من العوائل للمدن الكبرى كالرياض والمنطقة الشرقية
وغيرها...
يقول الشيخ : ثم إنني أصابني ما أصاب الناس فانصرفت عن دروس
الشيخ واشتغلت بالزراعة في الوادي مع الوالد ..
قلت له : كم الفترة التي انقطعتم فيها عن العلم؟؟
قال : خمس سنوات تقريبا!!
قلت له : وماذا كنت تعمل حينها ؟؟
قال: أزرع واحصد ولم أكن أذاكر أو أراجع العلم الذي حصلته عن الشيخ ابن سعدي، وكدت أنسى القرءان غير أنني كنت أراجعه وأنا أسير على حماري إلى الوادي!!

ولولا ذاك لنسيته ولكن الله سلم..
يقول الشيخ: ولم يكن يحضر حلقة الشيخ بن سعدي سوى عدد بسيط
من كبار طلبته ، ومع ذلك صمد الشيخ واستمر في التعليم والتأليف
والإفتاء.. والخطابة وتدريس العوام ..دونما انقطاع.. رحمه الله رحمة واسعة..
يقول شيخنا: ثم إن الله تعالى حينما أراد بي خيرا ..
جئت يوما لجامع الشيخ ابن سعدي وحضرت درسه لأول مرة منذ سنوات ..
فما عاتبني الشيخ ولا نهرني لانقطاعي ولم يقل لي:
لم غبت ؟؟
أو لم تركت العلم؟؟ أو نحو ذلك ...
مما أثر في نفسي وحبب الشيخ ابن سعدي لنفسي..
فرفع ذلك السلوك من الشيخ همتي ..
و توجهت بكل جوارحي للعلم ، فزاحمت الكبار وثنيت الركب بين يديه
وحصلت من علمه وأدبه ما فتح الله علي به ، فحزت رضاه وإعجابه
فقربني وخصني بدروس لي خاصة أو مع خاصة تلاميذه..
فقرأت عليه متونا كثيرة في الفقه والتفسير والأصول والنحو والصرف
والحديث والمصطلح وغيرها من العلوم النافعة..
وحصل أن انتقلت عائلة الشيخ محمد لمدينة الرياض ..
فطلب الشيخ ابن سعدي من والد الشيخ محمد كما سبق وذكرنا أن يبقى
شيخنا في عنيزة ليكمل طلبه للعلم ، حيث رأى الشيخ فيه علامات النبوغ والنباهة فحرص على بقائه ليستمر في التحصيل وهذا ما كان..
و بعد سنوات افتتحت المعاهد العلمية..
فاستأذن شيخنا من شيخه ابن سعدي أن ينتقل للدراسة
في المعهد العلمي في الرياض ..
فأذن له شيخه ..
يقول شيخنا ..

حينما دخلت قاعة الدرس في المعهد العلمي في الرياض ..
وتغيرت علي وجوه الطلبة اللذين عهدتهم ..
وكان الجو الدراسي وطرق التدريس مختلفة عما أعتدت عليه ..
تنكرت علي الأمور وضاقت علي نفسي ..
وندمت على حضوري للرياض..
وكان يجلس بجواري شاب كفيف خلوق وطيب فأحببته واستأنسـت به
منذ أول لقاء به..
وهو الشيخ العلامة عبد الرحمن البراك العالم المشهور ..
يقول الشيخ : ونحن في القاعة وأنا أتحدث مع صديقي وجاري
دخل علينا رجل بدوي الهيئة اسمر البشرة رث الثياب ..
وجلس على مقعد التدريس فقلت في نفسي:
الآن أترك شيخنا ابن سعدي وعلمه الواسع وطيبته وأريحيته وسماحة نفسه ..
وكنت في بلدي وديرتي وبين أقاربي وأصحابي
أترك كل ذلك من أجل أن أتعلم عند هذا الإفريقي البدوي..؟؟
ياضيعة العلم والعلماء..
يقول الشيخ : ثم إن هذا الأعرابي بدأ في الكلام ..
فحمد الله وصلى على رسول الله ..
وتكلم في فنون العلم وصنوفه من حفظه بلا كتاب
فشرق وغرب وتلا الآيات ونقل أقوال المفسرين والفقهاء ..
وخلافاتهم ، قديمها وحديثها..
وذكر الأحاديث بأسانيدها وشواهدها والحكم عليها..
وروى الأشعار والشواهد والنصوص الطويلة.. الهائلة وتفجرت أنهار العلوم من بين جنباته
و تدفقت من لسانه كالسيل الهادر ..
علوم وأقوال لايكاد يحويها صدر عالم لقيناه أو عاصرناه..
فلله دره ..
ما أقوى حجته ..
وما أسد بيانه ..
وما أرفع كعبه في العلم وبيانه ونقله ..
رغم احتقارنا لهيئته أول الأمر ..
يقول الشيخ : ففرحت بذلك أيما فرح ..
وشكرت الله تعالى أن تمكنت من لقيـا هـذا الجبـل الأشـم والبحـر

الزاخر..
إنه العلامة المفسر الفقيه النحوي الشيخ محمد الأميـن الشـنقيطي رحمه الله رحمة واسعة..
صاحب التفسير الكبير تفسير أضواء البيان..
أستفدت من علمه في التفسير والأصول والنحو وغيرها..
يقول الشيخ: ولازمت دروس سماحة شيخنا العلامة عبد العزيز بــن عبد الله بن باز عليه رحمة الله ..
فقرأت عليه جزءا من صحيح البخاري وأبواب الفرائض..
وقد أهتم بي الشيخ وخصني بدروس في منزله
فقـرأت عليـه عـددا مـن المتـون فـي قواعـد التفسـير والحـديث وغيرها..
وحسبك بهذين العالمين الجليلين علما وفقها وسعة اطلاع ..
عليهم وعلى شيخنا سحائب الرحمة والرضوان..

الحلقة الرابعة والأربعون

بعد أن أكمل شيخنا دراسته في المعهد العلمي في الرياض..
رجع لموطنه عنيزة ..
ومكث في هذه المدينة الهادئة الوديعة طوال حياته..
وحينما افتتح المعهد العلمي في عنيزة عين شيخنا مدرسا فيه..
وأكمل دراسته بالانتساب في كلية الشريعة في الرياض..
أصيب الشيخ ابن سعدي بعارض صحي فسافر للعلاج إلى لبنان..
فتعافى .. ولكن المرض عاد له بعد فترة من الزمن..
فأرسلت طائرة الإخلاء لنقله فتوفي قبل أن ينقل للرياض..
وذلك في عام 1376 للهجرة..
واحتار النـاس فيمـن يخلـف الشـيخ ابـن سـعدي فـي الإمامـة فـي الجامع الكبير والخطابة والتدريس في حلق المسجد..
ووقع اختيار عدد من الوجهاء على الشيخ محمد ..
رغم أنه لم يكن أكبر الطلبة سنا أو أقدمهم فـي حلقـة الشـيخ ابـن سعدي..
وتبين للناس بعد حين أن اختيارهم لشيخنا كان توفيقا وتسديدا مـن الله تعالى ..

سبب موت العلامة الفقيه ابن سعدي رحمه الله فراغا في التعليم الشرعي ، ولكن لم يطل الوقت حتى سد شيخنا مسده بل كاد يجاوز شيخه أو قد فعل!!
سلك شيخنا أسلوب الشيخ ابن سعدي في الإلقاء حيث التبسيط والتركيز على الكيف لا الكم..
والعجب من بعض طلبة العلم في زماننا هذا ..
ترى الواحد منهم يسوق في الدقيقة الواحدة كما كبيرا من المسائل والنقولات ولا يكاد يستوعب الطلبة من أستاذهم سوى النزر اليسير من علمه.. !!
يقول ابن عباس حبر الأمة رضي الله عنهما..
في قوله تعالى (وكونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون) قال هم من يبدؤون بصغار العلم قبل كباره..
قال لي احدهم يوما: ما بال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في دروسه التي نسمعها على الأشرطة فيها كأنه يدرس أطفالا لا طلبة علم ؟؟
قلت له : أنت تبالغ في كلامك.. لكن الشيخ يبسط المسألة لأن أفهام الناس تتفاوت فيستفيد من كلامه الطالب المبتدئ و كذلك الطالب المجد النهم .... فهي ربوع نظرة وبساتين عامرة كل يقطف منها ما
يسد حاجته ويروي عطشه ..
لقد ورث شيخنا هذا الأسلوب عن شيخه ابن سعدي والشيخ ابن سعدي
أخذ هذا الأسلوب عن الشيخ محمد الشنقيطي وليس هو صاحب أضواء البيان بل هو أحد العلماء اللذين مروا على عنيزة في طريقهم لمدينة الزبير في العراق حيث تتلمذ عليه الشيخ ابن سعدي في فترة بقاءه
في عنيزة واخذ عنه سند رواية الكتب الستة متصلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..
وبهذه المناسبة يسرني أن أزف هذه البشرى لطلبة شيخنا ابن عثيمين رحمه الله جميعا ممن تتلمذوا على يديه وحضروا دروسه واستحقوا أن يطلق عليهم عرفا أنهم تلاميذ لديه بأن لهم جميعا نسبا شريف
متصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم !!
هو خير الأنساب وأفضل وأزكى عند الله لمن اتقى!!

من نسب الرحم والقرابة ..

ولهذا النسب وتدوينه قصة سأحكيها لكم لاحقا ..
ومضـمونها أنـه حينمـا ابلغنـي الشـيخ رحمـه اللـه بإصـابته بمـرض السرطان في القولون تـألمت لـذلك أشـد الألـم وحـز فـي نفسـي وتكدرت علي أموري ..
فكتبت له هذه الورقـات ومعهـا أوراق أخـرى وفيهـا أبيـات شـعرية نظمتها
وسلمتها له ..
ففرح بها الشـيخ وأثنـى عليهـا ويسـعدني أنهـا كـانت سـببا لإدخـال السرور على نفسه رحمـه اللـه رحمـة واسـعة والآن دعـوني أذكـر السند والذي أطلقت عليه (نسب العلماء)
علما أن الفضل يعود بعد الله في تدوين هذا النسب للشيخ العلامـة عبدالله البسام رحمه الله
حيث نقلت أغلب ذلك النسب النبيل من تحفته النادرة الطراز (تاريخ علماء نجد خلال ثمانية قرون)
قلت فيها :
هذا هو نسب شيخنا وأستاذنا العلامة الفقيه المفسر النحوي ..
الشيخ محمد بن صالح العثيمين ..

وقد أخذ العلم عن شيخه العلامة عبد الرحمن الناصر السعدي ..
وهو أخذ العلم عن الشيخ صالح بن عثمان القاضي..
وهو أخذ العلم عن الشيخ عبد الله بن عائض..
وهو أخذ العم عن الشيخ علي بن محمد بن علي قاضي عنيزه
وهو أخذ عن الشيخ العلامة عبـد اللـه بـن عبـد الرحمـن أبـا بطيـن مفتي نجد المشهور
وهو أخذ عن الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الإحسائي..
وهو أخذ عن العالم الشهير محمد بـن فيـروز وهـو أخـذ عـن والـده عبدالله بن فيروز ..
وهو أخذ عن والده محمد بن فيروز الجد..
وهو أخذ عن عبد القادر التغلبي ..
وهو أخذ عـن محمـد البلبـاني وعـن الشـيخ عبـد البـاقي والـد أبـي المواهب...
وهما أخذا عن العلامة منصور البهوتي .. صاحب الروض..

وهو أخذ عن يحي بن موسى الحجاوي ... صاحب الزاد..
و عن الشيخ أحمد الوفائي وهما...
عن الشيخ موسى الحجاوي صاحب الإقناع ...
وهو أخذ عن الشيخ أحمد الشويكي...
وهو أخذ عن أحمد العسكري..
وهو أخذ عن علي بن سليمان المرداوي العلامة المشهور منقح المذهب الحنبلي ..
وهو أخذ عن ابن قندس...
وهو أخذ عن ابن اللحام...
وهو أخذ عن الحافظ ابن رجب الحنبلي..
وهو أخذ عن شمس الدين ابن قيم الجوزية ...
وهو أخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية ....
وهو أخذ عن شيخه شمس الدين عبد الرحمن بن أبي عمر صاحب الشرح الكبير..
وهو أخذ عن عمه موفق الدين ابن قدامة ...
وهو أخذ عن شيخه العابد الزاهد عبد القادر الجيلاني...
وعن الحافظ ابن الجوزي وعن ابن المنى الفقيه المشهور وهم ..
أخذوا عن أبي الوفاء بن عقيل صاحب كتاب الفنون..
وعن أبي الخطاب صاحب الهداية...
وهما عن القاضي أبي يعلى...
وهو أخذ عن أبي حامد ...
وهو عن أبي بكر بن عبد العزيز غلام الخلال...
وهو أخذ عن أبي بكر بن الخلال...
وهو أخذ عن المروزي وأولاد الإمام أحمد بن حنبل صالح وعبدالله...
وهم أخذوا عن الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنه....
وهو أخذعن أئمة ومنهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي...
وسفيان بن عيينه وهما عن عمرو بن دينار والإمام مالك بن أنس....
وهو أخذ عن نافع مولى ابن عمر...
وهو أخذ عن صاحب رسول الله الفقيه عبد الله بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما...
وهو أخذ عن إمام المتقين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم....

هذه سلسلة كريمة مليئة بالنجوم الزاهرة وبـالكرام الأوليـاء وعلـى رأسهم رسولنا وحبيبنا سيد الأولين والآخريـن محمـد بـن عبـد اللـه الهاشمي عليه افضل الصلاة والسلام أهديها لكل طالب علـم درس على يد شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله..

الحلقة الخامسة والأربعون

في أيام رمضان تتوقف الدروس في الجامع سوى تلك التي تعني بالشهر الفضيل
والصوم والوعظ ونحوه.. كما سبق بيانه ..
في طريق عودة شيخنا للمنزل قبيل غروب الشـمس حيـث يمكـث لقراءة حزبه في المسجد ..
يـدعو الشـيخ كـل مـن رآه مـن طلبتـه وغيرهـم لمرافقتـه لتنـاول الإفطار في منزله...
أما أنا فكنت افطر كل يوم من تلك الأيام في بيته..
وقبل أذان العشاء بقليل يتوجه الشيخ مشيا على قدميه للجامع ..
ويصلي بالناس العشاء والقيام ..
و يقرأ كل ليلة نصف جزء من القرءان تقريبا
ويصلي إحدى عشرة أو ثلاثة عشر ركعة كما هي السنة..
يختمها بقنوت خاشع وخاضع .. ولا يقنت أحيانا قليلة..
بقيت في عنيزة خمسة عشر يوما أو ثمانية عشر يوما تقريبا ..
ثم استأذنت شيخنا للذهاب للطائف لزيارة العائلة والبقاء عندهم..
حتى قدومه لمكة.. حيث أرغب في رفقته وصحبته هناك ..
فقال الشيخ لي: على بركة الله .. واللقاء في مكة..
فرحت بهذا الشرف حيـث سـأكون رفيقـا لشـيخنا فـي تلـك الأيـام الفضيلة..
حجزت من مطار القصيم مرورا بالرياض إلى الطائف ..
وأكدت الحجز بمشقة كبيرة ..
ودعـت شـيخنا بعـد صـلاة الفجـر و أوصـلني أحـد رفقـائي للمطـار ضحى..
وكانت تلك أول سفرة لي للطائف بعد ذهابي لإحضار حاجياتي..
وصلت للمطار .. وتوجهت لكاونتر السفر ..
فقال لي الموظف: الطائرة تأخرت !!
فقلت له: وكم ساعة تأخرت؟؟

قال : لا ندري ؟؟
ولكن طائرتكم المغادرة للرياض سوف تذهب أولا من الرياض إلـى منطقة الجوف
ثم تعود للقصيم لتنقل المسافرين إلى الرياض...ّ!!
وهي حـتى هـذه اللحظـة لـم تغـادر مـن الريـاض والمفـروض أنهـا غادرت فجرا ..
ونصيحتي لك تبدل حجزكم لجده .. فهي مغادرة بعد ساعتين....
ترددت بين الخيارين ..
ولكن في النهاية عزمت على البقاء للسفر على رحلتي الأصلية ..
حيث أن رحلتي المغادرة من الريـاض للطـائف سـتكون قريبـا مـن العصر..
فأملت أن أدركها ..
ألح علي أحد زملاء السكن أن أسافر على جده فهي أضمن ولكنني أبيت !!
غادرت رحلة جده حوالي الساعة الحادية عشرة حيث تـأخرت قليلا ..
انتظرت رحلتي في المطار من الساعة الثامنة صباحا وحـتى قريبـا من العصر ..
وبلغ بي الجهد والانتظار والملل مبلغه ..
حيث لم يعد لي أي خيار آخر سوى تلك الرحلة ..
وأخيرا جاءت طائرتي حوالي الساعة الخامسـة عصـرا... ولـم تكـد تصل..
انطلقنا للرياض .. ووصلنا بعد أربعين دقيقة ..
ولكـن للأسـف رحلـة الطـائف كـانت قـد غـادرت السـاعة الثالثـة عصرا!!
توجهت لكاونتر المبيعات لأستفسر عن الرحلة التالية للطائف..
فوجدت طوابير هائلة من البشـر تقـف فـي صـفوف مبعـثرة وغيـر مرتبة ،
يستجدون موظفي الخطوط العابسين المشمئزين!!
وقفـت مـع النـاس حـتى أذن علينـا المغـرب فغادرنـا الموظفـان الكريمان دون أن يخبرا الناس .. أين وجهتهما !!
وبقينا حوالي النصف ساعة والأرتال واقفة فيهم الكـبير فـي السـن والمريض وصاحب الحاجة ، ولا تسل عن تأفف الناس وتضايقها ؟؟
وأخيرا رجع أصحاب السعادة وهم فرحون ويتمايلون ويضحكون بعد

تناول وجبة الإفطار وأداء الصلاة طبعا بكل خشوع واطمئنان !!
ولا بأس قليلا من نيل قسط من الراحـة والاسـترخاء ومعرفـة آخـر الأخبار !!
عاد صاحبانا وهما يمضغان العلك!!
ليرطبا نسماتهما الزكية من روائح الطعام الشهي واللذيذ !!
كانا في قمة النشوة والنشاط بحيث أنهما لم ينهيا سوى عدد ضئيل من
المسافرين(الضعفاء) حـتى أذن عليهمـا لصـلاة العشـاء، فانصـرفا راشدين فخورين
لأداء صلاة الفرض ومعها ربما !!كم ركعة من التراويح!! ليروحا عن نفسيهم
من عناء العمل والمكدة على الناس!!
قد يقول البعض أنني أبالغ ولكن والله هذا ما حصل ذلك اليوم..
وهو شيء مشاهد للأسف ولا يخفى على الجميع..
ونراه ونشاهده بوتيرة مختلفة من مطار لآخر ومن زمن لآخر ..
والله من وراء القصد..
أذكر مرة أنني كنت في ماليزيا ذلك البلد الآسيوي العملاق ..!!
وأسميه عملاقا ليس بسبب حداثته وتطوره فحسب !!
بل لثقافة شـعبه المسـلم والمتمسـك بقيـم الحضـارة مـع تمسـكه بدينه ومبادئه!!
كنت بصحبة عدد من الأصحاب في منطقة اسـمها (قنتـن هايلانـد) وهي منطقة
ساحرة وخلابة تقع في شرق العاصمة كوالالمبور على بعد عشرين دقيقة تقريبا
(بالمناسبة !! سعر التذكرة على التلفريك شاملة ركوب الباص مـن العاصمة
وحـتى محطـة التلفريـك مـع ركـوب التلفريـك ، جميـع ذلـك ذهابـا بخمسة ريالات فقط!!)
حينما وصلت مع أصحابي للطابور الواقـف أمـام العربـات المعلقـة والمسماة التلفريك ، هالني العدد الهائل من الناس ..
والذين يقفون في طوابير لا تكاد تعد ولا تحصـى مـن البشـر ..مـن النساء والأطفال والشباب والشيوخ..
فقلت لصحابي سنصل لأول عربة غدا إن شاء الله ..؟؟
فالتفت لـي صـاحبي وقـال: أنـت فـي بلـد منظـم يـاعزيزي أنتظـر

وسترى !!
كان الصف يتحرك بانتظام وبدون توقف ولا يتقدم احد علـى الآخـر كل يعرف سبيله وحدوده..!!
وصـلنا لأول الصـف بعـد عشـرين دقيقـة تقريبـا .. وهـذا واللـه مـا حدث!!
دعوني أكمل رحلتي فمالنا وما لماليزيا ؟؟
أخيرا وصلت لسعادة الموظف في كاونتر المبيعات ..
تصنعت ابتسامة وردية حتى أكسب وده وتعاطفه ورحمته..
وكأنني واقف في طابور للشحاته !!
تكلم معي دون أن ينظر لوجهي الكئيب!!
بكل برود وعنجهية قال :
مافي رحلات رح بر اصرف لك !!
فقلبت حساباتي ودرست وضعي النفسـي والجسـدي خلال ثـانيتين !!
فلم يطق صاحبي الانتظار وقال لي : خلصنا يامطوع!!
قلت :يا أخي (وكدت أقفز من فوق الكاونتر واقبل يديه!!)
أنا مواصل من القصيم وتعبان .. شفلي أي مقعد ولو درجة أولـى.. الله يخليك!!
قال ورفع يده ومسح بالأخرى على قفاه : رح سجل انتظار وبعدين أشتري
التذكرة من عندي!!
قلت وأنا أمسح بيدي : طيب لا مشكله ، بس إن رجعت عندك هـل يجب علي
أمسك الطابور مرة ثانية؟؟
قال: طبعا !!
هذا النظام!!
ثم أمرني بالانصراف لينهي من بعدي من البؤساء!!
توجهت أجر ذيول الخيبة للكاونتر المذكور..
ويالله العجب !!
كل الوجوه عابسة ذلك اليوم ..
العسكر والموظفون و حتى عمال النظافة ..
أعوذ بالله ...كأننا في حرب ولسنا في مطار ..
حينما عبرت من عند نقطة التفتيش .. الداخلية ..
لم أجد مكانا لأقف عنده.. من الزحام وكثرت الرائح والغادي!!

ولا يكاد المرء يجد مساحة للهواء ليتنفس الهواء النظيف !!
كنت كلما مر بجواري موظف رسمي أمسك به و اسأله أين كـاونتر الانتظار؟؟
يقول لي أحدهم .. يمين !!
والآخر يقول هناك أمامك ..
وآخر ينظر لي شزرا وباحتقار ولا يـرد علـي ..!! كـأنني قتلـت أبـاه وأمه!!
ولكن أخيرا دلني عامل النظافة جزاه الله خيرا ..!!
ويا للعجب ..
حينمـا وصـلت للكـاونتر .. رأيـت أكداسـا مـن البشـر أغلبهـم مـن الجاليات الآسيوية من الهند وبنغلادش وسيرلنكا وغيرها من البلدان ..
وأغلبهم بلباس الإحرام ..
مكدسة أمام موظف واحد لا تسل عن وصفه وعن ملامحه ؟؟
وعن تجهمه المفرط ؟؟
حينمـا تـرى صـفوفا مـن هـذا النـوع فالوسـيلة الوحيـدة للوصـول للموظف ..
هو أن تخترق الأرتال بالدفع عن اليمين والشمال والمزاحمـة وشـد الشعور واللطم أحيانا!!
وإلا فوا لله لن تصل إليه أبدا..
أما أنا فبقيت واقفا بكل أدب أنتظر دوري ..
وكنت كلما اقتربت للموظف جاءت أمامي طوابير جديدة
فيعيدني العسكري الأسمر ذو الشوارب الذابلة !!
قائلا: من أول الصف يامطوع!!
شاهدت عـاملا تـوجه لموظـف الخطـوط ويظهـر انـه مسـئولهم أو مديرهم
فانكب على يده يقبلها ويبكي ويتلوى ويرفع تذكرته ويقول..
والله أنا مـن ثلاثـة يـوم مـافي أكـل وشـرب ولا نـوم أبغـى أسـافر للدمام..!!
فقال الموظف بعد أن شعر بالحرج من نظر الناس وتجمعهـم لهـذا المشهد المخزي!!
المشـــكلة مـــن الكفلاء يرمـــون هـــذولا المســـاكين ولا يؤكـــدون حجوزاتهم!!
رمى السيد المشكلة على الكفلاء نور الله قلوبنا وعقولنا ؟؟

في كل مكان ترى الهمج من شبابنا للأسف !!
وقف مجموعة من الفتية متوسطي الأعمار والمراهقين!!
مستغلين تلك الفوضى والهرج والمرج !!
ودلوا رؤوسهم من فوق السور العلوي
في أعلى المطار فوق كاونتر الانتظار مباشرة !!
وصرخوا على العمالة المسكينة المتجمهرة أمـام الموظـف وقـالوا لهم: تبغون
تسافرون مكة؟؟
روحوا هناك فيشيرون عليهم للكاونتر المجاور ..
فيتراكض الضعاف ويحدثون جلبة .. ثم يكتشفون أنهم خدعوا !!
فيعودون مرة أخرى ..
فيتمايل أولئك الفتية بالضحك والمزاح!!
مع أنه يحيط بموظف الخطوط مجندين من الشرطة بزعـم تنظيـم الصفوف والأرقام.. !!
وهيهات!! فهما لا يتحركان ساكنا وكأن الأمر لا يعنيهما ..
إن وظيفة هذين الأخوين الكريمين كما شاهدت بعيني هو السوالف والحديث مع بعضهما أو مع موظف الخطوط ولا بأس من التوسـط لصديق أو قريب على حساب المساكين اللذين لهم الله تعالى!!
لا أريد أن أطيل عليكم وقد فعلت !!
بقصة فارغة وطويلة قد لا تكون مفيدة ..
ولكن يعلم الله تعالى أنني لم أصل للطائف سوى بعـد مـرور أكـثر من أربعين ساعة من الانتظار والعذاب أخلف الله علينا خيرا !!

الحلقة السادسة والأربعون

حينما صعدت للطائرة المتوجه لجده..
لا أذكر سوى شيئين اثنيـن : جلوسـي علـى المقعـد .. ثـم شـعوري بهبوط الطائرة الجانبو العملاقة على أرض المطار !!
حيث استسلمت لنوم عميق مر علي كخفقة جناح!!
من التعب والإرهاق ..
نزلـت مـن الطـائرة وتـوجهت لسـيارات الليمـوزين وطلبـت مـن السائق أن يقلني لمحطة التكاسي ..
وصلت للمحطة فوجدت عددا من الرجال المتجمهرين فـي مـدخل المحطة

و ينادون في الناس .. مكة مكة الطائف .. أبها .. !!
توجهت لمن نادى على الطائف .. فقلت لهم : أريد الطائف ..
فأحاطوا بي كما يحيط السوار بالمعصم ..!!
وأخذوا يتلمظون بي كما تتلمظ الأفعى بفريستها..
هذا يقول : يالله اوديك مشوار.. وقال الآخر : كم تدفع؟؟
وقال الآخر بقي عندي راكبين ..
وأحدهم قال : مابقي عندي إلا راكب واحد ..
فقلت له : سأذهب معك أنت وين سيارتك ..
فحمل حقيبتي وقال: اتبعني...
وصلت لسيارته الكر يسيدا متوسطة الحال !!
موديل 82 !!
فوجدت السيارة فيها راكبين اثنين فقط !!
فقلت له : وين الركاب الآخرين ؟؟
قال: كانوا هنا وراحوا !!
بس اصبر دقايق ويجون ركاب بسرعة !!
قلت له : ياعم أنا مستعجل ولازم أمشي على طول ..
فقال : اصبر شوي لا تحرمنا من الرزق ..
انتظرت وكنت لا أكاد أستطيع الوقوف من الإعياء ..
ثم فكرت قليلا وقلت له:
اسمع سأدفع لك حق ثلاثة ركاب ويالله نمشي !!
وجدت المبلغ ليس بكبير وكنت مرهقا وأريد الوصول للطائف بأسرع ما يكون
فقال لي الرجل وهو في الخمسينيات من عمره وقد ملأ الشيب حواجبه
وشواربه وما بقي من لحيته وشعر رأسه!! :
طيب، خلاص هات بطاقة أحوالك حتى أسجل اسمك ..
ناولته البطاقة والمبلغ مقدما لثلاثة ركاب ..
فذهب للتسجيل ورجع بعد عشر دقائق ولم يعد وحيد
بل جاء ومعه راكبين !!
فقلت له : من هؤلاء ؟؟
فقال: ركاب !!
قلت : طيب ، أنا دفعت حق ثلاثة ركاب رجع لي قروشي اللي دفعتها
لراكبين !!

فقال : والله ما أحد قال لك تدفع !!
ظننت في البداية الرجل يمزح!!
ولكن رأيت علامات الجد بادية على محياه!!
شدهت من الموقف ، وبقيت أنظر له بحيرة ..
هل جن هذا الرجل ؟؟
كيف يستحل هذا المال ؟؟
وفي شهر رمضان ؟؟
أنا أكتب لكم إخوتي الكرام أخواتي الكريمات ووالله لو لـم تحـدث لي القصة
لكدت أن لا أصدق حدوثها ..
كيف طابت نفسه بفعل ذلك وبأي مبرر ؟؟
قلت له : ياعم كيف ترضى تطعم أولادك مال حرام؟؟
قـال ويظهـر أنـه استصـغرني : أركـب وخلينـا نمشـي بـدون كلام فاضي!!
العجيب أن الركاب قد شاهدوا ما حدث ولم يتكلم منهم أحد ..
لم يكن لـدي فرصـة لأن أفعـل أي شـيء فقـد اخـذ الرجـل المبلـغ وليس معي
مستند يثبت ذلك ويستطيع الإنكار بكل سهولة ..
لم أذق طعم النوم طوال الطريق من تصرف هذا الظالم ..
وأقسمت بعدها أن لا أركب مع سيارة أجـرة تكسـي أبـدا وهـذا مـا فعلت!!
قلت له : أوصلني لبيت أهلي على اقل تقدير ..
قال : أوصلك مع الركاب للمحطة !!
هل كوني تركت الرجل يفعل مـا يفعـل دون أن أتصـرف أو اسـترد حقي ولو
بالقوة هو جبن وخور حيث كنت ضعيف البنية؟؟
هل هو احترام لشيبته وكبر سنه؟؟
هل هو بسبب الشهر الفضيل وكوننا صائمين؟؟
هل هو بسبب ربكة الموقف وصغر سني وقلة خبرتي في الحياة ؟
ربما كل ذلك أو بعضه !!
هل أن الله تعالى أراد بحكمته وتقديره يعلمني أن الحياة كلها جهاد وكفاح
فلا تركن ياهذا ولا تطمئن ؟؟
كل ذلك وارد ..

وصلت للطائف ومنذ دخولي للمنزل ورؤية الوالدة الكريمة والوالـد والإخوان
والأخوات نسيت كل ما مر علي من تعب ومشقة وإذلال ..
أول شـيء فعلتـه بعـد ذلـك أننـي اتصـلت علـى الشـيخ لأخـبره بوصولي..
حيث أمرني هو بذلك ..حتى يطمئن مـن وصـول الأمانـة الـتي فـي عنقه لأصحابه
اتصلت عليه وسلمت عليه وبلغته بوصولي فتعجب حينما علم أننـي لم أصل إل
بعد يومين!!
قلت له : ياشيخنا الحكاية طويلة وخلها علـى اللـه تعـالى .. الحمـد لله أنني وصلت
ثم ناولت الوالد السـماعة والوالـدة فكلمهمـا وسـلم عليهمـا وقـال للوالدة:
الله يجعله قرة عين لك!!
بقيت في الطائف عدة أيام واستمتعت فيها أيما اسـتمتاع حيـث أن الشمل قد
اجتمع بفضل الله ثم بفضل الشيخ..
لم يحدث شيء يستحق الذكر في تلك الأيام ،
استأذنت والدي ونزلت لمكة بعد أيام ..
لكي أقابل شيخنا هناك.. وأكون برفقته ..
في اليوم الموعود أحرمت من بيتنا ومـررت بالميقـات ومنـه لـبيت للنسك
ووصلت لمكة قبيل صلاة الظهر تقريبا ..
وكان موعدي مع الشيخ أن ألقـاه قريبـا مـن محـراب الإمـام حيـث سيصلي خلفه
لمحت الشيخ وهو بالإحرام يسير متوجها لمقصده ومعـه الأخ علـي السهلي ..
وحدث موقف طالما تكرر معنا ..
حينما اقترب الشيخ من الصـف الأول تقـدم لـه جنـدي مـن الجنـود ودفع الشيخ
وقال : صل ياحجي هناك!!
ولم يعرف الشيخ طبعا..
فتقبل شيخنا الأمر واسـتدار وأراد أن يرجـع ،فلمحـه المشـائخ فـي

الصف الأول
فعرفوه ..
فلحق عدد منهم الشيخ وأرجعوه وعنفوا الجندي المسكين ..
شيخنا رجل بسيط ولا يحب التعقيد وكثرة النقاش ..
أذكر مرة أننا كنا نريد الدخول لمواقف السيارات بجوار الحرم ..
فردنا الجندي وأبى كل الإباء أن يسمح لنا بالمرور ..
فرجعنا ولم ندرك الصلاة في الحرم بسببه ..
وكان بالإمكان أن نتصرف معه بوسائل أخرى!!
ذات مرة في طريق المدينة القصيم أوقف الشيخ رجل أمـن ومعـه أخاه عبد
الرحمن .. فقال له العسكري : هات هويتك ؟؟
فقال الشيخ : هويتي في حقيبتي وهي خلف السيارة!!
فقال العسكري: انزل وجب الهوية من الحقيبة ..!!
فترجل الشيخ وفتح الحقيبة وأخرج هويته للعسكري ..
فنظر لبطاقة أحوال الشيخ فقال : وين صورتك؟؟
وللعلم هوية الشيخ بدون صورة مكتوب مكان الصورة (معفى) !!
فقال الشيخ : أنا معفى من التصوير!!
فقال الجندي وشك في القصة: ليش ؟؟
أول مرة يمر علي شخص معفى من التصوير!!
فقال الأستاذ عبد الرحمن : هذا الشيخ ابن عثيمين!!
فما عرف الرجل الشيخ وقال مستهزئا: كلكم شيوخ !!
وبالكاد أرجع الهوية وسمح لهم بالمرور !!
وهذه قصة قريبة حدثت لمجموعة من طلبة العلم من الأردن ..
وعددهم ثلاثة..
حيث ذهبوا لأداء العمرة وحضروا دروس شيخنا رحمه الله في مكة
وفي طريق عودتهم للأردن حدث لهم حـادث مـروري فـي المدينـة واصطدمو
بإشارة مرور بسيارتهم العتيقـة فـأتلفوا الإشـارة ولـم تعـد صـالحة للاستعمال ..

فتحفظت عليهم إدارة المرور وأمر الضابط بحبسهم حتى يسـتوفى منهم قيمة
الإشارة كما هو النظام..
فمكثوا في الحبس عدة أيام دون نتيجة أو عفـو وحـاولوا وتلمسـوا

أن يسمح لهم
الضابط بالسفر للأردن وسوف يجمعـون لـه مبلـغ الإشـارة التالفـة ويحولونه له
بعد التعهد بذلك..
فرفـض الضـابط وقـال لهـم : يجـب أن تـدفعوا القيمـة أو سـوف أحيلكم للمحكمة !!
عندها قال أحدهم : لما لا نتصـل علـى أحـد المشـائخ ونطلـب منـه العون فنحن
عابروا سبيل ولعل الله ييسر لنا فكاكا من الكرب الذي نحن فيه..
فوقع اختيـارهم علـى الشـيخ محمـد لقـرب العهـد بـه ولعلمهـم أن الشيخ لن يقصر
معهم إن شاء الله ..
ولكن المشكلة كيف سيصلون للشيخ؟؟
نادوا على الضابط واجتمعوا به في مكتبه وقالوا جميعا : نريد نتصل على الشيخ
ابن عثيمين !!
فقال : هل عندكم رقم هاتفه قالوا : لا !!
فقال : أعطوني اسمه كاملا !!
فقـالوا : اسـمه محمـد بـن صـالح العـثيمين .. فاتصـل علـى آمـر السنترال
فأعطاهم الرقم ..
وبعـد معانـاة ومحـاولات مضـنية لانشـغال الخـط رد الشـيخ علـى الهاتف ..
فتكلم أحد الشباب من المجموعة .. وشرح للشيخ الموقـف وأنهـم طلبة علم
قد حبسوا بسبب الحادث ..الخ القصة..
فقال الشيخ : هات الضابط أتحدث معاه !!
فتحدث الشيخ مع الضابط واستوثق منه ، فأكد على ما قالوه ..
فقال له الشيخ : أطلق سراح هؤلاء الشباب وسوف أضمن لك كل المبلغ !!
فقال الرجل : والله لا استطيع إطلاقهم حتى يصلني المبلغ ..!!
فقال الشيخ : أنا ضامن لك أن يصلك المبلـغ غـدا إن شـاء اللـه دع هؤلاء يذهبون
لأولادهم وذويهم ..

فأبى الرجل وأصر على ذلك ..
فقال الشيخ : ما اسمك لو تكرمت ..؟؟
فأعطاه اسمه وحدد له طبيعة عمله .. ثم أغلق الشيخ السماعة..
بعد مرور فترة من الوقت رن جرس ذلك الضابط ..
بعد أن ارجع الفتية للحبس..
فكان المتحدث من الطرف الثاني مدير عام مرور المدينة ..
فقال : هل اتصل عليك ابن عثيمين قبل قليل وطلب منك أن تطلق السجناء
فأبيت؟؟
قال : نعم ..
فقال : اتصل علي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز بنفسه ويقول لك
أطلق هؤلاء الشباب فورا .. وقال : هذا ابن عثيمين لو يأمر على كل شيء
لأطعناه!!
فأطلقوا سراحهم ..

الحلقة السابعة والأربعون

حينما صلينا الظهر ذلك اليوم اقتربت من شيخنا وكان حوله حشد من الناس
فلما أبصرني نظر إلي نظرة أنكرتها !!
فسلمت عليه فقال لي هامسا في أذني: هل أخذت شيئا من شعر لحيتك؟؟
فقلت : أبدا والله !! لماذا؟؟
فقال : كأني ألاحظ أنك خففت منها!! ثم أكمل كلامه وقال:
ولتعلم أني قربتك مني لعلمي أنك صاحب دين ،وتتعلم لتعمل بعلمك!!
كانت تلك كما يقولون ضربة معلم ، وتوجيها لا أنساه أبدا ،ولا يفوتني القصد والغاية منه !!
والمعروف أن شيخنا يفتي بتحريم اخذ شيء من اللحية كما هو قول جمع من الفقهاء..
ابتدأنا في أداء المناسك من الطواف وكان الزحام شديدا والجو خانقا، مع أننا في موسم الشتاء!!

انتهينا من أداء العمرة ثم توجهنا لمكان استراحتنا وهي شقة تابعة لأحد الإخوة واسمه محمد الغامدي .. وهو كابتن متقاعد ورجل فاضل من سكان جده..
كنت أنا والأخ علي السهلي مكلفين بتنظيم برنامج الشيخ وتسجيله على أوراق
طوال فترة بقاءه في مكة ..
والبرنامج اليومي تقريبا سار بوتيرة واحدة ولا يختلف طوال بقاءنا إلا ما ندر
وبالجملة هو كالتالي : الصلاة فجرا في الحرم قريبا من كرسي الدرس في الطابق الثاني من الحرم ، ثم إلقاء الدرس والإجابة على الفتاوى المقرؤة حتى شروق الشمس ، ثم التوجه للسكن للنوم حتى قريبا من الظهر ..
ثم نتوجه للحرم لصلاة الظهر ...
ثم يعود الشيخ لغرفته في الحرم ليستقبل الفتاوى من الهاتف لساعة وبعدها
يقيل حتى قريبا من أذان العصر .. بعد العصر تفتح بوابة الغرفة للزوار
والطلاب والمحتاجين وذلك حتى أذان المغرب .. ويفطر الشيخ مع الناس على
تمرات وقهوة وماء زمزم ، وشيئا من العصيرات إن أمكن إدخالها !!
ثم بعد الصلاة يتوجه الشيخ لمن حدد في البرنامج ويشترط فيهم شرطان:
أن لا يكون بعيدا عن الحرم .. وثانيا أن يوافق عليه شيخنا
وغالب من يدعو الشيخ هم من المشائخ والعلماء وكذلك عدد من الأمراء وأصحاب
الشيخ وأقاربه ..
ثم يتوجه الشيخ للحرم لصلاة العشاء والتراويح .. وذلك في الطابق العلوي
(السطوح) قريبا من كرسي الدرس ..
ثم بعد الصلاة يتوجه الشيخ لكرسي الدرس ويلقي الدروس ويجيب على
الفتاوى حتى ينادى على صلاة القيام ..
فيصلي مع المسلمين حتى يختم بالقنوت ..

ثم يتوجه لطعام السحور وذلك حسب البرنامج المحـدد والمكتـوب ..
وهكذا طوال أيام العشر الأواخر .. حتى عودته للقصيم ..
الإنسان حينما يروي ويحدث الناس عن ذكرياته ومواقف حياته مثله مثل
الراكب على قطار سريع يسير في درب محدد ولوجهة مقصوده ..
والراوي يتلفت يمنة ويسرة ثم يحكي للناس ما اسـتطاع بصـره أن يعيه ويتلقفه !!
ولا يظنن ظان انه سيقدر على الإحاطة بكل مـا رآه ويشـاهد فهـذا مما تفنى
الأعمار القصيرة ولا يفنى .. والله ييسر ويعين على ما تبقى..
في ذاكرتي عن تلك الأيام صور شـتى مبعـثرة وغيـر مرتبـة أنزعهـا من أطراف
الـذاكرة وأطـارد تلـك ، فأمسـكها وألقيهـا فـي دفـتري بعـد نظمـه ،وتفوتني أخرى
فلا يمكنني اللحاق بها فهي طريدة صعبة المراس !!
ويحتاج الوصول إليها لجهد لعل الله مع الأيام يمكننا منها!!
يقول الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله في مقدمة ذكرياته (فهـذه ذكرياتي .
حملتها طول حياتي ، وكنت أعدها أغلـى مقتنيـاتي لأجـد فيهـا يومـا نفسي ،
وأسترجع أمسي ، كما يحمل قربة الماء سـالك المفـازة لـترد عنـه الموت عطشا ولكن
طال الطريق ، وانثقبت القربة . فكلما خطوت خطوة قطرت منهـا قطرة
حتى إذا قارب ماؤها النفاد وثقل علـي الحمـل وكـل منـي السـاعد جاء من يرتق
خرقها ويحمل عني ثقلها .. الخ كلامه النفيس رحمه الله..
ومع أنني والحمد لله ما زلت في عز شبابي ولم ابلغ ما بلغه الشيخ علي رحمه
الله في سنه إلا أنه وللأسف لم يبق فـي ذاكرتـي ممـا يفيـد وينفـع الناس سوى
القليل النادر ..
كما سبق وذكرت كان البرنامـج طـوال الأيـام العشـر يسـير بنمـط

واحد ..
وحيث أن الأخ علي قد سبق له أن رافق الشيخ فقد تـولى تسـجيل من
يدعونا، في دفتر أو ورقة يحملها معه فكان الشيخ يقول له ..
سجل عندك غـدا السـبت عنـد الشـيخ عبـد الرحمـن السـد يـس .. والسحور عند
الشيخ عبد العزيز الحميدي وغدا عند فلان وهكذا ..
مما أذكره في تلك الأيام عدد من المواقف ..
كمـا لا حظتـم لا ينـام شـيخنا طـوال الليـل إلا أن يغفـو قريبـا مـن النصف ساعة إن
وجد لها متسعا من الوقت قبل السحور..
ذات يوم لم أتمكن أنا و شيخنا من النـوم نهـارا بسـبب شـغل مـا ، فأثقل ذلك
علينـا جـدا فكنـت أذهـب للمسـجد للصـلاة أو لقـراءة القـرءان أو لاستماع الدروس
فتغلبني عيني فأنام ولا استطيع القراءة أو الإصغاء ..
غير أن المشقة الأكبر هي على شيخنا رحمه الله فهو لا يجد فرصة ليستريح
لكثرة الناس والمحتاجين ..
فتحنا الأبواب للناس كما هو العـادة فـي عصـر ذلـك اليـوم وجلـس الشيخ للناس
والمحتاجين وللفتاوى عبر الهاتف ..
ولا تسل عن حال شيخنا المسكين فقد كان يرفـع سـماعة الهـاتف ويستمع لسؤال
السائل فينام وتسقط سماعة الهاتف من يده فيرفعها ويقول : أعد سؤالك فينام
ويكاد يسقط على وجهه دون أن يشعر..
وكان السائل يجلس بيـن يـدي الشـيخ فيكلمـه والشـيخ ينصـت لـه ولكن النوم يغلبه
فينام ويبقى السائل حـائرا ولا يـدري مـا يفعـل حـتى أغمـز شـيخنا فيستيقظ فيقول
: أين كنا؟؟
واستمر شيخنا في برنامجه حتى اليوم التـالي وصـمد للنـاس حـتى بلغ به الإعياء

حدا لا يوصف..
وكانت القاصمة فجر اليوم التالي .. حيث أن الشيخ رحمه الله نــام وهو يستمع
لقـراءة الأسـئلة وحـوله الجمـع الهائـل مـن المسـتمعين والمقـدر بالآلاف وكل يشهد
هذا الموقف وقد يذكره بعضكم !!
.. ولقد كان يتوقـف أحيانـا فـي الـدرس فيغفـو لثـوان معـدودة ثـم يكمل حديثه في
موضوع مختلف .. حتى ظن بعض الجهال أن الشيخ خرف!!
أما أنا فاستمعت لبعض درسه فلم اقدر على التحمل فبحثت
عن زاوية في الحرم وتوسدت كتابي ونمت نوما عميقا ..
وظننت أني سأستيقظ قبل فراغ الشيخ من درسه ..
وهذا مالم يحصل ..
الذي حدث أن شيخنا حينما وصل للسيارة التي تنتظره عند الحــرم ويقودها الأخ
علي التفت الشيخ حوله فلم يراني ..
وكان بإمكانه أن يذهب وسوف ألحقه فالدرب ليـس ببعيـد غيـر أن شيخنا لم
يفعل ذلك وليته فعل !!
قال لعلي : وين صاحبنا ؟؟
قال : والله ما رأيته ..
فرجع الشيخ من فوره لمكان درسه وهو بعيد عن موقـف السـيارة ،رجع
ليبحث عني والناس حوله ولا يعلمون مالذي يفعله الشيخ ..
بقي الشيخ يبحث عني لساعة من الزمن ..
حين ذلك استيقظت من نومي فتلفت حولي فوجدت المسجد شبه فارغ ..
فقمت وسرت في الأسياب على غير هدى كأنني مخمور من شــدة التعب..
فالتقيت بالشيخ في منتصـف الطريـق وحـوله عـدد مـن الطلبـة .. فقال لي:
أين كنت ؟؟ أنا ابحث عنك من ساعة !!
فخجلت والله خجلا لا يعلمـه إلا اللـه .. ولـم اسـتطع أن أجيبـه مـن الحياء

لكن شيخنا بسماحة نفسه ..
تجاهل الموضوع لعلمه بسبب ذلك وقال لي: النوم سلطان جائر!!
أنا شاب في قوتي نشاطي ومقتبل عمـري وشـيخنا رجـل سـبعيني ومع ذلك
يتحمل شيخنا مالم أطقه أنا أو غيري من الشباب ..
أذكر مرة في حج إحدى السنوات أن شيخنا لم يكن ينام خلال
أربع وعشرين ساعة سوى أربع ساعات تقريبا ..
ولقد كان يبلغ منه الجهد فينعس وينام وسماعة الهاتف في يده ..
فأقوم أنا أو أحد مرافقيه بغلق السماعة وفصل خط التلفون وترك الشيخ وحيدا ليستريح ، فيستيقظ ويقول أين الهاتف ؟؟
فنقول له : أجهدت نفسك ياشيخي نم قليلا..
فيقول : الناس محتاجة لمن يفتيها وأنا أنام؟؟
هات التلفون .. فيرغمنا على إحضاره ونحن نشفق عليه من التعب ..
من المواقف التي حصلت لنا تلك الأيام ..
من عادة شيخنا أن يتصدق على فقراء الحرم من الأفارقة وغيرهـم ..
وهذا ما يفعله كل عام .. وعرف الناس عنه ذلك ..
فطلب منـي أنـا والأخ علـي أن نسـتقبل الطلبـات ونـدون الأسـماء ونجردها ..
وحينما جاء يوم التوزيع وهو قبل العيد بيوم تقريبا ..
تجمهر عدد هائـل مـن الأفارقـة وغـالبهم مـن المفتـولين وأصـحاب الأجسام الضخمة
وقوية البنية .. وكان لهم جلبـة وضـجيج فكنـا ننـادي علـى الأسـماء فيدخل
الشخص لداخل الغرفة ويستلم ما ييسره الله له ..
غير أن الأمر خرج عن السيطرة ولم نقدر على ترتيبهـم وتنظيمهـم ..
وتدافع الناس واختلط الحابل بالنابل وخفنا على الشيخ وهو لوحـده في الغرفة
ولم يشعر بما يحصل في الخارج ..
فجهدنا أنا وعلي أن ندخل الغرفة وبالكاد دخلنا ..
وأردنا أن نغلق الباب حتى يقل عدد الناس ويسهل تنظيمهم ..
ولكن المشاغبين لم يرقهم هذا التصرف فدفعوا علـى البـاب حـتى

كادوا أن يخلعوه
حينها جاء شيخنا ورأى بنفسه الحال ..
فقال: خلاص أوقفوا التوزيع !!
لا يمكن أن نعطي الناس بهذا الشكل..
ولكن كيف سنغلق الباب .. فنحن اثنين نقف أمام مئات ..
فحاولنا جاهد ين أن نغلق الأبواب فلم نقدر .. بل تدافع الناس ودخل عدد منهم في داخل الغرفة ..
حينها استشط شيخنا غضبا .. وتقدم بنفسه ووقف أمام رجل أفريقي ضخم الجثة عظيم الرأس مفتول العضلات .. فوقف شيخنا أمامه ولا يكاد يصل بطوله لنصف جسده !!
وهو النحيل ضعيف البنية فأمره بالخروج !!
فكأن الإفريقي لم يفهم ولا يتكلم اللغة العربية ..
فقال له الشيخ : أخرج يارجل ..
فما تحرك من مكانه وصار يرطن بكلام لا نعيه ..
فحاول الشيخ دفعه وفحص في الأرض بقدميه والرجل ثابت كالجبل الراسي
فأشفقت على شيخنا منه .. فتقدمت إليه ولاطفته بالعبارة ومسحت على ظهره حتى خرج وكفانا الله شره ...

الحلقة الثامنة والأربعون

من المشاكل التي كانت تواجهنا في الوصول للحرم هو إيجاد موقف لسيارتن
وذلك أن سيارة شيخنا ليست فارهة..
وفرها لنا الشيخ صالح الزامل جزاه الله خيرا ..
وذلك بناء على رغبة الشيخ أن تكون من السيارات العادية البسيطة..
كما قلت إن الناس تغريها المظاهر وتلهبها الزخارف
فقلما نحصل من البوابين البسطاء على التقدير..
ولذلك نعجز أحيانا في التعامل معهم ..
ذات مرة مررنا بجوار بواب فقلنا له نريد أن نوقف سيارتنا بالمواقف ..
فقال : هل معكم تصريح ؟؟
فقلنا : لا ..

وحدثناه سرا وهمسنا في أذنه ..
اسمح لنا فمعنا رجل ذو قدر وعلم ..!!
فالتفت ورأى شيخنا و سيارته فقدر وفكر في المسألة بناء على ما رآه ..!!
أما إن مررت أنا أو علي بالسيارة بـدون الشـيخ فلـو دقـت أعناقنـا فلن نحصل على
الأذن بذلك !!
بمناسبة ذكر السيارات ..
حين وصولي لعنيزة ..
كان لدى الشيخ سيارتان ..
الأولى سيارة مازدا بوكسي موديل ثمانين ..
وهي سيارة الشيخ ويحبها ويهتم بها ..
حتى أن قراطيس المقاعد حينها مازالت عليها في تلك السنوات..
أما ضرتها الأخرى من السيارات فهي وانيت داتسن باب واحد
ويقودها أبناء الشيخ ولقد رأيت الشيخ مرارا يركبها فـي تنقلـه فـي عنيزة
روى لي أحد الثقات ..
يقول منذ زمن بعيد حيث لم يكن شيخنا يملك سيارة ..
اتصل عليه الأمير سلطان بن عبد العزيز ودعى الشيخ ليـزوره فـي مزرعته
المعروفة في القصيم..
فلبى شيخنا الدعوة .. واستأجر سائقا أعرابيا ويقود سيارة تاكسـي توصله
لمزرعة الأمير..
فكان البروتوكول التابع للأمير قد رتب أن يستقبل الأمير سلطان شيخنا من باب السيارة ..
فتوسطت تلك السيارة العتيقة سيارات الأمير وحشمه وضيوفه
فأصابها الخجل والحياء أمام أخواتها الفارهات الحسن ..
غير أن شيخنا لم يتأثر من ذلك..
فهو زاهد بالمظاهر ولا تحرك في مشاعره شيئا ..
فلما رأى الأمير الشيخ ورأى أنه قدم مع سيارة تاكسي ..
تغير وجهه وأشفق على شيخنا ..
وقال : ياشيخ محمد ،لا بد أن نشتري لك سيارة ..
فقال الشيخ : تعبرنا وتقضي حاجتنا ..

أنا مرتاح والله يغنيك ويجزاك خير..
ولقد روى لي شخص قصة وسألت عنها شيخنا فأكد لي ما حدث..
حيث أن أحد الأمراء بعث لشيخنا سيارة فارهة جدا هدية منه ..
إكراما للشيخ وحبا فيه ..
فرد شيخنا ذلك وشكر المهدي وقال : اعتبر هديتك وصلت وأعفني من
قبولها!!
شيخنا حينما يرد تلك الهدايا لا يقصد احتقار ما يهدى أو من يقدم الهدية..
أبدا والله ..
غير انه رحمه الله رجل بسيط ويحب البساطة ولا يريد التكلف في اللباس والمظهر أو المركوب .. عاش على ذلك ومات عليه ..
كما هو شأن سلفنا الصالح..

فرسولنا عليه الصلاة والسلام قبل هدايا الملـوك والأمـراء كمـا هـو ثابت عنه..
وكان ابن عمر رضي الله عنه يقبل هـدايا الملـوك.. كمـا صـح ذلـك عنه..
وهو من هو في زهده وإتباعه لآثار النبي عليه السلام وسننه..
وللعلماء في ذلك تفصيلات وتقسيمات معروفة ..
يرجع لها من يريد الاستقصاء والبحث..
روى لي جمع من الناس ومنهم شيخنا بنفسه ..
أنه في عام 1407 للهجرة حينما زار الملك فهـد رحمـه اللـه وعفـا عنه
منطقة القصيم ..
اتصل الملك على شيخنا وقال له : نريد أن نزورك في منزلك..
فرحب به الشيخ وقال على الرحب والسعة إن شاء الله..
فشقت المواكب الهائلة الطرق إلـى بيـت شـيخنا وغصـت بـالجنود والعسكر
الطرقات في عنيزة .. ودوت صفارات الشرط..
وظن الناس أن المزور هو إحدى قصور عنيزة الفسيحة ..
فتجمعت الحشود لذلك الضيف الكريم..
وقال الناس: هنيئا لمن سينزل هذا الكريم في داره..
وما علم الناس أن شيخنا هو المقصود..

وأن بيته المتواضع هو قبلة الملك والأمراء ...
فلما ترجل الملك من سيارته ..
ونزلت الحاشية من المواكب..
تفاجأ الملك وحشده الكبير ..
أن الشيخ محمد يعيش في بيت من طين!!
فصعقوا من ذلك .. وتعجبوا واستغربوا ..
ولعلهم بلغهم الأمر فظنوه مبالغة..
فدخل الملك البيت .. وتجول بنظره فيه وفي جدرانه البالية .. وسقوفه المتواضعة..
فما رأى شيئا يرد النظر ويملأ العين..

ولعل الذاكرة حينها عادت به لسنوات بعيدة جدا في صغره ..
حيث البيوت المشابهة في الرياض القديمة والدرعية ..
فشق ذلك على الملك وأبت عليه نفسه إلا المبادرة ..
فعزم على الأمر وعقد النية ..
وحينما دخل للمجلس ..
وجلس على الأرض مع الشيخ الكريم..
الذي هلل ورحب بالملك وضيوفه ..
بادره الملك قائلا:
يا أبا عبد الله لا بد أن تقبل مني هدية بسيطة..
ولم ينتظر جواب الشيخ .. وقال:
أريد ابني لك بيتا ..
فابتسم شيخنا ..
وقال : جزاك الله خيرا
ولكنني مرتاح في هذا البيت وخيركم وصل يـا أبـا فيصـل وهـديتكم مقبولة ..
ولكن أعفني من ذلك ..
فألح عليه الملك وأصر ..
ولكن شيخنا أبى..
وقال له: وجودك في منزلي هو أبلغ إكرام ..
فقبل الملك منـه ذلـك وعـرف أنـه رجـل زاهـد ومهمـا حـاول معـه فسوف يعجزه
ولقد زار شيخنا في هذا المنزل البسيط الملك سعود والملك خالــد والملك فهد رحمهم

الله جميعا..
قال لي الشـيخ مـرة : واللـه لقـد مـر علـي زمـان لا أملـك الريـال الواحد في جيبي!!
وبعد سنين ابتنى شيخنا بيتا آخر بعد أن وسع الله عليه ..
ونزله منذ عام 1409 للهجرة وبقي فيـه حـتى وفـاته.. رحمـه اللـه ورزقه القصور
في الفردوس الأعلى..
نرجع لقصتنا!!
فـي تلـك الـدعوات الـتي يتلقاهـا شـيخنا مـن المشـائخ والعلمـاء وغيرهم..
تــدور نقاشــات وحــوارات مــع المشــائخ فيخــرج المســتمعون والحاضرون بدرر ونفائس
لا تجدها في المجالس المعتادة ..
فوجود هؤلاء الصفوة يضفي على المكان ذوقا وطعما خاصا ..
ما رأيك بمجلس يجتمع فيه أسماء لامعة لخيرين ومصلحين ..
نحو .. الشيخ عبد العزيز بن باز ..
والشيخ ابن جبرين .. أو الشيخ عبد الله البسام أو الشيخ ابن منيع
أو مشائخ وأئمة الحرم كالسد يس والسـبيل والشـريم وابـن حميـد وغيرهم
أو الشيخ عائض القرني وسعيد بن مسفر وعبد العزيز الحميدي..
هذا الأخير وهو الشيخ عبد العزيز الحميدي
هو من أحب الناس وأقربهم لشيخنا..
و طالما استضاف شيخنا في بيته العامر بكرمه هو وأبناءه الأبرار
وعندي من الذكريات الجميلة في بيتهم العامر في العزيزية ما أجـد لذته
حتى هذه اللحظات وبعد تلك السنوات المديدة ..
الشيخ عبد العزيز عالم جليل وهو أحد تلاميـذ الشـيخ القـدماء جـدا والذين
تتلمذوا على شيخنا في عنيزة قبل أن يعرف ويشتهر..
للشيخ عبد العزيـز الحميـدي مؤلفـات جميلـة ومفيـدة ومنهـا كتـابه الرائع
(التاريخ الإسلامي دروس وعبر) وهو من أنفس ما قرأت في بابه..
وله درس معروف في إذاعة القرءان الكريم..
من يستمع للشيخ عبد العزيز ويصـغي لنـبرات صـوته الهادئـة وهـو

يقرأ تلك
الرياحين العطرة.. والنسائم العذبة ..
تجعلك تعيش وتنغمس في تلك المشاهد الجميلـة والقصـص الفـذة الرائعة
عن سلف الأمة .. رضوان الله عليهم ..
كنا نمكث في بيتهـم فـي أيـام الحـج وغيرهـا فلا نشـعر بالغربـة أو التكلف..
كنا كأننا في بيوتنا بل أحلى !!
مـن البسـاطة والسـماحة وصـفاء الـروح وطهـارة البـاطن قبـل المظهر..
هم كما قال حاتم الطائي...
أضاحك ضيفي عند إنزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب..
وما الخصب للأضياف أن تكثر القرى ..ولكنما وجه الكريم خصيب
إن من أكثر اللحظات التي أرى شيخنا فيها مسرورا وسعيدا
هي تلك السـاعات والليـالي الـتي يقضـيها فـي منـزل الشـيخ عبـد العزيز وبين أولاده
روى ليش الشيخ عبد العزيز يقول:
تتلمذت في شبابي عند الشيخ محمد في عنيزة وذلك قبـل انتقـالي للعيش في مكة
فكنا نجد من الشيخ محمد مالا نجده لدى المشائخ الآخرين من قوة الحجة
ونصاعة البيان والاهتمام بالدليل ونصـرة أقـوال شـيخ الإسـلام ابـن تيمية وتلميذه
ابن القيم رحمهما الله ..
فلما انتقلت للرياض لإكمال دراستي النظامية ..
افتقدنا الشيخ محمد وأسلوبه الفذ ..
ولم نجد في الرياض ما كنا نجده في علم الشيخ ..
فعلماء الرياض حينها ساروا على الأسلوب القديم في التعليم
وهو أن يقرأ على الشـيخ فيعلـق تعليقـات بسـيطة دون استرسـال وبسط في المسألة
فيمر عليها مرورا سريعا دون بحث متعمق وهو مـا كنـا نجـده عنـد الشيخ محمد
فأثر ذلك على نفسي وأصابني بإحباط وكسل ..
وذلك كردة فعل على فقدان الشيخ وعلمه وأسلوبه..

فتوجهت لقراءة كتب الأدب والتاريخ .. الخ كلامه عن شيخنا

الحلقة التاسعة والأربعون

ذات يوم من أيام العشر الأخيرة من رمضان
و بعد صلاة الظهر ونحن جلوس في غرفة الحرم
سمعنا صراخا وعويلا تردد صداه في الحرم !!
فأفزعنا ذلك جدا ..
وكان الشيخ محمد أولنا في التوجه لمصدر الصوت ..
وحينما لحقناه وجدنا أن سبب الصراخ أن مجموعة من النساء المعتمرات
من ذوات البشرة السمراء وممن آتاهن الله تعالى سعة في الأجسام..
وقوة في البنية ..
ويسرن في صف مستقيم كأنهن جنود كتيبة في جيش..
لا يردعهن رادع ولا يمنعهن حائل..!!
لم يجدن طريقا للوصول للكعبة المشرفة بسبب الزحام ..
ومنع الناس من الوصول للكعبة من الاكتضاض ..
فهداهن فكرهن المبتور وعزمن على شق طريق لهن مهما كانت النتائج..!!
فوجدن أيسر طريق وأسهل سبيل هو أن يمشين من فوق النساء المفترشات
لأرضية المسجد..!!
وهذا والله ما حدث!!
وفي النساء المسكينات النائمات على البلاط ، الكبيرة والمريضة والضعيفة..
فوطأن تلك النسوة القاسيات على الأجساد النحيلة..
ولم يرحمن ضعفهن .. ولا استغاثتهن !!
عندها حدثت الجلبة وصرخن صراخ المكلومات
توجعا من الدهس والرفس!!
ولكن دون استجابة أو رحمة..
فحاولنا نحن جاهدين أن ندرك الموقف
ونقلل الخسائر بقدر المستطاع..!!
ولكن كتيبة الموت تلك مرت وما عبأت بندائنا وترجينا لهن ..!!

حـتى وصـلن للجهـة الأخـرى ومخـرن عبـاب الزحـام بكـل جـدارة واقتدار!!
عجيب أمر بعض الحجيج والمعتمرين!!
كنت مرة أطوف مع الشيخ حول الكعبة ..
فسمعنا رجلا يحمل سبحة في يده..
وكانت من طولها وعدد حجارتها تزحف في الأرض!!
وجسمه ضخم كالبعير وبشرته سمراء.. وشـعره أجعـد وهـو كفيـف البصر

سمعناه يصرخ ويدعو: رب اغفر لي وهب لـي ملكـا لا ينبغـي لأحـد من بعدي!!
ومرة لحق الشـيخ رجلا نصـف رأسـه محلـوق والنصـف الآخـر غيـر محلوق..
ومنظره مقزز ..
فقال له الشيخ : لم نصف رأسك محلوق وتركت الآخر؟؟
فقال : أنا سأعتمر عمرتين أحدها لي والأخرى عن أمي
فهذه الحلاقة للعمرة الأولى!!!
وروى لنا الشيخ صالح الزامل حفظه الله أنه سمع معتمـرا يطـوف بالكعبة المشرفة
ويسبح بسبحته ويقول في تسـبيحه : ياحسـين ابـن علـي ،ياحسـين ابن علي!!
وكنا مرة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأراد شيخنا بعد أداء
الصلاة أن يسلم على رسول الله عليه الصلاة والسلام وصاحبيه ..
وكان الزحام هائلا حول القبر..
وغالب الزوار من الجنسيات الآسيوية من الباكستان وغيرها ..
وحينما رأى العسكر ورجال الحسبة الواقفين حول القبر الشيخ..
طلبوا منا أن نمر من فوق الدرابزين المحيط بالقبر..
فهو أسهل علينا وحتى نسلم من الزحام..
فتقدم شيخنا وكنت بجواره وسلم على رسول الله قائلا:
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يارسول الله ..
نشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت للأمة وجاهدت في الله حق
جهاده حتى أتاك اليقين ..

ثم مر من أمام قبري صاحبيه وسلم عليهما رضي الله عنهما ..
فأردنا الانصراف والنزول ..
ولكن الحشود التي حول القبر كان لها رأي آخر..!!
فوجه شيخنا المضيء .. وشكله المميز واهتمام الحرس به ..
لفت نظرهم فكأنهم قالوا : هذا ولي من الأولياء !!
فتقاذفوا للسلام على شيخنا والتبرك به!! ..
فكانوا يمدون أيديهم لمصافحته ..
وبعفوية وطيب نفس مد شيخنا يده للسلام عليهم ومصافحتهم وليته لم يفعل!!
فقد تدافعت الجموع وعلا بعضهم فوق بعض!!
ولم يكتف بعضهم بالسلام..
بل صاروا يتمسحون بيد الشيخ على الوجه والجبهة..
وسحب شيخنا وسط الجموع وسقطت غترته وعباءته عن ظهره ..!!
ولقد رأيت أحدهم يمسك يد شيخنا فمسح بها من رأسه وحتى قدميه !!
وشيخنا الضعيف النحيل لم يقدر على الفكاك منهم ..
وكان يعلو ويخفق وكادت ذراعه أن تخلع ..
فتزاحم العسكر ودفعوا الناس والجهالة ..
وفك شيخنا وبالكاد !!
ولا أظنه عاد لها من بعد أبدا!!
روى لنا الشيخ محمد السبيل إمام الحرم في إحدى الجلسات في بيته بحضور
شيخنا رحمه الله ..
أنه في إحدى سفراته لدولة الباكستان .. بصفته إماما للحرم الشريف..
احتفي به احتفاء كبيرا وأكرم من الحكومة والشعب غاية الإكرام..
وطلب منه التنقل بين الولايات الباكستانية لزيارة الناس والإطلاع على أحوال
المسلمين .. فوافق الشيخ وكانت وسيلة التنقل هي القطار!!
وبينما هم يسيرون ويمتعون نظرهم بين الوديان الجميلة والمناظر الخلابة
البهيجة ..
إذ فجأة توقف القطار!!

فظنوا أن هناك عطلا ما !!
وقريبا سيستأنفون المسير..
ولكن التوقف طال و استمر لساعات !!
ولم يكن الشيخ السبيل ورفقاؤه يعرفون السبب ..
وبعد مرور وقت طويل من الانتظار وشعور الشيخ ومرافقيه بالملل..
جاء ه عدد من المسئولين الباكستانيين ممن يشرف على تنظيم تنقل الشيخ
ومعهم الترجمان ..وعلى وجوههم العبوس والضيق !!
فقال الشيخ : ما القصة؟؟
فتكلم قائدهم وكان مطأطأ الرأس من الخجل وقال :ياشيخ محمد هناك مجموعة
من القرويين ممن ويعيش في القرى حول طريق القطار
قد ربطت نفسها بالحبال على سكة الحديد !!
وأقسمت أنها لن تتحرك حتى تموت !!
أو تنزل أنت للسلام عليهم ..
ولقد باءت كل محاولتنا لثنيهم بالفشل وأكدنا لهم بالأيمان المغلظة أن برنامجكم محدد ولديكم..
مشوار طويل واحتفالات في المدن وهم في الانتظار..
والوقت غير مناسب .. ولعل ذلك يكون في زيارات أخرى
فرفضوا ولم يقتنعوا..
وقالوا : أين نجد شرفا كهذا الشرف ؟؟
كالسلام على إمام الحرم الشريف..!!
فتعجب الشيخ السبيل من إصرارهم وحتى لو على موتهم وتقطيع أجسادهم!!
وقال : إذا لا بأس سأنزل للسلام عليهم..
فقالوا : ياشيخ محمد نحن نخاف عليك .. ونخشى عليك الغوائل!!
فهؤلاء فيهم الهمج والرعاع وقد يفعلون أمورا ويتصرفون تصرفات غير حميدة و غير متوقعة !!
ولو سمع الناس بفعلتهم لأوقفتنا القرى طوال الطريق..
ولكن الرأي أن تبقى أنت في القطار ونفتح لك النافذة
ويحضرون هم للسلام عليك..
فقال الشيخ : لا بأس فليحضروا..
فجاء الناس وكان عددهم هائلا..

وتوافدوا من الوديان والشعاب ..
فتجمعوا للسلام على إمام الحرم ..
فلا تسل عمن صافح و وعمن قبل وعانق وبكى من الفرح ..
حتى كاد الشيخ أن يختنق من كثرتهم وتجمهرهم عليه !!
وهو ذو البنية الضعيفة والسن الكبير والجسم القصـير حفظـه اللـه ورعاه..
ولقد ذكر الشيخ السد يس تعليقا على كلام الشيخ السبيل أنـه فـي إحدى زياراته
فقد عباءته حيث نزعت منه بالقوة !!
ومزقت ووزعت خيوطها بين القبائل وبيعت بأعلى الأثمان!!
أذكر مرة أن الناس اجتمعت على الشيخ كعادتهم بعد صلاة العصر
فلفت اجتماع الناس فضول المعتمرين فجاءت مجموعة أظنها مـن شمال أفريقي
فقال لي أحدهم : من هذا ؟؟
فقلت لهم : هذا أحد العلماء والناس تسلم عليه..
فقال : ما اسمه؟؟
فقلت : اسمه الشيخ محمد بن عثيمين..
فسمعته يقول لأصحابه وهو منصرف: هذا الشيخ اسمه ابن تيمية!!
ومرة كنا خارجين من الحرم ..
وركب الشيخ السيارة ..
وكان يقرأ ورقات بين يديه ..
فمدت له يد من خارج نافذة السيارة ..
ولم يلتفت الشيخ جيدا لمن يصافحه ..
وحينما لمست يده يد المصافح ..
صرخت أنا بها !!
فقد كانت امرأة من المعتمرات ..!!
جاءت للسلام على الشيخ حينما رأت الزحام عليه..
فالتفت الشيخ وضحك من ذلك ..
ولم يلحظ أحد ذلك سوانا وإلا لقيل ابن عثيمين يصافح النساء!!
وحاشاه رحمه الله..

الحلقة الخمسون

هانحن أوشكنا أن نغادر مكة وربوعها ..

وقد قطفنا بعض ثمار الذكريات فيها ..
ولا بأس من جلب شيء من الثمار لمكة
من المدينة وجدة والأردن!!
أردت عن قصد ونية مما سبق أن أشاغل الناس بشيء من مواقف الشيخ الجميلة واللطيفة..
حتى لا تفسد تلك المشاكل الشخصية بيني وبين صاحبنا المعهود..
طعم القصة والحكاية بمرارتها .. وقد أوشكت!!
لقد رأيت أن القراء الكرام تضايقوا مما حدث ..
وبعضهم استغرب حدوث ذلك ..
واستنكره واستهجنه..
وحق لهم في ذلك ..!!
ولكنني أذكرهم وأقول لهم :
أقرءوا التاريخ والسير..
ابتداء بسير المرسلين عليهم السلام
ومرورا بسير أصحاب رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
وسير السلف الصالح والعلماء والخلفاء والملوك وكذلك بعض القصص الجاهلية والحديثة..
فستجدون أن ذلك أمر متجدد عبر الزمان ولا يستغرب وقوع ما هو أروع منه وأغرب وأعجب وأنكى
ممن سماهم الله تعالى (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين)
وقوله تعالى (إنه كان ظلوما جهولا)
خاصة وأن الحدث وقع بين طلبة علم ومن حلقة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله المقربة..
وما الغرابة في ذلك ؟؟
أليسوا بشرا ؟؟
ألم يقع في الصالحين ما هو أغرب ؟؟
السؤال الشرعي هو:
هل ذكر مثل هذه المواقف والأحداث يفيد ؟؟
ما العبرة والحكمة من روايتها؟؟
أليس من المتوقع أن يعقل الناس وتتوب وتنسى تلك المهازل والسفاهات..؟؟
أليس من المؤسف هو نبش تلك الأحداث وإخراجها للناس حتى تفتح بابا للقيل والقال؟؟

هذه تساؤلات أوردها على نفسي كل يوم وفي كل حلقة أدونها..
و قد جاوبت نفسي وغيري بالتالي:
أنا أروي ما حصل كرواية شخصية أو كما سماها احد المعلقين الكرام (سيرة ذاتية) ابتدأت من حياتي الشخصية ثم مرورا بمواقف عديدة حتى وصلت لشيخنا رحمه الله..
ثم ستستمر الرواية ...
في أمور وبلدان تنسي أهوالها وأحداثها ..
كل ما مضى ؟؟؟؟
فما زلنا في البداية !!
فمن عنيزة حتى كرواتيا حتى حرب البوسنة المهولة ثم مرور بكوسوفا ثم أفريقيا وبالخصوص في إثيوبيا والسودان والكاميرون وتشاد وغيرها ..!!
فالقصة طويلة والحكاية لن تقف على شيخنا رحمه الله أو غيره..
ولا أخفيكم أن هذا ما لم أكن عازما عليه منذ البداية !!
فقد عزمت على أن أدون ثلاث روايات متفرقة ولكن بعد مشاورة وقراءة تجارب مثيلة رأيت دمج الموضوع في تسلسل واحد ..
حتى يستوعب القراء تلك الذكريات ولا أشتتهم في ثلاث محاور قد يكون الربط بينها يحتاج لعناء ومشقة..
فالأفضل إن شاء الله هو استكمال كل مرحلة ثم الانتقال للمرحلة التي تليها ..
والظن إن شاء الله أنني لو تمكنت من الاستمرار على نفس المنوال وهو تنزيل خمس حلقات أسبوعيا فالمتوقع استكمال القصة في أقل من سنة بحول الله تعالى
يصدف في هذه السير ذكر بعض الوقائع الحقيقية والتي سببت في وقتها مشاكل للراوي .. فأنا أمام خيارين اثنين:
إما أن أسكت وتبقى القضية مبهمة والتهمة معلقة على رأسي حتى
يهنأ مثيروها ويسلموا من جريرتها وعاقبة فعلهم..
وبالتالي يبقى في القصة فراغات هائلة وعلامات استفهام كبيرة فتكون عديمة الفائدة بل تكون سببا للتندر والهزل..
أو علي أن أكشف الموضوع بكل جوانبه وحذافيره
مع ذكر الأسماء والوقائع والشواهد وأنا غير ملام في ذلك لأنني الحلقة الأضعف و الجهة المتلقية للظلم أو للصفعات واللطم!!
أو علي أن أروي قصتي كما يحلو لي وأتجنب التوصيف الدقيق أو

تسمية الخصوم ،قناعة مني ورضا بما قدره ربي علي
ثم لما قد يترتب عن ذلك من تشويش على أصحاب تلك المخازي وهم الآن في غنى عن ذلك!!
وأنا اخترت الخيار الثالث عن تفكير واستخارة واستشارة ورغبة في البعد عن الشقاق والنزاع..
ولكن يبقى الخيار الثاني واردا إن رأيت أن في ذلك مصلحة أولها رضى الخالق سبحانه ثم الدفاع عن نفسي ولو كان متأخرا..
إن تعرضت لتعد متجدد من الطرف المعني..
و السؤال هو لماذا لا نستمع للحكاية حتى النهاية ثم مـن بعـد ذلـك لنحكم عليها..
وليتكلم وليعلق ولينبش وليكذب!!
كل من يريد فعل ذلك فأنا لم اكتب حتى هذه اللحظة تلـك الروايـة في كتاب أصم !!
بل كتبت كل دعواي وما زعمته في منتديات حوارية أتلقى فيه مـن الثناء أو الذم !!
كل ذلك عندي سواء..
فلماذا لا يسع الجميع ما وسعني ووسع الآخرين ؟؟
لماذا إتباع سياسات خرقاء يترتب عليها أمور لا يحبذها عاقل ول يبحث عنها لبيب..
أتمنى أن تصل رسالتي لمن اعنيه ويفهم ما اقصده ويعلم أنني أحكي وقائع ومشاهد أقسمت على كل كلمة وحرف منها وأشهد ربي سبحانه عليها وهو المولى والنصير ..
قد يتضايق بعض الإخوة القراء من كثرة تكراري لمثل هذا الكلام وأقول لهم جميعا يا إخوتي هناك أناس يتربصون بي من خلف الكواليس جبناء وسيأتي الوقت قريبا الذي افضحهم فيه ..
ولقد سمعت منهم كلاما ورسائل بعثوها ...
ألزمتني أن أؤكد على تلك المعاني والمباديء كل مرة ..
وأقول لهم لن أعيد كلامي!!
فلو تمادوا في غيهم وتجاوزوا الحدود فلن يكون صدر مالـك وحـده يحويهم .. !!
وسأسمع كل من يعقل ما فعلوه وبعدها فليدفعوا الحساب..
حسنا لنرجع لقصتنا ..
انتهى رمضان وأعلن العيد وعاد الأخ علي بشيخنا لجده ومنـه رجـع بالطائرة للقصيم ..

أما أنا فرجعت لعائلة في الطائف وبقيـت هنـاك عـدة أيـام قضـيت فيها مع العائلة الكريمة .. والحمد لله ..
ثم عدت للقصيم ..
فوجدت عنيزة شبه خالية من الطلبة .. حيث أن أغلب الطلبة لـدى عوائلهم وأهليهم..
وحينما شارفت الإجازة على الانتهاء توافد الطلبة وغص بهم الجامع ..
قدم لعنيزة طالب من مدينة الطائف اسمه محمد العباد..
وقد سبق أن رأيته في الطائف قبل قدومي لعنيزة..
دون أن اعرفه باسمه أو أن احتك به..
هذا الطالب ترى من وجهه الجد والصرامة
ويشع من عينيه بريق الفطنة والذكاء..
بعد صلاة العشاء وخروجنا من الدرس المعتاد..
لحق الأخ محمد بشيخنا وكنت معهما أسير كما هي عادتي..
انتظر انتهاء الطلاب من أسألتهم ثم أبدأ بقراءة ما عندي من أسئلة وغيرها..
تناقش الأخ محمد مع شيخنا في مسألة فقهية ..
وكان في الأخ محمد حده فكان شـيخنا يـرد علـى كلامـه فيـرد الأخ محمد على الشيخ بإيرادات جميلة تدل على فطنته..
غير أن أسلوبه كان فظا فهذا ما جعل شيخنا يحتد معه أيضا..
اذكر أن الأخ محمد رد على الشيخ فقـال لـه: هـذا قـول ابـن حـزم الظاهري في المحلى..
فاستشـط شـيخنا غضـبا وقـال : وهـل المحلـى كتـاب منـزل مـن السماء؟؟
ثـم أورد عليـه كلام ابـن القيـم فـي ابـن حـزم فـي كتـاب إعلام الموقعين..
فرجع الأخ محمد وبقيت مع الشيخ وحيد ا وكـأنه شـعر بحـدته فقـد كان شيخنا رحمه الله سريع الفيئة!!
فقال لي: يبدوا على هذا الطالب النباهة والفطنة ..
في اليوم التالي .. وكنت جالسا في مكتبة السكن ..
جاءنا اتصال من مستشفى الملك سعود في عنيزة ..
فرد مشرف المكتبة على المكالمة..
فكان المتحدث من المستشفى يقول : حصل حادث لمجموعة مـن طلبة الشيخ ..

فصـعدت فـورا لغرفـة مشـرف السـكن وهـو حينهـا الأخ صـالح المرعشي الحربي فأيقظته من النوم..
ففزع ،وأذكر أنه كان يتحدث مع نفسه من الروعة..
فتوجهت معه للمستشفى ..
فقابلنا مشرف شئون المرضى حينها وهو الدكتور محمد الحركان
فقال لنا : لقد تـوفي فـي الحـال سـائق السـيارة وسـائق السـيارة الأخرى..
فقلت له : ما اسم السائق ؟؟
فقال: لم نعرف هويته حتى الساعة .. ولكـن دعونـا نتـوجه للثلاجـة فلعلكم تعرفون الميت..!!
حينما دخلنا ثلاجة الموتى أصابتني قشعريرة وخوف وارتباك
فلم يسبق لي أن رأيت موقفا كهذا .. وهممت بتركهما ..
رأينا شخصا ممدا على سرير ومغطى بشر شف أبيض ..
وعلى جهة الصدر بقع كبيرة من الدم ..
فتقدم الدكتور محمد للجثة من جهة الرأس ونظر لوجهي ووجه مرافقي كأنه يقول: هل أنتما مستعدان للتعرف على الميت؟؟
فتسارعت نبضات قلبي وكدت أن أتراجع ..
فنزع الغطاء فتأملت الميت فإذا هـو الأخ محمـد العبـاد الـذي كـان يتجادل بالأمس مع شيخنا رحمه الله !!
ويؤمل شيخنا فيه ما يؤمل!!
رحمه الله وعفا عنه وأسكنه الفردوس الأعلى

تنبيه
للأسف فإن تسلسل الأحداث عندي قد لا يكون فيه انضـباط ودقـة كما ينبغي..
قد يحصل ان اذكر أحداثا ولا استطيع التأكيد عن وقت حصولها هـل بعد رمضان ام قبله هل في فترة الإجازة ام في وقت الدراسة ..
أصل الأحداث معلوم وميقن منـه لكـن تحديـد الزمـن بدقـة صـعب للغاية فارجوا ممن اطلع على حدث ولديه ملاحظة حـول الزمـن أو التسلسل أن يسارع بتنبيهي حتى أعدل تلك المعلومة..

الحلقة الواحدة والخمسون

حضـر مجموعـة مـن طلبـة الشـيخ درس الشـيخ سـليمان العلـوان حفظه الله
في مدينة بريدة ..
الشيخ سليمان العلوان لمن لا يعرفه
كان في تلك السنين شابا في مقتبل عمره ..
آتاه الله من العلم الراسخ خاصة في علم الحديث ..
والفهم الثاقب وسعة الإطلاع ما يبهر الأبصار ويحير الألباب
تسامع به طلبة العلم فتقاطروا عليه من كل مكان ..
ولقد رأيت في درسه وحضرته مرة واحدة فقط
رأيت من يكبره مرة أو مرتين ويحمل أعلا الشهادات العلمية
وقد ثنى ركبتيه بين يديه..
وكان درسه بعد صلاة الفجر ..
حضره عدد من طلبة الشيخ وبعد رجوعهم من الـدرس وكـان ذلـك يوم خميس
أعترضتهم فجأة سـيارة يقودهـا رجـل مسـن ومعـه مرافـق مسـن أيضا..
فاصطدموا به فتطاير الركاب من السيارتين ..
وضرب مقود السيارة على صدر محمد العباد فمات في الحال..
وتوفي أيضا قائد السيارة الأخرى رحمه الله..
وتهشمت السياراتان حـتى تلفتـا تمامـا ولـم تعـد تصـلحان للانتفـاع بتاتا..
كانت تلك الحادثة المروعة مجزرة بما تعنيه العبارة من معنى!!
فقد خطف الموت طالبا مجـدا وهـو الأخ محمـد العبـاد رحمـه اللـه وأصوله من اليمن
وفقد أحـد الطلبـة إحـدى عينيـه وكـاد يعمـى ومكـث فـي الإنعـاش أسابيع عديدة
وهو الأخ محمد الأمين السوداني
وكسر اللحي السفلي لأحدهم وكاد يتلف ويهلك..
وهو الأخ عبد الله حافظ الباكستاني
والآخر أوشك على الموت فقد تكسرت أضلاعه وشل شللا نصفيا
وهذا للأسف نسيت اسمه وهو من سكان جده ومن قبيلة حرب
وقد كان الأشد تضررا من الحادث أعانه الله وخلف الله عليه خير
حينما سمع شيخنا بالخبر ..
أراد الذهاب للمستشفى فـي عصـر ذلـك اليـوم للاطمئنـان عليهـم

بنفسه ..
وقال لي : جهز سيارتك سأذهب معك للمستشفى!!
سيارتي من نوع الجالنت اشتريتها من أخي الكبير بسعر زهيد
و هي سيارة شبه متهالكة!!
و وهيئتها وما وضع عليها من زخارف لا تليق بي أنا كطالب علم
فكيف بشيخنا !!
قد مضى على وجودها معي أياما معدودات ولم أتمكن
من تغيير ما عليها من زخارف وعبارات مخجله !!
حتى أن أخي سامحه الله قد هبط هيكل السيارة بحيـث توشـك أن
تحتك بالطريق !!
تفهمون ما أعنيه جيدا !!
عندما قال لي الشيخ: سأذهب معك بسيارتك..
قلت له:
ياشيخي سأستعير سيارة من احد الزملاء ..
فقال: ولما ؟؟
أبي أشوف سيارتك ونجربها!!
توكل على الله وجهزها لي بعد الصلاة عند باب المسجد!!
وقعت في حرج شديد واستحييت أن أركب شيخنا علـى مثـل هـذه
السيارة المريعة !!
بعد العصر سبقت الشيخ لخارج المسجد وجهزت له السيارة ..
فلما جاء واقترب مني وركب فيها قال لي: مبارك !!
هل هذه سيارتك؟؟
فقلت له : لا ،ياشيخ هذه ليست سيارتي هذه لأحد الزملاء!!
فقام شيخنا مغضبا من فوره وخرج من السيارة وأشار لطالب آخر
فركب معه وتركني!!
لحقتهـم للمستشـفى فوجـدت سـيارتي الـتي تركتهـا مـع صـاحب
السيارة التي أقودها ..
فأرجعتها له وأخذت تلك العجوز المريعة..
فأوقفتها أمام باب المستشفى !!
فإذا كانت هذه رغبة الشيخ فليكن!!
لحقت بشيخنا وتجولت معه على المرضى ..
وكان في استقبال الشيخ الرجل الشهم والكريم المفضال الـدكتور
عبـد اللـه البـداح المشـرف العـام علـى المستشـفى وعـدد مـن
الإداريين ..

حينمـا زرنـا الأخ محمـد الأميـن وكـان فـي غيبوبـة تامـة قـال لنـا الممرض:
هذا الرجل طوال الوقت في غرفة العمليات..
كان يقرأ القرءان ويسبح ويهلل وهو في غيبوبة تامة ..!!
وقف شيخنا على رأسه ودعا له وقرأ عليه ونفث..
ثم تنقلنا فـي غـرف الإخـوة الآخريـن عبـد اللـه والأخ الـذي نسـيت اسمه..
وكان وضع الأخير حـرج للغايـة ممـا اسـتلزم نقلـه لجـدة بعـد عـدة أسابيع
كانت حاله كما ذكرت خطرة للغاية وكانت معرضة للتطـور فـي أي لحظة وكان في غيبوبة ..
وبعد فترة تحسنت حالته نوعا ما وصار يفتح عينيـه ولكنـه لا يعـرف من حوله ولا يعقل ..
وفي إحدى الزيارات حيث كان شيخنا يزور المرضى دوم
حدث موقف عجيب وغريب ..
عندما وقف شيخنا على رأس أخينا الكريم
واقترب منه ودعا له وقرأ عليه كما يفعلها كل مرة..
حينها نظر الأخ في وجه الشيخ فتأمله وكأنه عرفه فابتسـم وضـحك !!
فقال الشيخ وهو ممسك بيده : هل يعرف من حوله ؟؟
فقال الطبيب: أبدا هو لم يفعل هذا من قبل !!
وكنا كلما زرناه مع الشيخ يكرر ما فعله دوما فيضحك ويتهلل وجهه ..
فسبحان مـن ملأ قلـوب عبـاده حبـا لهـذا العلـم الجليـل وخصوصـا تلاميذه الذين يرونه في مقام الوالد الرحيم بل اشد من ذلك!!
وليخسأ الخاسئون!!
همس أحد الطلاب في أذن الشيخ
وقال له: ياشيخ نريد رؤية الأخ محمد العباد
فقال الشيخ : هو ميت !!
فقال : ياشيخنا لا بأس للاعتبار!!
الشخص الذي همس في أذن الشيخ وقال له ما قال ..
حدث له حادث بعد سنوات على طريق المدينة القصيم وكانت معه زوجته
وأبناؤه فتوفي رحمه الله من فوره .. وسلمت زوجته وأبناؤه..

وقد بلغني الشيخ بموته حينما اتصلت عليه من البوسنة..
فقال لي: هـل سـمعت بفلان لقـد صـار عليـه حـادث وصـلينا عليـه اليوم..
حينها والله تذكرت كلمته حينما قال لشيخنا : نريد الاعتبار..
واسمه عبد الرحمن داود رحمه الله..
من خيرة الطلبة وأكثرهم حرصا على التحصيل والطلب
عفا الله عنه وجعل مثواه الجنة..
دخل الطلبة على جثة الأخ محمد وقد وضعت في داخل الثلاجة..
ولما رفع الغطاء عن وجهه تأمل الشيخ وجهه وسكت قليلا ..
وهز رأسه ثم دعا له و انصرف..
خرجنا من المستشفى وكان الشيخ قد رأى على وجهـي كرهـا لمـا فعله معي
فقال لي: هل أحضرت سيارتك؟؟
فقلت بخجل وحياء: نعم..
استحييت والله من الطلبة ومن مدير المستشفى أن يروا دابتي!!
وصلنا للباب وخرج الشيخ .. وودع مرافقيه
وفتحت له باب السيارة..
وقال قبل أن يركب: هذه هي؟؟
قلت : هي والله !!
فدخل فيها وقرأ دعاء الركوب وأخـذ يلمـس مراتبهـا ويمسـح علـى مقدمها ويقول:
مبارك يا أبا عبد الله لتهنأ لك وجعلها عونا على الطاعة!!
فخرجنا من المستشفى واعتذرت من شيخنا عما بدر مني
فقال : لا تخجل السيارات كلها سواء المهم توصلك لحاجتك..
ثم انشغل رحمه الله بتقليب المذياع والنظر فـي سـقفها والتبريـك والدعاء
وكأنني أقود أفخم وأرقى طراز ..
رحمه الله ما ابسطه وأكرمه وألطفه..
في اليوم التالي صلينا على الأخ محمد العباد بعد صلاة الجمعة..
وأمنا شيخنا رحمه الله ..
ثم خرج بنفسه وتقدم الجنازة راجلا ..
وقـد حملـت علـى الأكتـاف حـتى المقـبرة والـتي تقـع فـي الجهـة الشمالية من عنيزة
وكأن الإخوة الذين يحملون الجنازة اسـتعجلوا فـي السـير ليلحقـوا

الشيخ
فقال لهم معاتبا :
سيروا على مهل هل تريدون الجنازة أن تسقط؟؟
وصلنا للمقبرة وجلس شيخنا على التراب ..
حتى يصلي على الجنازة من لم يصل..
وحتى يحضر الميت ويدفن ..
وضع الأخ محمد رحمه الله في القبر ..
وكان والده موجودا ومتأثرا جدا من فقد ولده .. وقرة عينه ..
خلف الله عليه خيرا ..
وجعله فرطا له إلى الجنة..
بكى والده على قبره فأبكى من حوله ..
نظرت للقبور ذلك اليوم وكانت على مد البصر..
رأيت رجلا يسير بعيدا من بين القبور وكنت اعرفه ..
فسالت : أين يذهب؟؟
فقالوا: يزور قبر شيخه عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله
جاء والد الأخ محمد وسلم على شيخنا وقبل يده وبكى بكاء كما تبكي الثكلى
فصبره شيخنا ودعا له ولولده محمد وقال : يخلف المولى سبحانه عليك في
إخوان محمد.. فلا تتحسر فكلنا موتى وهذا آجال .. الخ كلامه رحمه الله
ولقد واساه شيخنا ودعاه في بيته واستضافه طوال بقاءه في عنيزة ..
مرت الأيام تترى وبوتيرة سريعة ..
وما أسرع ما جاء موسم الاستعداد للحج..
حيث أوقف شيخنا الدروس المعتادة ..
وشرع في دورة مركزة في القراءة من أبواب الحج من الزاد ومن كتب المناسك
وكذلك كتابه الصغير في حجمه الكبير في قدره المتعلق بالأضاحي ..
وقد قرأناه عليه وشرحه شرحا وافيا ..
فخرجت بفوائد عظيمة واستطعت الإحاطة بتوفيق المولى بجميع ما يتعلق
بالحج والمناسك والأضحية من تلك الدروس..

فجزى الله شيخنا خير الجزاء ورضي عنه وجعـل قـبره روضـة مـن رياض الجنة
في الأيام الأخيرة من شهر ذي القعدة ..
وقبل رؤية هلال ذي الحجة توجهت مع شيخنا لأداء الحج..
وكان في استقبالنا الشيخ صالح الزامل والأخ علي السـهلي وجمـع كريم من الإخوة
المحبين..
توجهنا لمكة شرفها الله لأداء العمرة وتحللنا بعد ذلك ..
فقد كنا متمتعين كما هو معروف من أنواع النسك..
أرجعنا السيارة التي كانت معنا للشيخ صالح الزامل واستبدلناها بسيارة جديدة تركت تحت تصرفنا ..!!
سألت شيخنا: ما هذه السيارة هل هي مهداة؟؟
فقـال: كلا ، هـذه السـيارة تابعـة لـوزارة الشـئون الإسـلامية حيـث أشرف سنوي
على الدعوة في صالة الحجاج والميناء !!

الحلقة الثانية والخمسون

برنامج شيخنا في فترة الحج برنامج شاق ومرهق بما تعنيه الكلمــة من معنى
حيث يحتوي على برامـج متتابعـة مـن دروس ومحاضـرات وفتـاوى وتنقل بين المخيمات قبل وبعد الحج وأثناءه ..
ولقد كان يصيبني الفتور والإعياء من كثرة البرامج وشيخنا في قمة نشاطه!!
في الحج كنت أنا رديف شيخنا ولم يرافقنا أحد مـن أقـارب الشـيخ أو أصحابه
وكنا طوال فترة بقاءنا في مكة وكذلك في مخيم الحج فـي ضـيافة شهم سأتحدث عنه لاحقا..
توجهنا بسيارتنا الجديدة (وهي جيب تايوتا لون رمادي)
لمكتب التوعية الإسلامية الواقعـة فـي حـي الششـة والـذي يقـابله جامع سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله
حيث كان شيخنا يمكث كثيرا في ذلك المكتب لاستقبال
الزوار من العلماء والمشائخ والمسـتفتين وأمـامه هـاتف لا يتوقـف عن الرنين

لأربع وعشرين ساعة للفتاوى..
ولسائل أن يتساءل كيف يعرف الناس رقم تلفون الشيخ فـي مكـة أو في جده أو غيرها من المدن؟؟
والجواب: أن شيخنا قام بطريقة جميلة وسهلة بحل هذا الإشكال!!
وذلك أن جهاز التلفون في عنيزة فيه خاصية تحويل المكالمات ..
فمثلا لو اتصل شخص لعنيزة على رقم الفتاوى المعروف
فسوف يرد عليه التلفون بصوت الشيخ يقول له :
اتصل على الرقم كذا .. فمرة يعطيهم رقمه في الرياض ومرة في جده
ومرة في المدينة وهكذا..
وكان رقم التلفون يتغير في بعـض الأحـوال يوميـا وذلـك بالاتصـال علـى الجهـاز وإدخـال شـفرة معينـه فيملـي الشـيخ بصـوته الرقـم الجديد..
وللمعلومية فشيخنا لديه اهتمـام كـبير بالتقنيـات وخصوصـا أجهـزة الاتصالات
وكل من أراد أن يدخل السرور على شيخنا ويفرحه فعليه أن يخبره بجهاز اتصال جديد نزل في السوق فستجده بعـد أيـام فـي بيتـه أو مكتبته !!
أذكر مرة أنني طلبت من الشيخ أن يعطيني مبلغا من نفقـتي الـتي يرسلها
الوالد لي على حسـاب الشـيخ حيـث أن شـيخنا يحتفـظ بهـا عنـده وينفق علي
منها كما ينفق الوالد على ولده ..

فقـال لـي : تعـال عنـدي فـي الـبيت وسـأعطيك الجهـاز الـذي تحتاجه..!!
فجئته ودخلت معه للبدروم حيث مكتبته الثانية ..
فـأراني دولابـا كـبيرا بـه رفـوف كـثيرة وقـد حشـرت بـه عشـرات الأجهزة
من كل الأنواع والأصناف ..!!
علما أن غالبها مهدى لشيخنا من قبل أحد أصـحابه الـذين اعرفهـم جيد
وبمناسبة ذكر الأجهزة أذكر هذا الموقف..
كنا مرة في جده وبعد صلاة عصر ..

ذكر أحدهم للشيخ محمد أن هناك أجهزة للاتصالات
جديدة وفيها من المواصفات كيت وكيت ..
وهي متوفرة في معرض تجـاري لشـركة سـوني فـي سـوق حـراء الدولي
فقال الشيخ لي: توجه لذلك السوق
وكان لدينا فراغ بسيط من الوقت ..
فانطلقنا للسوق وترجلنا ودخلنا ذلك المعرض..
فتجول شيخنا فيه دون أن يعرفه أحد من البائعين أو المشترين ..
فاختار جهازا أو جهازين ..
فقال البائع: للأسف لا يوجد لدينا جهاز جديد
وهذا الجهاز للعرض ولكن لو تعطينا عنوانكم فسوف نبعثه لكم ..
فقال الشيخ: أنا مقيم في عنيزة!!
فقال : سنبعثه لك لعنيزة وستتكفل أنت بقيمة الشحن..
فقال الشيخ : لا بأس بذلك ..
فأعطاه العنوان ورقم الهاتف..
ودون له الاسم : محمد بن صالح العثيمين !!
وخرجنا من المحل..
يقول الشيخ لي : بعد وصوله لعنيزة بأيام تلقـى اتصـالا هاتفيـا مـن مالك المحل
وكان يبكي في التلفون ويقول: والله ياشيخ لو علمـت أنـك سـتأتي لمحلي لتشرفت
أنا باستقبالك ..
وقد بعث الجهاز للشيخ وأهداه له ورفض رفضا باتا أن يأخـذ قيمتـه من الشيخ..
في مكة حيث كنا نمكث في مكتب التوعية ..
كان شيخنا يجلس في صالون بجوار مكتب كبير مكتوب عليه
(مكتب معالي النائب)؟؟؟؟
فقلت لشيخنا : مكتب من هذا ؟؟
فقال : هذا مكتب الشيخ إبراهيم بن صالح آل الشيخ نائب الشيخ عبد العزيز بن باز ...
هذا الرجل تعجز والله كلماتي المختصرة عن الثناء عليه ..
ويكفي أن أقول عنه أنه رجل بما تعنيه تلك الكلمة..
تواضع في تعامله ..
سماحة في نفسه..

حسن المعشر..
حلاوة الحديث..
الطرافة الكرم الطيبة الحنان التفاني .. بارك الله في أبي صالح
ولا عجب فهو سلالة كريم بن كريم بن كريم بن كرام..
فجده هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ..
وأبوه هو الشيخ صالح آل الشـيخ قاضـي الريـاض المشـهور وشـيخ العلماء الكبار..
صاحب المواقف المشهورة مع الملك عبد العزيز رحمه الله ..
وأقرؤوا سيرته العطرة في كتاب (علماء نجـد خلال ثمانيـة قـرون) للشيخ العلامة
عبد الله البسام عليه رحمة الله..
في ذلك العام والذي يليه مكثنا في ضيافته في الحـج قبلـه وخلالـه وبعده
في أيام فضيلة وذكريات ممتعة ولحظات مباركة
لو لم يكن مكسب لي من صـحبة شـيخنا ومرافقتـه سـوى معرفـة أمثال
الشيخ إبراهيم لكان والله ذلك كافيا لي..
فكيف إذا اجتمع لنا في تلك اللحظات فوائد ونكت علمية ودقائق
يندر أن يتمكن الإنسـان مـن تحصـيلها مـن جـوف و أعمـاق بطـون الكتب..!!
والله لقد سمعت من العلم واستفدت مـن الفوائـد والمسـائل فـي تلك السفرات
ما قد يحشى في رأس طالب علم فيستحق أن يسمى عالما!!
ولكن كم بقي لي منه وكم احتفظت به وكم عملت به ؟؟
هل العلم بالمعرفة فحسب ؟؟
هـل العلـم أن تحيـط بالمسـائل دون أن تفقـه فتصـير مثـل حمـار الفروع!!
يؤسفني أن أقول مثل هذا الكلام ولا أحب ترديده وذكره والله ..
ولكـن بعـض الجهلاء وفاسـدوا القصـد اتهمـوني ظلمـا وزورا بـأنني اصحبه لأغراض وأهداف دنيئة ..
حسبهم الله ...
والموعد بين يديه تعالى ...
نزلنا في بيت الشيخ إبراهيم بن صـالح والكـائن فـي حـي العزيزيـة بجوار جامع الحارثي والذي كان إمامه حينها الدكتور ناصر الزهراني

وفقه الله
فكنا نصلي في المسجد ويلقي شيخنا فيه درسا بعد صلاة العصر ودرسه الآخر يلقيه في جامع فقيه المعروف..
ولم يكن شيخنا يصلي في الحرم سوى الجمعة ولم يكن يلقي فيه الدروس لتعذر ذلك بسبب الزحام الهائل في الحرم وحوله..
وغالب من يحضر تلك الدروس هم من الحجاج من الدول العربية وغيره
والعجيب والغريب ..
هو حضور عدد من أصحاب العمائم السوداء !!
من الروافض لدروس الشيخ...!!
ولقد تساءلنا حينها : هل يفهمون العربية وهل يسمعون الدروس ليستفيدوا؟؟
في درس جامع الحارثي كان أحدهم يداوم الحضور وكان يناقش شيخنا كثير
وشعر شيخنا منه رغبة في البحث عن الحقيقة أو هكذا بدا ؟؟؟
عرف نفسه للشيخ أنه مدرس في إحدى الحوزات العلمية في قم في إيران
وطلب من الشيخ أن يجلس معه جلسة خاصة في بيته ليتجادل مع شيخن
حول بعض المسائل العقدية والمختلف فيها بين الروافض وأهل السنة والجماعة
دعاه شيخنا لبيت الشيخ إبراهيم .. فحضر الرافضي وكان ذلك بعد درس العصر
أظهر الفرح وتملق في كلامه وأنه باحث عن الحقيقة فجاراه شيخنا حتى يبلغه الحجة الناصعة..
قدمنا له القهوة والشاي وكنت أنا حاضرا وكذلك الأخ أحمد البغدادي
قام بإيراد عدد من المسائل المشهورة والمتعلقة بالصحابة رضي الله عنهم وخصوصا عن أمير المؤمنين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وخليفته أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ..
وكذلك عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه
وتنوقش أيضا عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها..
وكان يقول ويؤكد أن الخلاف على هذه المسائل ليس من أصول الدين

فقال له شيخنا: بل هي من أهم المهمات فهم أصحاب رسول اللـه صلى الله عليه
وسلم وهم نقلة الوحي وخير أصحابه..
فالقدح فيهم قدح في رسول الله عليه الصلاة والسـلام وقـدح فـي دين الله جل وعل
ومن خلال الحديث لمز الرافضي عثمان ابن عفان ..
فدحر الشيخ كلامه ودحض حججه وترضى عن عثمان ..
وقال أيضا : لا أظن أحد يختلف في كفر معاوية وابنه يزيد !!
فبين له شيخنا فضل معاوية رضي الله عنه وأنـه أحـد كتبـة الـوحي ونقل له
موقف أهل السنة والجماعة من الفتنة التي وقعت بينه وبيـن أميـر المؤمنين علي
بن أبي طالب رضي الله عنه
و أن ما وسع العلماء والسلف يسعنا.. فيهما رضي الله عنهم
وكذلك موقفهم من ابنه يزيد ونقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه ..
فقال الرافضي: تمنيت أن اطلع على كتب ابن تيمية..
فقد سمعت أن الرجل له مؤلفات في الرد علينـا وفيهـا قـوة حجـة وجزالة ألفاظ!!
فقال الشيخ: إن شئت اشتريت لك كتب ابن تيمية ..
لتحملها معك إلى إيران فتقرأها فلعل الله تعالى بفتح على قلبك فيظهر لك الحق..
فأظهر الفرح وشكر الشيخ ..
وبعد استكمال الحوار والنقاش ..
خرجنا معه من السكن وتوجهنا به وبرفقة شيخنا للمكتبة ..
ويا للعجب !!
رافضي في صحبة ابن عثيمين في سيارة واحدة؟؟
اشترينا له كتاب منهاج السنة وكتاب درء تعارض العقل والنقل..
فتعجب من كبر حجمهما فقال له الشيخ:
إن قرأتهما قراءة بحث وطلب للحـق فسـوف تجـد بغيتـك إن شـاء الله
أما إن قرأته لتنقده ولتبحث عن زلاته فلن تستفيد منه شيئا..
فقبل الرافضي رأس الشيخ وشكره وقال : هذا رقم هاتفي ولعلكم تتصلون علي بعد شهر أو شهرين فأعطيكم رأيي ومـا وصـلت إليـه

فحفظت الرقم عندي وبعد مرور شهرين ..
ذكرت شيخنا به ..
فاتصلنا عليه ..
فردت علينا امرأة فرطنت بكلام لا نفقهه..!!
فقلت لها : نريد فلان .. وكررت اسمه ..
فما فهمت كلامي فأغلقت السماعة في وجهي !!
ولعل الله تعالى أن يكون هداه !!

الحلقة الثالثة والخمسون

لم يكن البرنامج في تلك الأيام يسير على نمط واحد كما هو في رمضان
بل كان لكل يوم برنامج على حده ..
كان شيخنا يجلس في مكتب التوعية الساعات الطويلة يجيب على الفتاوى
وحيث أنني لا يمكنني الاستفادة من بقائي ..
استأذنت شيخنا لكي أقضي فراغي في المكتبة التابعة للتوعية..
وجدت أن المكتبة ليست غنية بالمراجع المتنوعة بل غالب كتبها حول صنف أو صنفين من أصناف العلوم ..
و كان قد كلفني شيخنا سابقا بتدوين بعض البحوث
فاحتجت أن اطلع على عدد كبير من المراجع ..
فلم تشبع تلك المكتبة نهمي ولم تكن مناسبة لخصوص البحث..
فاخترت كتابا وقعدت لقراءته وكنت أحيانا من الإعياء يسقط رأسي على دفة
الكتاب وأنا لا أشعر...
لاحظت رجلا يداوم الجلوس في المكتبة ..
ووضع أمامه مجلدات ضخمة يراجع فيها ويقرأ منه
ويبدوا أنها رسائل علمية ويشرف هو عليها أو هي له ..!!
وجهه مستدير ولحيته بيضاء ووجهه أبيض وممتلئ الجسم
وليس بالطويل ولا بالقصير..
طويل الصمت واضح عليه شدة الحياء ..
ولقد جاورته ساعات طويلة دون أن أسمعه ينطق أو يهمس بكلمة..!!
سألت عنه فقيل : هذا العالم الجليل الشيخ صالح بن خزيم ..

ولقد توفي بعد سنوات في حـادث مـروري فـي بريـدة رحمـه اللـه وعفا عنه
زارنا في يوم الأيام وكنت مع شيخنا ..
رجل طالما أحببته وقدرته ..
إنه شيخي وأستاذي الدكتور الشيخ أحمد بن موسى السهلي..
أحد تلاميذ علامة الجنوب الشيخ حافظ الحكمي ..
داومت على حضور دروسه في الطائف لأكثر من عامين
ومع ذلك فلم يكن يعرفني فقد كان عدد الطلبة كبيرا
ولم يكن لي مع الشيخ احتكاك مباشر..
دخل على الشيخ محمد وسلم عليه وتحدث معه..
حيث هو أيضا من المشاركين في برامج التوعية في الحج ..
وبعد انتهاء لقاءه وحديثه مع الشيخ ..
استأذنت شيخنا محمد ولحقت الشيخ احمد..
فعرفته بنفسي ورويت له أنني أحد تلاميذه السابقين..
قال لي : ظننتك ابن الشيخ!!
وفرح بذلك وسر ودعا لي حيث أنني لم انقطـع عـن الطلـب وقـال لي:
استمسك بغرز هذا العالم الجليل .. وأنـا واللـه أغبطـك علـى هـذه المزية
فاحرص على الاستفادة من علمه فهو فقيه نادر الطراز ..
صارت لي علاقة وثيقة بالشيخ أحمد استمرت حتى هذه
الأيام وإن له الفضل علي بعد الله في حبي للعلم وطلبه أول الأمر
فجزاه الله عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء..
بجوار منزل الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله في الششة ..
تقع عمارة جميلة ذات طوابق عديدة ..
أوقفها أحد المحسنين وهو الشيخ صالح التو يجري عليه رحمة الله
أحد الأخيار والوجهاء من سكان مكة..
أوقف هذه العمارة على الدعوة والدعاة فكانت في أيام الحج تغص بالعلماء الأجلاء والدعاة و طلبة العلم الكبار والصغار ..
وكانوا جميعا في ضيافة مكتب التوعية الإسلامية ..
ومن هناك يكون انطلاق المجموعات الدعوية للمخيمات والمساجد والتجمعات السكنية وغيرها
كانت تلك العمارة كأنك ترى فيها خلية نحل..!!
فهم جنود الإسلام وحماة العقيدة ..

جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء..
كان لشيخنا أيضا غرفة خاصة في ذلك السكن ..
ولكنه حسب علمي لم ينزل فيها مطلقا..
والسبب أن لشيخنا مراجعين كثر
وحتى لا يشق على الناس رأى أن يستقل في مكان خاص له ..
فكان زوراه ومراجعوه يرتادون مكانه السابق الذكر..
من المشائخ الذين ينزلون ذلك السكن ..
سماحة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي العام الحالي..
ومنهم فضيلة الشيخ صالح الفوزان..
ومنهم أيضا الشيخ محمد الدريعي ..
ومنهم الشيخ عبد الله القصير..
والشيخ سليمان الشبانه رحمه الله..
والشيخ عبد الله الشبانه ...
وعدد من مدراء الدعوة في الداخل والخارج
وغيرهم كثر ممن أعجز عن عدهم .. ولا تحضرني أسماؤهم
وظني أن المشائخ يتجاوز عددهم المائة..غير الطلبة والدعاة..
ذات مرة دعانا أحد المحبين لشيخنا للغداء في ذلك السكن..
وكان رفيقه في الغرفة الشيخ صالح الفوزان..
كان الغداء الموضوع لنا هو عبارة عن علب بروست !!
أي والله هذا هو الغداء..!!
والسبب أن الغرفة ضيقة والمشائخ عـددهم كـثير فـأين يضـع لهـم طعاما وفير
فكان اختياره اضطرارا قد فهمه الجميع وما لا موه عليه
والظاهر أن ذلك من عادتهم طوال تلك الأيام ..
حصل في ذلك اليوم موقف ظريف..
حيث جلس المشائخ منحشرين بجوار الأسرة المتواضعة ..
وكان أمامي في صف واحد كأنني أراهم أمامي ..
شيخنا ابن عثيمين رحمه الله
وبجواره عن يمينه الشيخ عبد العزيز آل الشيخ
وبجواره عن يساره الشيخ صالح الفوزان ..
بالإضافة لعدد من المشائخ والمرافقين ..
وقد وضع الطعام بين أيدينا ..
و لم نضع يدنا في الطعام انتظارا لأحد المشائخ..
انتظرناه وطال الانتظار..

وكاد الطعام يبرد..
وكان الشيخ المنتظر هو الشيخ محمد الدريعي..
والشيخ الدريعي لمن لا يعرفه رجل كفيف وهو رجـل صـاحب نكتـة وطرفة ومزاح..
وشيخنا يحبه وقد زال بينهما حاجز التكلف ..
قال شيخنا للمضيف: اتصل لي علـى الأخ محمـد وسـوف أسـتعجل حضوره..
فأحضر جهاز الهاتف واتصل على غرفة الشيخ الدريعي ..
فلما رفع الدريعي السماعة .. وهو جهوري الصوت
و ربما من قوته لا يحتاج لميكرفون !!
غير شيخنا صوته وفخمه وصار يغمغم
ويقول: هل أنت محمد الدريعي ؟؟
فقال : من معي؟
فقال: يا أبا فلان أنزل وإلا فلن ننتظرك ..
وتبادلا الحديث والتعليقات وضحكنا من حديثهما ..
ولقد رأيت المشائخ يتمـايلون مـن الضـحك وخصوصـا الشـيخ عبـد العزيز آل الشيخ
حتى دمعت أعينهم من الضحك!!
ولم يعرف الدريعي حتى أغلق سماعة الهاتف أن شيخنا هو محـدثه ..
وعلق بتعليقات ساخرة على شيخنا وصوته وقال:
من هذا البزر الذي يكلمني ؟؟
وقال: الحين أنزل أؤدبك بعصاي!!
وحين نزل لنا وسمع صوت شيخنا وعرف انه هو من كلمه
انكب على شيخنا يقبله وضمه واعتذر منه ..
رحمهم الله وعفا عنهم..
وكما قلت فقد نزعت الكلفة بين شيخنا وبين الشيخ الدريعي ..
وعلى النقيض منه تماما شيخ آخر لم أرى شيخنا يتعامل بمثل هذ الأسلوب سوى معه ومع شيخه سماحة الشيخ ابن باز..
حيث يجله إجلالا كبيرا ويتبسط معه في الكلام ويقوم له !!
فسألت شيخنا ذات مرة..
قلـت:لاحظـت عليكـم حينمـا تقـابلون هـذا الشـخص أنكـم تجلـونه وتقدرونه تقديرا كبيرا؟؟
فقال لي: أنت لا تعرف هـذا الرجـل فلـه فـي قلـبي مهابـة ومحبـة

واحترام وأخذ في الثناء عليـه وذكـر أعمـاله الجليلـة ومـواقفه فـي الحق حتى والله أحببته..
وهذا الرجل المعني هـو الشـيخ عبـد الرحمـن الفريـان رحمـه اللـه مدير جمعية تحفيظ القرءان الكريم في الرياض ..
وهو علم من أعلام مدينة الرياض عليه رحمة الله..

ذات ليلة في تلك الأيام ألقى شيخنا درسا فـي العقيـدة فـي جـامع فقيه..
في العزيزية بمكة شرفها الله..
فلما انتهى الدرس قال لي الشيخ : هل سجلت كلامي؟؟
فقلت : لا والله ولم أكن احمل معي مسجلتي تلك الأيام!!
فقال: الدرس اليوم كـان مفيـدا فلعلـك تبحـث عمـن سـجله حـتى ننسخه منه ..
فلحقت بشاب رأيته قد سجل الدرس ..
وهو طالب علم من دولة لبنان
فقلت له: اسمح لي أن ننسخ شريطكم ..
فقال لا بأس ..
وحينما ركب في السيارة معي ..
ففوجئ أنه سينسخ الشريط لشيخنا .. ؟؟
ولا عجب فشيخنا حريص على نشر علمه ويتعبد لله بذلك..
وتوجهنا لإحدى التسجيلات الإسلامية ونسخناه ..
وبعد رجوعنـا لعنيـزة سـلمت لمؤسسـة الاسـتقامة تلـك الأشـرطة وغيرها لكي
يضيفوها لآلاف الشرطة التي قاموا بتصفيتها ونشرها في الآفاق..
كنا في المساء نرجع لسكننا فـي منـزل الشـيخ إبراهيـم آل الشـيخ حفظه الله
وكان برفقته عائلته الكريمة ومنهم ابنه البكر الشيخ
صالح بن إبراهيم آل الشيخ والذي ورث عن والـده صـفاته وأخلاقـه وسمته
قال لي : لم لا تستغل هذه الفرصة بوجودك مع الشيخ وتقرأ عليــه بعض
الكتب؟؟
فعرضت الأمر على الشيخ فرحب بذلك
وقال : كونك تركز على كتاب واحد أفضـل لـك مـن أن تتنقـل بيـن

الكتب يمنة
ويسرة فعليك بضبط متن معين ضبطا كاملا ثم تنتقل لكتاب آخــر.. وهكذ
فطلبت من الشيخ أن يختار لي كتابا هو يراه..
فاختار أن اقرأ عليه كتاب الاختيـارات الفقهيـة لشـيخ الإسـلام ابـن تيمية
الذي جمعه علاء الدين أبو الحسن البعلي رحمه الله والمتوفى عام 803 للهجرة
وهو كتاب جليل عظيم النفع جمع فيه اغلب آراء شيخ الإسـلام ابـن تيمية
من خلال كتبه وفتاويه ونظمها في مجلدة واحدة ورتبه على أبــواب الفقه
المعروفة ..
وقد سبق أن صور لي هـذا الكتـاب واحتفـظ بتلـك الصـورة عنـدي وهي التي قرأتها
على شيخنا ودونت عليها تعليقاته وشروحه ..
كنت أقرأ على الشيخ فـي الـبيت أو المكتـب أو فـي المسـجد بيـن الأذان
والإقامة أو في الطـائرة أو فـي السـيارة إن كنـا مـع سـائق غيـري حسب ما يتيسر من
وقت فيعلق ويشرح على المسألة ثم يعطـي رأيـه فـي قـول شـيخ الإسلام
فيوافق أو يخالف ..
ولقد ظننت قبل أن أقرأ عليه هذا الكتاب أن شيخنا لايخالف شيخ الإسلام ابن تيمية سوى في مسائل معدودة ..
حصرها احد الطلبة بستة عشر مسألة !!
ولكن تبين لي أن شيخنا يبحث عن الدليل ولا يتعصب لقول الشيخ
فإذا رأى انه خالف الدليل رد قوله كما هو عادة العلماء المجتهـدين ..

الحلقة الرابعة والخمسون

كون شيخنا مشـرفا علـى الـدعوة فـي صـالة الحجـاج وكـذلك فـي الميناء

فقد توجهنا لجدة لزيارة الميناء والصالة ..
حيث عينت الـوزارة عـددا مـن المشـائخ والـدعاة يقومـون بتوعيـة الحجيج
القادمين من البحر والجو ..
في أحكام الحج والدين والعقيدة وغير ذلك ..
ويوزعـون عليهـم آلاف بـل ملايـين المناشـير والكتـب والمصـاحف والأشرطة..
من الدعاة في صالة التفويج في الميناء صاحب الفضيلة الشيخ
عبد الله القصير وأكرم به وانعم من عالم جليل
لقد تعجبت والله حينما رأيته يقف بنفسه يوزع على الحجيج الكتب ويجيب على أسئلتهم ..
رغم شدة الحر والزحـام الخـانق وانبعـاث الروائـح الكريهـة بسـبب القرب من
أحواض السفن ...
جاءه رجل من السودان يعترض عليه في مسألة عقدية ذكرت فـي كتاب قرأه
تتعلق بالقبور والزيارة ونحو ذلك..
فوقف له الشيخ عبد الله يحاوره بهدوء وأدب ويسـتمع لاعتراضـاته ..
دون أن يضجر من كلامه وخزعبلاته!!
فلله در دعاتنا فما أحسن ما يقدمونه للأمة ..
ثم حظهم من البعض النيل من أعراضهم والقدح فيهم!!
يذكرني هو وأمثاله من الرجال بقول الشاعر :
وليس أخو الحاجات مـن بـات نائمـا ولكـن أخوهـا مـن يـبيت علـى رحل!!
جعل الله ذلك في موازين حسناته هو وعشرات الجنود المجهولين الذين يعملون تحت إشرافه..
أطمأن شيخنا على أحوالهم وتشاور مع المشائخ فيما يقترحون من برامج
ومناشط وكتب ونحو ذلك ..
ثم انطلقنا لزيارة صالة الحجاج في المطار..
كانت في تلك الأيام معرفتي بالطرق في جدة ليست بذاك..
ولقد تهنا في الوصول للصالات لأكثر من ساعتين..
أستغرقها شيخنا بقراءة ورده حتى تعب ونام !!

وصلنا لمدينة الحجاج أخيرا وقد بلغ بنا التعب مبلغه ..
وهي مدينة بما تعنيه الكلمة من معنى..
تقوم لعدة أسابيع ثم تختفي بين عشية وضحاها.. كما قامت!!
فيها أسواق وبنوك ومحال تجارية ومستشفيات وجوامع
وكل الخدمات العامة التي يحتاجها حجاج بيت الله ..
وصلنا هناك .. وكان ذلك بعد صلاة الظهر ..
وقد خرج الناس من المسجد الكبير في وسط الصالات..
حيث كـان اللقـاء متفـق عليـه فـي الجـامع وسـيلقي شـيخنا كلمـة للحجيج ..
ولكن لتأخرنا فقد خرج الناس وبقي المسجد شبه خال..
توضأنا ودخلنا للمسجد وصلينا الظهر ..
كان شيخنا مجهدا ومرهقا بسبب ضغط الأيام الماضية ..
كان الجو لطيفا في المسجد وبرودته معتدلة ..
فاستغل شيخنا تلك الدقائق ولف عمامته علـى وجهـه وتوسـد يـده ونام..!!
فجاء المشائخ فأشرت لهم من بعيد !!
فأشاروا لي: هل هذا الشيخ ؟؟
فحنيت رأسي وقلت لهم : نعم ودعوه ينام قليلا..
فغط في نومة هنيئة حتى شخر ..!!
فسعدت بذلك.. واغتبطت ..
وجلست مع المشائخ في زاوية المسجد حتى لا نزعج الشيخ..
ذكر لي شيخنا رحمه الله ..
أنـه كـان فـي سـنوات ماضـية يلقـي دروسـا للحجـاج مـن جميـع الجنسيات
وغالبهم من أفر يقيا..
تقدم له رجل أفريقي ويتكلم العربية وقال للشيخ: أنت تعلم الناس مسائل
مهمة في العقيدة والأحكام ولكن يحول بينك وبينهم اللغة !!
فغالبهم لا يفهم العربية فما رأيك أن أترجم كلامكم بلغة قومي؟؟
فقال الشيخ : لا بأس ..
فترجم ذلك الرجل لشيخنا مدة من الزمن ..
وفي خلال كلام شيخنا سمع لغطا من خلف الصفوف ..
وقام رجل وقال: ياشيخ إن هذا المترجم رجل كذاب !!
فهو يحرف كلامكم ويبدله بعمد لفساد معتقده ..

فقام مجموعة من الناس وأكدوا كلام الرجل..
فالتفت شيخنا للمترجم وقال له: قم .. وسوف أتكلم بالعربية فمن يفهم
فليفهم وأمري على الله !!
روى لي احد طلبة العلم الثقات يقول: اجتمعت يوما في الحرم في شهر رمضان
بعدد من المسلمين الأفارقة مـن نيجيريـا والـذين تحلقـوا لاسـتماع درس شيخن
محمد رحمه الله في الحرم..
وكان بعضهم يبكي بحرقة ويرفع يديه بالدعاء بكلام لا افهمه!!
فسألتهم : لماذا يبكون ؟؟
فقالوا : كنـا مجموعـة مـن النصـارى أهـدانا أحـد طلبـة العلـم فـي نيجيريا شريطا
للشيخ محمد في العقيدة فأسلم بسبب ذلك الشريط ثمانيـة عشـر شابا
ومنهم هؤلاء الفتية الذين يبكون فرحا لرؤيتهم للشيخ
ويدعون الله له فالفضل له بعد الله في إسلامهم !!
وأذكر مرة أنه زار شيخنا في الحج مجموعة من الأمريكـان السـود ..
وكانوا يتكلمون العربية بفصاحة مطلقة وكأنهم عرب أقحاح؟؟
قالوا للشيخ : نحن تلاميذك!!
فقال: لا أذكر أنكم درستم عندي!!
فقالوا : ياشيخ لقد سمعنا شـروحك مـن الأشـرطة فـي الواسـطية وكتاب التوحيد
وغيرها فنحن نعتبر أنفسنا تتلمذنا عليك!!
ذات ليلة قال لي الشيخ مازحا : لدي درس الليلة السـاعة التاسـعة في أمريكا!!
فقلت له ضاحكا ومتعجبا: أتسخر مني؟؟
فقال: هل تريد ترى هذا بنفسك؟؟
فدخلت معه لملحق بيته ، واتصـل عليـه شـخص مـن أمريكـا علـى هاتفه
وقال ياشيخ : نحن جاهزون ؟؟
فإذا هي محاضرة عبر الهاتف يلقيها شيخنا و يسـتمع لهـا فـي أكـثر من خمسين

مركزا إسلاميا في الولايات المتحدة !!
استيقظ شيخنا من نومه وتلفت حوله ومسح بيديه على وجهه
فلما رآه المشائخ قاموا إليه..
وسلموا عليه وتحلقوا حوله واستمع لهم ولبرامجهم وحصروا بعـض النواقص
والاحتياجات من كتب وغيرها ..
ثم رجعنا لمكة لكي نستعد لأداء مناسك الحج..
تكفل الشيخ إبراهيم آل الشيخ بتنظيم كل ما يتعلق بحجنا
من تنقل وسكن وخدمات وتغذية فجزاه الله خير الجزاء.
حيث أن لديه فريقا كبيرا من الرجـال المخلصـين كـل قـد حـدد لـه عمله ووظيفته
أمرني الشيخ ذلك اليوم بالاغتسال للباس الإحرام كما هي السنة
واغتسل الشيخ ولبس إحرامه وتدهن بقارورة كاملة من الطيب
دهن بها شعر رأسه ولحيته
حتى رأيت الطيب يتقاطر من لحيته..
ولقد فعل شيخنا ذلك تعبدا لله تعـالى واقتـداء برسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم
كما روت عائشة رضي الله عنها في إحرامه عليه السلام ..
ركبنا الباص الصغير المخصص لنا وبرفقتنا عائلة الشيخ إبراهيم في الخلف
كان شيخنا يلبي ويرفع صوته بالتلبية حتى بح صوته ..
كما كان يفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم..
كان السائق محترفا وخبيرا بالطرق ..
فأوصلنا لمخيمنا في منى والملاصق لمخيم سماحة الشيخ ابـن بـاز رحمه الله
فأنعم بها من جيرة ..
يحتوي المخيم على عدد كثيرة من الخيام جزء منه مستقل للنساء
تتوسطه خيمة كبيرة للصلاة والدروس..
يلقي فيهنا الشيخ الدروس والكلمات بعد كل صلاة ..
ولا يجد شيخنا في تلك الأيام الفضيلة وقتا للراحة إلا ما ندر
فهو كما قال الشاعر:
فلو لم يجد في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله..
فو الله لم ترى عيني ولا ادعي أنه لا يوجد!!
لم ترى عيني رجلا يبذل وقته للعلـم والتعليـم وتفقيـه النـاس مثـل

شيخنا
خلا شيخه وإمام الجميع الشيخ ابن باز رحمهما الله
كان الشيخ ابن باز رحمه الله يجل شيخنا ويحبه حبا جما
وكان شيخنا يبر بشيخه ويصله كما يفعل الولد مع أبيه ..
ويفرح الشيخ ابن باز حين يعلم بوجود تلميذه البار..
ذات مرة جئنا لمنزل سماحة الشيخ ابن باز في مكة
فسلم عليه شيخنا وقبل رأس شيخه ..
ثم جلس شيخنا في مكان بعيد عن الشيخ قليلا..
وكان بجوار الشيخ ابن باز يجلس أحد المشائخ الفضلاء..
فقال الشيخ ابن باز: وين الشيخ محمد ؟؟
وضرب بيده على الكرسي الذي بجواره ..
فقام الشيخ الذي عن يمينه من مكانه واستبدله بمكان شيخنا..
فلا تسل عن الأنس وفرح الشيخ ابن باز بأن يوضع شيخنا في موضعه الذي
يستحقه ويقدر التقدير الذي يليق به..
لا اعلم أن شيخنا ذهب لمدينة يعلم أن شيخه ابن باز فيه
إلا وابتدأ بزيارته والسلام عليه قبل أي شيء آخر..
أذكر مرة ذهبنا لمكتب الشيخ ابن باز في الرياض..
فقيل لشيخنا : هو في اجتماع مع اللجنة الدائمة ..
فيهم سماحة الشيخ وكذلك الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي الحالي
والشيخ ابن غديان والشيخ الفوزان والشيخ بكر أبو زيد..
حينما دخلنا عليهم ..
رأيت الشيخ ابن باز مادا رجليه على طاولة وضعت أمامه
و حاسر الرأس..
فأراد المرافق أن يلبسه شماغه فقال الشيخ ابن باز:
لا .. لم يدخل علينا غريب!!
كما قلت كان التلميذ بجوار شيخه في المخيم..
وتحابا في القلوب وتجاورا في قبريهما بمكة في مقبرة العدل..
وأرجو المولى سبحانه أن يتجاورا في القصور في الفردوس الأعلى

الحلقة الخامسة والخمسون

منذ اليوم الأول لوصولنا لمنى ولا ترى شيخنا إلا في درس أو إجابة

فتوى
أو عبادة وذكر وتلاوة ..
وفي فراغه إن وجد ليلا بعد العشاء كنـت أجلـس معـه وأقـرأ عليـه مما ييسره الله
كانت الوفود والزوار لا تنقطع طوال تلك الأيام عن التوافد للمخيـم ..
ممـن سـعدنا برفقتهـم تلـك الأيـام فـي الحـج الأخ الشـيخ خالـد الشريمي حفظه الله
وهذا الرجل من أصحاب شيخنا ومن محبيه لأكثر من عشرين سـنة ..
قمت بتسجيل تلك الدروس والفتاوى طوال مكوثنـا فـي منـى فـي التروية وكذلك في أيام التشريق .. وقد سلمت تلـك النسـخ لا حقـا للإخوة في مؤسسة الاستقامة
كنت أتلوا على الشيخ أسئلة الناس وغالبها يتعلق بالحج والمناسـك ..
وكانت بعض الأسـئلة تحتـاج لنقـاش مـع السـائل لاستيضـاح بعـض التفاصيل
فكان الشيخ قبل أن يجيب على الفتوى يقول أين السائل ؟؟
فإن رفع السائل يده أجابه وإلا تركه !!
من المواقف التي أذكرها في تلك الليالي :
حيث صادف أن سأل أحد الناس سـؤالا وكـان مـن ضـمن الحضـور الأمير بندر بن عبـد العزيـز.. ومعـه مجموعـة مـن حرسـه وجنـوده وحاشيته..
وكلهم جلوس منصتون لشيخنا وحديثه ..
يقول ذلك السائل في أول سؤاله : أنا رجل مقيم في المملكة مـن سنتين وليس لدي إقامة وأكمل سؤاله ...
فقال الشيخ وهو يضحك: أين السائل ؟؟
فضج الناس بالضحك .. حيث علموا أنه لن يجرأ برفع يده !!
في اليوم التالي توجهنا بالباص إلى عرفات ..
وكان ذلك اليوم شديد السخونة والزحام حول المخيم هائلا ..
وتفرغ شيخنا ذلك اليوم كله تقريبا للتعبد والذكر وقراءة القرءان
ولا أذكر أنه ألقى دروسا أو محاضرات ..
أحضر لنا مذياع واستمعنا لخطبة مسجد نمرة ..
وبعد انتهاءها أمنا شيخنا بالظهر والعصر جمعا وقصرا

بعد صلاة العصر وانتشار الظلال وضعت بسط خارج المخيم ..
وجلـس شـيخنا عليهـا واسـتقبل القبلـة ومكـث رافعـا يـديه يـدعوا ويستغيث
حتى غربت الشمس..
همست في أذنه وهو يدعو بكلام ..
وأرجوا الله تعالى المولى أن يستجيب لدعائه رحمه الله !!
بعد ذلك ركبنا سياراتنا وتوجهنا لمزدلفة ..
صلينا المغرب والعشاء وأوترنا ونمنا ..
عنـد منتصـف الليـل اسـتيقظ الشـيخ وتعشـى .. بعـد ذلـك افترقنـا فرقتين
الكبار في السـن العوائـل تـذهب مبكـرا للرمـي كمـا رخـص بـذلك والمجموعة الأخرى تمكث لترمي في اليوم التالي..
وكنت أنا والشيخ مع العوائل وكبار السن ..
قبل أن نصل للجمرة الكبرى أمر الشيخ سائق الباص بالتوقف ..
ثم قال لي: انظر هل غاب القمر؟؟
فخرجت ونظرت فرأيته على وشك الغياب..
فقال الشيخ : إلى أن نصل يكون قد غاب .. توجهنا للجمرة ورمينـا
ثم توجهنا للحرم وطفنا الإفاضة وعدنا للمخيم بعد الصبح ..
حلقنا وتحللنا ولبسنا الثياب ..
ولا أدري هل حلقنا بعد الرمي مباشرة أم بعد رجوعنا للمخيم ؟؟
ومع ذلك فكله مباح !!
اغتسلت ذلك اليوم ولبست أحسن ثيابي ولم يكن معي سواه..!!
وتبخرت بالعود الذي أحضره الشيخ إبراهيم جزاه الله خيرا..
قال الشيخ لي: اتصل علي الملك ودعاني لقصره للمعايدة ..
فقلت له : هل ممكن أن أرافقكم؟؟
فقال : إن أردت!!
فقلت : بلى أريد..
وبما أننا متمتعون فقد بقي علينا الهدي..
وقد كلف شيخنا أحد رجـال الشـيخ إبراهيـم العقلاء بشـراء كبشـين أحدهما عن شيخنا والآخر عني..
جزا الله شيخنا عني خير الجزاء فقد تكفل عني بكل شيء..
فهل لمعـاتب لـي ، حـق أن يلـومني بكتابـة هـذه الروايـة عـن هـذا الرجل الكريم ؟؟
ألا قاتل الله الظلم والبغي!!

قال الشيخ : هيا تعال اذبح هديك!!
فقلت له : والله لم يسبق لي أن ذبحت دجاجة فكيف تريدني أذبح هذا المخلوق الكبير؟؟
فقال : اذبحه وغيرك يتولى سلخه وتقطيعه..
فقلت : أعفني..
فقال: أبدا لا أعفيك تعال وسأعلمك وافعل مثلما افعل أنا..
فقدم الكبش الأول ووضع شيخنا الشفرة على حلقه فذبحه ولم يبد لي ذلك عسيرا .. !!
فتشجعت وقلت أنا لها!!
فأمسكت بالشفرة وقرب لي كبشي ووضعت الشفرة على حلقه ..
فلما رأيت عيون الكبش تزيغ من هول ما يقدم عليه ترددت!!
فقال الشيخ ومن حوله : هيا اذبح وسم وكبر ..
فحركت الشفرة فشخر الكبش وهاج وكاد يفلت فكبسه من بجواري وقال :
أجهز عليه !!
فأكملت ذبحه وتطاير الدم حتى امتلأ ثوبي ووجهي بالدم ..
وسكن الكبش ..
فنظرت لشيخنا فكان وجهه مضيئا كالصفيحة وهو مبتسم رحمه الله ورضي عنه..
قلت له : لا أملك غير هذا الثوب حتى أرافقكم للملك..
فقال: مرة ثانيه إن شاء الله ..
تمنيت رفقة شيخنا فهي التجربة الأولى لي في رؤية هذه الشخصية الكبيرة ولكن هذا قدر الله..
ولقد دخلت مع شيخنا للملك فهد رحمه الله عدة مرات ..
أذكر مرة أن شيخنا قال لي: سنذهب الليلة للملك فهد في جده ..
ولم يسبق لي رؤية الملك عيانا قبل ذلك اللقاء..
وكان ذلك بعد اجتماعات هيئة كبار العلماء في الطائف..
رجوت شيخنا أن يبدل ملابسه لذلك اللقاء
فهي شبه بالية ولديه ما هو أنظر منها وعباءته معرفطة!!
و نعله تليك مخيطة الأطراف!!
فأبى وقال : أقابلهم بما أقابل به ربي!!
وأردت أن أبدل ثيابي فقال لي: ثوبك جميل ولا داعي لتغييره !!
فقلت في نفسي: يسعني ما يسعه .. رحم الله هذا المربي والزاهد

..
نزلنا لجده ووصلنا للقصر ..قريبا من منتصف الليل..
حينما وقفنا على البوابة نظر الضابط في وجه الشـيخ فعرفـه ولـم يطل ..
وقال للجنود : افتحوا الباب للشيخ ابن عثيمين ..
دلفنا للقصر الفخم والكبير والـذي لـم أشـاهد لـه مـثيلا حـتى هـذه الساعة
في بهائه وجماله وفخامته ..
رزقنا الله وإياكم القصور في الفردوس الأعلى..
بحثنا عن موقف لسيارتنا بجوار السيارات الفخمة والبهية .. وبالكاد وجدت
ولقد سبق أن رجوت الشيخ أن انزله أمام بوابة الإيوان
لكي ينزل هو وسوف ألحقه
فرفض وقال : ندخل معا ونخرج معا!!
وصلنا لبوابة الإيوان وكان الحرس وخدم القصر ورجاله كالذر عددا عن اليمين والشمائل..
كل من رآنا جاء للشيخ وسلم عليه ..
فاجأني شيخنا بسرعة خطوه وعجزت عن مسايرته و كان يمر مـن تحت
أجهزة كشف المعادن ولا يتوقف لها ولا يعبأ بها ..
بالنسبة لي أنا فقد أمسك بيدي العسكر مرتين ليردوني للتفتيش
فكان الشيخ يشير لهم فيتركوني إكراما له ..
دخلنا الإيوان الأول ومن بعده إلى إيوان ابهر منه وأجمل وأفسح..
ومنه دخلنا لمجلس كبير وهائل ..
يكاد ضوءه وتوهجه يخطف الأبصار..
ومع كبر حجمه وفساحته واتساعه إلا أنه بلا أعمدة تحجب الرؤية!!
قد رصت في جميع أطرافه المقاعد الـوثيرة والفخمـة وعليهـا مـن البشر والخلق
من لا يحصيهم إلا الله ..
في صدره كان يجلس الملك .. وعرفته منذ أن رأيتـه ومنـذا يخفـاه ؟؟
رحمه الله وعفا عنه ..
حينما رأى الملك شيخنا قام فقام كل من فـي المجلـس وهـذا مـن عاداتهم

فخجلت واستحييت وهبت ذلك المنظر..
فدخلت عن يمين المجلس واختفيت خلف الصفوف..
وكنت أراقب ما جرى..
كنت أرى شيخنا يسير لوحده في وسط المجلس الفسيح ..
وتقدم له الملك فالتقيا في وسط المسافة .. فاحتضنا بعضهما بعضا ..
وقبل الملك على انف شيخنا كما هي عادتهم..
في إكرام العلماء..
سمعت رجلا بجواري متعجبا يقول: من هذا ؟؟
فقال الآخر وكان متكئا ويحرك سبحته قال: هذا المهندس ابن عثيمين!!
نرجع لمنى!!
من السنن أن لا يأكل المتمتع شيئا قبل أن يذوق من هديه
كما هو الحال في الأضحية..
طبخ لنا من كبد الكبشين فافطرنا عليهما ..
ثم خرج الشيخ من الخيمة ودخل على المخيم المجاور للسلام على شيخه ابن باز
للمباركة له بالعيد ..
فاستعرت ثوبا من احدهم ولحقت به ..
فوجدته مع الشيخ ومعهما الشيخ حمد الموسى
رفيق الشيخ ابن باز في حله وترحاله..
قال لي مرة الشيخ حمد: أغبطك على صحبة الشيخ محمد !!
قبلت رأس الشيخ ابن باز فسأل : من أنت ؟؟
فقال له شيخنا: هذا أحد تلاميذنا واسمه فلان بن فلان..
فدعا لي الشيخ ..
رحمهم الله ورضي عنهم وجمعنا بهم في جنات النعيم

الحلقة السادسة والخمسون

لم يطل شيخنا الغياب عند الملك ..
قال لي الشيخ ذلك اليوم: أنه فقد السائق الذي يوصله للمخيم فبقي واقفا محتارا ولا يدري ما يفعل ..
فلمحه الأمير سعود الفيصل وزير الخارجية وهو ذو علاقة ومعرفة عميقة بشيخنا ..

فسلم عليه وقال : هل تنتظر أحدا ؟؟
لاحظتك واقفا لوحدك؟؟
فقال شيخنا : سائقنا تأخر..
فنادى الأمير سعود الفيصل على سيارته الخاصة وأمر سائقه بتوصيل الشيخ فحمده شيخنا على ذلك وأكبرها منه ..
كنا في أغلب الأوقات نبقى في المسجد لاستماع الدروس والفتاوى ..
وهذا هو غالب أمرنا ..
وأما في الأوقات الأخرى فنجتمع بالشيخ في خيمة كبيرة عبارة عن مجلس للضيوف ويستقبل فيها الوفود الزائرة من داخل وخارج المملكة..
جاء رجل في تلك الأيام وزعم للشيخ أن المسالخ التابعة للبنك الإسلامي للتنمية في منى لا تقوم بنحر الإبل كما هي السنة وكذلك ذكر ملاحظات حول التذكية الشرعية للأغنام..
فلم يرد شيخنا أن يجيبه على زعمه حتى يتأكد مما نقله له..
فكلفني أنا وشخصين اثنين بالذهاب لزيارة المسالخ والإدارة المشرفة
للتأكد من صحة تلك المعلومات خاصة وأن البنك يشرف سنويا على مئات الألوف من الأضاحي والهدي ذبحا وتخزينا وتوزيعا حول العالم..
وصلنا للمسلخ بعد معاناة وبحثنا عن موقع نحر الإبل فقالوا لقد انتهوا من ذلك
فلما نتمكن من رؤيتها على الطبيعة ..
توجهنا للإدارة فأحالونا لشخص وقالوا : هو مدير هذا القسم ..
فدخلنا عليه مكتبه فاستقبلنا ببرود ولم يعرنا أي أهمية وكان يدخن بشراهة
طوال جلستنا معه..
شرحنا له هدفنا من الزيارة ومن كلفنا بذلك فازداد تجاهلا لنا!!
ولم يفدنا بشيء ولم يرد إعطائنا أي معلومات ..
فخرجنا من عنده وقد بلغ الحنق بالأخوين الآخرين مداه..
رجعنا للشيخ وشرحنا له ما حصل ..
فاسترجع وقال : خيرا إن شاء الله !!
في اليوم الثاني وهو الأول من أيام التشريق ..
زارنا في المخيم الدكتور محمد علي مدير عام البنك الإسلامي

بنفسه!!
وقدم اعتذاره للشيخ عما حصل ولا ادري كيف بلغه الموضوع..
وأصر على شيخنا أن يرافقه بنفسه للمسالخ لرؤية الموضوع علـى الطبيعة
والدكتور محمد علي رجل مؤدب ومتواضع وخلقـه وبشاشـته تأسـر القلوب
وهكذا كان!!
انطلقنا بسيارته وأصر على الشيخ أن يركب هو في الخلف وشيخنا بجوار
السائق وكانت لفتة كريمة منه ..
قبل دخولنا للمسالخ مر بنا الدكتور علـى مكـان الذبـح العـام حيـث يقوم الحجاج
بذبح هديهم وهذا خارج إشراف البنك ..
ويا للعجب!!
رأينا ذلك اليوم منظرا لا أنساه ما حييت ..
حيث تكدست عشرات الألوف من الأغنام المذبوحة على مد البصر والملقاة بعضها على بعض وقد تعفنـت وتجمعـت عليهـا الحشـرات وصدرت منها
روائح قاتلة ..
وكان غاية الدكتور أن يري الشـيخ دور البنـك فـي محاولـة القضـاء على تلك المشكلة
المزمنة ..
حيث رفع عن الناس حرجا شديدا واوجد لهم بديلا ملتزما بالضوابط الشرعية ويبرئ الذمة ..
قال لنا الشيخ ذلك اليوم : قبل سنوات بعيدة في شبابي
اشتريت أنا وعدد من الإخوة والأصحاب جملا لكي نهديه عنا جميع وكنا سبعة..
وكان عدد الأضاحي ليس بالكثرة الآن والحجاج اقل..
يقول شيخنا نظرا لوجود عدد كـبير مـن الفقـراء حولنـا وكـل واحـد منهم احضر
سكينه وساطوره بيده!!
فقد حاولنا الابتعاد عنهم حتى يسـهل علينـا النحـر والسـلخ وتقطيـع الذبيحة..
قال الشيخ : ما إن سقط جملنا حتى تساقط الناس علينـا مـن كـل

مكان
فقطعوا البعير وجزءوه في دقائق معدودة !!
أما الحال ألان فهذا الذي نراه والله مأساوي !!
تجولنا في المسالخ وتأكد الشيخ بنفسه مـن سـلامة طريقـة الذبـح والنحر وأن
العتب على الناقل سامحه الله..
ونحن نتجول في المسلخ جاءنا رجل وعيونه غارقة بالدموع ..
فتأملت وجهه فإذا هو صاحبنا الذي دخلنا عليه بالأمس وتجاهلنا
وقد كان كسيرا حزينا فسلم على شـيخنا واعتـذر منـه واعتـذر منـا جميعا
أخذه شيخنا على انفراد ..
وتحدث معه وابتسم في وجهه وتهلل وجه الرجل وضحك ..!!
وأخبرني الشيخ لا حقا انه نصحه بترك الدخان فوعده بذلك
ولعل الله تعالى عافاه..
مرت تلك الأيام بوتيرة واحدة ..
كنا نذهب لرمي الجمرات مشيا على الأقدام ..
حيث أن مخيمنا ليس ببعيد عنها..
وفي الطريق يجيب شيخنا عن أسئلة الناس ..
أذكر أننا في عودتنا ذات مرة من الرمي وكـان ذلـك قبـل الغـروب بدقائق..
وكـانت منـى شـبه خاليـة حيـث عجـل كـثير مـن الحجـاج كمـا هـي العادة..
فمررنا على رجال يشدون أمتعتهم على سياراتهم..
فلما رأى أحدهم شيخنا وكان في أعلى السيارة الجيب يربط متاعه
نادى على الشيخ مستفتيا ويشير بيده: ياشيخ محمد إحنا معجلين
ومثل ما ترى قد يؤذن علينا وما أكملنا متاعنا هل يجوز لنا التعجيـل ؟؟
فقال الشيخ : لا باس عليكم إن شاء الله ..
فهذا رجل استفتاه وهو على سيارته دون أن يتكلف عناء النزول!!
ولا أدري هل سألهم هل طافوا للوداع أم لا ؟؟
روى لي أحد الطلبة الثقات يقول : مرة كنـا نسـير مـع الشـيخ بعـد الصلاة
من مسجده لبيته .. فنادى رجل من سيارته على الشيخ :
ياشيخ محمد ياشيخ محمد أريد أن أسألكم ؟؟

فقال الشيخ له : تعال أنـت وسـأل فـالعلم يـؤتى إليـه وحـق عليـك إكرام العلم وأهله..
ولم يرد الرجل على الشيخ حياء من جوابه ..
ولكن شيخنا لمح في خلف سيارة الرجل عكازا فعرف أنه مبتلى..
فرجع للرجل ودنا منه واستمع لأسئلته حتى انتهى ..
لم نعجل كما هو المتبـع مـن شـيخنا فـي كـل عـام وخلـى المخيـم وحوله تقريبا
جاءنا ذلك اليوم ضيف كريم وهو الأمير ممدوح بن عبد العزيز وفقه الله
كنت أنه وهو مع الشيخ ثلاتنا لا رابع لنا في السـيارة وقـال لشـيخنا كلمة
أراد منها أن يشد من عضد الشـيخ قـال لـه فـي كلام طويـل أذكـر بعضه :
(ياشيخ محمد أنـت وشـيخنا ابـن بـاز أقـدما ولا تـترددا فـوا للـه إن إخوتي الكبار
مــن الملــك وإخــوانه الكــرام الآخريــن يقــولان دائمــا للــوزراء والمسئولين
أطيعوا العلماء ولا تعصوهم وخصوصا هذين العالمين الجليليـن ابـن باز والعثيمين
فنحن بالله قمنا ثم بهما !!)
جزى الله الأمير ممدوح خير الجزاء فهو صادق النصح إن شاء اللــه ولا يبتغي من
ذاك شيئا بارك الله فيه
شهدت منه موقفا أكبرته منه ..
حيث أذكر مرة أنه بعث رجلا لشيخنا يستفتيه في أمر وهو:
أن هناك مشروع يدر على الأمير مـدخولا كـبيرا ولكنـه يحتـاج لهـذا المشروع
لرخصة وكونه أميرا ومن أبناء الملك عبد العزيـز فلـن يعسـر عليـه الحصول على
تلك الرخصة .. ولكنه تحرج من ذلك خوفا من أن يجامل كونه أميرا !!
وهذا بلا شك سيكون!!
فقال شيخنا للوسيط : سلم على الأمير وبلغـه أن الـورع أن يـتركه والله يخلف

عليه بخير
فتركه رغم أن ربحه مضمون وأرباحه كبيرة للغاية والله يخلف عليه خيرا منه
في ماله وولده وأهله ..
زار الأمير ممدوح القصيم في سنة من السنوات
وكان في اغلب بقاءه في القصيم تلك الأيام يكون في عنيزة
إما في بيت الشيخ أو فـي جـامعه أو عنـد أحـد المضـيفين لـه مـن عنيزة..
طلب الأمير ممدوح من شيخنا أن يزور بيته الطين والذي حتى تلك السنوات
لم يهد وبقي شامخا فـي المكـان المعـروف ألان .. شـمال مسـجد الجعيفري
على شارع الشريمية ..
التقينا شيخنا والأمير وأنا وجمع من الإخوة أمام باب المنزل ضـحى ..
وفتح شيخنا باب بيته القديم ..
وأخذ يشرح لنا تفاصيل البيت وتقسيماته ..
حينما تـدخل مـن بـاب المنـزل تواجهـك سـاحة فـي وسـطها نخلـة طويلة ..
وعليها حبل للتسلق ..
وذكر الشيخ انه كـان يصـعد لأعلـى تلـك النخلـة فيلقحهـا أو يحصـد تمره
فقال لي الأمير مازحا: هل تستطيع الصعود لأعلاها يافلان؟؟
فحاولت الصعود وما عرفت طريقة شد الحبـل خلـف الظهـر وهـي تسهل كثير ا
الصعود..
فقام شيخنا بنفسـه وشـده وصـعد حـتى وصـل قريبـا مـن وسـطها ونزل..
صعدنا من الدرج ليرينا مكتبته ..
فدخلناها فإذا هي غرفة متوسطة الحجم وفيها رفوف قديمة وشـبه بالية
مكتوب عليها 1381 للهجرة ولعله تاريخ التركيب!!
وجدنا في زاويتها سلكا كهربائيـا قويـا قـد عقـف أعلاه علـى شـكل عصى

وهو متماسك ومغلف ببلاستيك اسود قال الشيخ : هذه عصاي كنت استعملها
وأنا أسير في الظلام إلى المسجد قبل انتشار الكهرباء..
فحملها الأمير وكانت ثقيلة ..
واستأذن من شيخنا أن يهبه إياها ففعل..
وكذلك رأى الأمير سجادة صلاة قديمة قد حفر مقدمها من اثر السجود عليه
فقال للشيخ : هل هذه سجادكم ؟؟
قال: نعم ..
فاستو هبه إياها ففعل!!
خشيت أن يستو هب الأمير الشيخ كل شيء فهمست في أذنه وقلت :
أريد دواليب الكتب إن كنت لست في حاجتها !!
فقال: هي بالية !!
فقلت : حتى!!
فوافق..
فنقلتها لبيتي واحتفظت بها سنوات عديدة حتى سرقت مني!!
ولقد أعطاني الشيخ بناء على طلبي عددا من عباءاته القديمة جدا وما زالت
عندي حتى الآن ..
واحتفظ بها للذكرى لا للتبرك أو شيء آخر والحمد لله ..

الحلقة السابعة والخمسون

رجعنا لبيت الشيخ إبراهيم في العزيزية بمكة شرفها الله بعد انتهاء المناسك
وكالعادة يشعر المرء بأثر الحج من جهد وكلل وإرهاق ..
خاصة أن شيخنا يبذل جهدا أكثر ممن سواه..
استرحنا قليلا يوما أو يومين ..
من عادة سماحة الشيخ بن باز رحمه الله في كل عام أن يقيم شبه احتفال للدعاة الذين شاركوا في برنامج التوعية في الحج بمناسبة انتهاء برنامج التوعية السنوي في الحج
ويحضر ذلك الاجتماع بالإضافة للدعاة نخبة من العلماء والمفكرين من العالم العربي والإسلامي ..

يتـم فـي ذلـك اللقـاء التعريـف بالمناشـط الـتي تمـت وذكـر بعـض الإيجابيات والسلبيات وطرح الأفكار الجديدة..
أذكر ذلك اليوم أن سماحة الشيخ بن بـاز رحمـه اللـه وشـيخنا ابـن عثيمين رحمه الله ..
والشيخ صالح الفوزان حفظه الله ..
كانوا متجاورين وعليهم أثر الجهد والتعب..
ولقد رأيت رؤوسهم ثلاثتهم تخفـق وتعلـوا مـن النعـاس عفـى اللـه عنهم..
وبهذا الاحتفال يكون ختام برنامج التوعية السنوي اسأل الله تعـالى أن يتقبل منا ومنهم والحمد لله ..
أوصلت شـيخنا لجـده ومنهـا سيواصـل علـى القصـيم أمـا أنـا فقـد رجعت لعائلتي
في الطائف لكي اقضي لديهم فترة نقاهة فقد كنت مصابا بالزكـام والحمى
الطائف جوه منعش وجميل طوال العام تقريبا ..
ففي الصيف حرارته معتدلة ولا تتجاوز حدود المعقول!!
كما في القصيم والرياض مثلا..
أما في الشتاء فإن برودته ليست بشديدة كبرودة أبها والباحة مثلا..
أذكر أنني قرأت في كتاب المطالعة في إحدى سني الدراسـة عـن عالم غربي
مر على الطائف فمدح مناخها وقال هو مـن أفضـل المناخـات فـي العالم!!!
ولا يظنن ظان أني أمتدحها لأننـي كنـت يومـا مـن أهلهـا أو عشـت سنواتي الأولى فيها .. !!
أنا أحكي شيئا معلوما ومعروفا للجميع ..
مكثت أياما قليلة في الطائف ثم رجعت للقصيم ..
وصلت لعنيزة ليلا..
حيث غبت عنها حوالي الشهر..
وكان السكن كئيبا بسبب قلة الحركة وشعرت بانقباض وضيق ..
وهذا شيء طـبيعي حيـث يشـعر الإنسـان بتلـك الآثـار بعـد الغيـاب الطويل
القصيم بالنسبة لي تلك الأيام هي مـوطني فقـد كنـت أتـم صـلاتي فيها وحينما كنت أذهب للطائف فأنا أعتبر نفسي غير مقيم ..فتحل لي رخص السفر

منذ اليوم الأول لدخولي لغرفتي فـي السـكن وأنـا اشـعر أن هنـاك اختلافا فيها؟؟
بلغت الشيخ بذلك .. فاستغرب وقال : لعلك واهم ؟؟
فتشت في أغراضي وأوراقي وأمتعتي وكتبي فاكتشفت التالي:
وجدت عددا من كتبي قد سرقت !!
وهي عبارة عن كتب صورتها من شيخنا وعليهـا تعليقـاته وحواشـيه بخط يده وهي كتب ثمينة جدا واحملهـا طـوال تلـك السـنوات فـي حلي وترحالي..
وكذلك فقدت عددا من أوراق الشخصـية وتزكيـات سـبق أن كتبهـا لي شيخنا في مناسبات معينة..
وكذلك افتقدت بعض الأمتعة المهداة أيضا من شيخنا!!
وكذلك افتقدت عددا من الرسائل التي كانت بيني وبين الشيخ ومم كان يكتبه الشيخ للوالد وأحتفظ بنسخ منها..
توجست في الموضوع وقلت فـي نفسـي: لا يملـك مفتـاح غرفـتي سوى أنا وشيخنا ورفيقي في السكن !!
ورفيقي رجل ثقة وهو الشيخ محبوب وما حاجته لمثل تلك الأغراض وما مصلحته من أخذها؟؟
ولم ابلغ شيخنا حتى تأكدت أنها سرقت !!
وعلمت من سرقها وشهد شاهد على ذلك لي..
أبلغت شيخنا بالحاصل ..
أذكر ملامح وجهه حينما أخبرته الخبر ..
لقد حزن وتأثر ابلغ تأثير ..واسترجع وكأنه عرف الفاعل فورا ؟؟
دعا بهذا الدعاء: اسأل الله تعالى أن يضيق صدره كما ضيق صدري حتى يرجع تلك الأشياء..
جميعكـم مـن خلال القـراءة السـابقة للحلقـات سـيعرف مـن هـو الفاعل؟؟
لقد أشترى الأستاذ أدوات لفتـح الأبـواب ودخـل غرفـتي فـي فـترة الحج وقلب كل حاجياتي ليبحث عن السحر المخفي في متاعي !!!
فلما لم يجد شيئا ولن يجده سوى في مخيلته المريضة التي أملاهـا عليه شياطين الجن والإنس عليه !!
حينما لم يجد شيئا سرق تلك الحاجيات !!
لما؟؟
لا أدري ..
ولكن التفسير الوحيد لذلك واضح وضوح الشمس لمن له عينان ..

استجاب الله لدعاء شيخنا فلقد بلغني المؤذن عن ذلك الرجـل انـه مرض وأصيب بصداع شديد فـي رأسـه وتغيـب عـن الـدرس فـترة طويلة ..
دعاني الشيخ يوما بعد الصلاة وسلمني كرتونا به جميع حاجياتي .. فبحثت فيها فوجدت جميع الأشياء المسروقة كاملة موجودة سـوى بعض الأوراق والخطابات وجدت صورها ولم أجد النسخ الأصلية استعادها لي شيخنا لاحقا وسلمها لي جزاه الله عني خير الجزاء..
أسمحوا لي أيها القراء الكرام أن أنقل لكم هذه الرسالة التي كتبها لي شيخنا رحمه الله .. واسترجعتها من يد ذلك المعتدي
وهي موجودة عندي ولعل في نشرها نفعا لمن تأمل وتدبر معانيه وقد ذكر شيخنا في الرسالة ذاتها سبب كتابتها ..

يقول شيخنا رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد الصالح العثيمين إلى الابن (....) حفظه الله تعالى
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فقد سألتني بارك الله فيك أن أضع لك منهجا تسير عليه في حياتك...
وإني لأسال الله تعالى أن يوفقنـا جميعـا لمـا فيـه الهـدى والرشـاد والصـواب والسـداد وأن يجعلنـا هـداة مهتـدين صـالحين مصـلحين فأقول:

أولا : مع الله عز وجل

1- احرص على أن تكون دائما مع الله عز وجل مستحضرا عظمتـه متفكرا فـي آيـاته الكونيـة مثـل خلـق السـموات والأرض ومـا أودع فيهما من بالغ حكمته وباهر قدرته وعظيم رحمته ومنته .
وآياته الشرعية التي بعث بها رسله ولا سيما خـاتمهم محمـد صـلى الله عليه وسلم.
2- أن يكون قلبك مملوءا بمحبة الله تعالى لما يغذوك به من النعم ويدفع عنك من النقم ولا سيما نعمة الإسلام والاستقامة عليه حـتى يكون أحب شيء إليك.
3- أن يكون قلبك مملوءا بتعظيم اللـه عـز وجـل حـتى يكـون فـي نفسك أعظم شيء..
وباجتماع محبة الله تعالى وتعظيمه في قلبك تستقيم علـى طـاعته قائما بما أمر به لمحبتك إياه تاركا لما نهى عنه لتعظيمك له.
4- أن تكون مخلصا له جل وعلا في عباداتك متوكلا عليه في جميـع أحوالك لتحقق بذلك مقام (إياك نعبد وإياك نستعين).

وتستحضر بقلبك أنك إنما تقوم بما أمر امتثالا لأمره وتترك ما نهى عنه امتثالا لنهيه فإنك بذلك تجد للعبادة طعما لا تدركه مع الغفلة وتجد في الأمور عونا منه لا يحصل لك مع الاعتماد على نفسك.

ثانيا : مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

1- أن تقدم محبته على محبة كل مخلوق وهديه وسنته على كل هدي وسنة .

2- أن تتخذه إماما لك في عباداتك وأخلاقك بحيث تستحضر عند فعل العبادة أنك متبع له وكأنه أمامك تترسم خطاه وتنهج نهجه.

وكذلك في مخالقة الناس أنك متخلق بأخلاقه التي قال الله عنها(وإنك لعلى خلق عظيم).

ومتى التزمت بهذا فستكون حريصا غاية الحرص على العلم بشريعته وأخلاقه.

3- أن تكون داعيا لسنته ناصرا لها مدافعا عنها فإن الله تعالى سينصرك بقدر نصرك لشريعته.

ثالثا : عملك اليومي غير المفروضات

1- إذا قمت من الليل فاذكر الله تعالى وادع الله بما شئت فإن الدعاء في هذا الموطن حري بالإجابة واقرأ قول الله تعالى(إن في خلق السموات والأرض) حتى تختم سورة آل عمران وهي عشر آيات.

2- صل ما كتب لك في آخر الليل واختم صلاتك بالوتر.

3- حافظ على ما تيسر لك من أذكار الصباح . قل مئة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

4- صل ركعتي الضحى.

5- حافظ على أذكار المساء ما تيسر لك منها.

رابعا: طريقة طلب العلم.

1- احرص على حفظ كتاب الله تعالى واجعل لك كل يوم شيئ معينا تحافظ على قراءته ولتكن قراءتك بتدبر وتفهم .

وإذا عنت لك فائدة أثناء القراءة فقيدها.

2- احرص على حفظ ما تيسر من صحيح سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ذلك حفظ عمدة الأحكام.

3-احرص على التركيز والثبات بحيث لا تأخذ العلم نتفا من هذا شيء ومن هذا شيء لأن هذا يضيع وقتك ويشتت ذهنك.

4- أبدا بصغار الكتب وتأملها جيـدا ثـم انتقـل إلـى مـا فوقهـا حـتى تحصل على العلم شيئا فشيئا على وجه يرسخ فـي قلبـك وتطمئـن إليه نفسك.
5- احرص على معرفة أصول المسائل وقواعدها وقيـد كـل شـيء يمر بك من هذا القبيل فقد قيل: من حرم الأصول حرم الوصول.
5- ناقش المسائل مع شيخك أو من تثق به علما ودينا مـن أقرانـك ولـو بـأن تقـدر فـي ذهنـك أن أحـدا يناقشـك فيهـا إذا لـم تمكـن المناقشة مع من سمينا.
هذا وأسـال اللـه تعـالى أن يعلمـك مـا ينفعـك وينفعـك بمـا علمـك ويزيدك علما ويجعلك من عباده الصالحين وحزبه المفلحين .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتبه محمد الصالح العثيمين في 3 رجب 1412 هـ
التوقيع.
رحمة الله على شيخنا وجزاه الله عني خير الجزاء

إن كلماته تلك تحمل في كلمة منها معاني سامية خرجت من قلـب رجل امتلأ علما وإيمانا وتقى احسبه كذلك والله حسيبه..

الحلقة الثامنة والخمسون

لا أرغب في الاسترسال حول التصرف الذي حدث من قبل صـاحبنا فبفضل المولى سبحانه منذ ذلك التصرف الأهوج الذي بدر منـه لـم أتلقى أي تصرفات أخرى ملموسة من قبله سواء بالكلام أو الفعل واللـه ربـي وربـه وحسـيبي وحسـيبه مطلـع علـى الخفايـا وعـالم بالسرائر..
ويبدوا أنه شعر بخيبة أمل كبيرة حيث لم يصل لمبتغاه بفضـل اللـه أول
ثم بفضل شيخنا الحصيف والعاقل والمؤمن والعالم الراسخ..
فأين تجد مثل هذا ؟؟
ذلك فضل الله..
توقف النزاع والخصام ولعله إلى الأبد والحمد لله ..
وأؤكد للجميع أنني لم أسعى وأهتم بذكر هذا الرجل بعينه بسوء!!
أمام أحد من الناس كائنا من كان ..
مقابلة لجرمه بحقي وكذبه علي ..

ولو أنني أذكر أعماله وتصرفاته فليست سوى للعبرة ..
والله يهدينا ويهديه لصراطه المستقيم ..
حينما كتبت بالأمس تلك النصيحة التي وجهها شيخنا لي ..
تذكرت أنني قرأتها في تلك الأيام ولا شك أنني استفدت منها ..
وحرصت على العمل بها بقدر ما آتاني الله من بصيرة ..!!
ولكنها اليوم ذات طعم خاص ومذاق مختلف..
منذ فترة بعيدة جدا لم أقرأها ولعل هذا من حسنات هذه المقالة أن جعلتني أتذكر تلك الوديعة الثمينة..
قرأتها بالأمس قراءة تمحيص وتدقيق..
تأملت حروفها .. حيث كتبها بيده وبخطه الجميل..
شممت عطرها الزكي.. على ذلك الورق المتواضع ..
أصغيت لها فتردد في سمعي رنينها العذب...
و ضعتها على صدري فامتزجت همساتها في الفؤاد ..
تذكرت الوقت الثمين الذي قضاه في تدوينها..
تذكرت كم أنه تأمل وفكر فيما هو يصلح حالي في ديني ودنياي فرقمه..
تذكرت يده حينما قبضت على القلم وأخذت تخط تلك الكلمات الصادقة..
تذكرت كيف كان قلبه في تلك اللحظات ينبض بالرحمة والشفقة علي..
خرجت بأمر واضح كالشمس:
أيقنت أنها صدرت من قلب كبير..
رحمك الله يا أبا عبد الله ..
رضي الله عنك ياشيخنا محمد..
فوا لله ما قدرتك حق قدرك وما أوفيتك الوفاء الجميل..
والله لو كان لي سبيل إليك لرأيت مني غير ما رأيت ..
ووالله ياوالدي لو تمكنت من رؤيتك والاجتماع بك
لتعبدت ربي سبحانه أن أكون خادمك المطيع حتى الممات..
أنت والدي فعلت بي ما يفعله الوالد بولده وأكثر..
كم مرة سمعت أبي أحمد رحمه الله يقول لي بحضور شيخنا:
هذا والدك دوني !!
قلت له : مه !!
فقال: لقد قدم لك كيت وكيت وفعل لك كذا وكذا..
إن للأمة حق على هذا الرجل حق عام!!

أما أنا وغيري فعلينا له حق خاص..
يجب علينا أن ندفعه له حتى الممات..
أقله الدعاء وهو من الوفاء له ..
ونشر علمه ..
وتعريف الناس بفضائله وهذا الـذي سـماه خليـل الرحمـن إبراهيـم عليه الصلاة والسلام(واجعل لي لسان صدق في الآخرين)
وهاأنذا أحكي بعض جميله ..
كنت في تلك الأيام رغم بري به والحمد لله والجميع يعرف ذلك
قليل الإدراك وهكذا المرء في فتوته وشبابه ..
قد يدرك ولا يدرك ..!!
يرى الأمور ويبصرها ولكن لا يفهـم معانيهـا ومضـامينها وروحهـا إلا، لاحقا..
لا يقرأ بين السطور..
وبالأحرى لا يملك آليات تلك القراءة !!
وهذه هي البصيرة الحقة..
أي منا لم تسـهر والـدته يومـا بجـواره وهـو صـغير حينمـا يئـن مـن المرض ؟؟
أي منا لم يرى كم كان والده يخرج بـاكرا مـن منزلهـم ويعـود فـي المساء وقد بلغ به الإعياء والتعب مبلغه..
كنا نرى تلك التصرفات ولكننا لا ندرك جوهرها ولا عمقها..
إنه الحنان ..
إنها الرحمة ..
والمحبة والشفقة والفداء والتضحية ..
وكل المعاني السامية تنبعث من تلك التصرفات جملة واحدة..
تلك المعاني تكتشفها للأسف لاحقا ..
بعد سنوات طويلة ..
وغالبا بعد رحيلهم..
فتبقى في القلب حسرات وآهات ..
وأقول : يا إخوتي وأخواتي
من وفقـه اللـه فأبصـر الحقيقـة وعلـم ذلـك علـم اليقيـن ومـا زال صاحب الفضل
حوله وقريبا منه..
فهذا والله المحظوظ فلا تفلت منه الفرصة..
فدونه الجنة فهي أقرب له من شراك نعله..!!

بعد موت والدي عليه رحمة الله ..
بشهر تقريبا كنت أسير بسيارتي بين الطائف والرياض..
وكنت حينها لم أستيقظ بعد من هول الصدمة بفقدانه..
كنت أقود السيارة وارى الطريق أمامي ولكـن قلـبي وعقلـي معـه رحمه الله
يسترجع شريط الذكريات الطويل ..
من الذكريات المحزنة..
وحصل ذلك قبل أسبوع من موته رحمه الله..
حيث أنني أثقلت عليه في موضوع ما!!
وأذكر أنه اتصل علي وعاتبني على ذلك..
حيث وقف ساعات وعانى من هذا الأمر ..
وكان ذلك على غير قصد مني..
ومع ذلك فإنني شعرت بألم في قلبي وحزن
فأوقفت سيارتي وبكيت حتى كدت افقد وعيي من البكاء والله ..
رحمهم الله ورضي عنهم وجمعنا وإياهم في مقعد صدق عند مليـك مقتدر
مـرت الأيـام والسـاعات وتـوالت الليـالي والحمـد للـه اسـتزدت تحصيلا..
من رعايته رحمه الله بي حيث درسنا في تلك الأيام مادة المواريث
وهذه المادة من أصعب علوم الفقه كما هو معلوم..
فكان شيخنا يهون علي المر ويقول : هي سهلة جدا!!
أذكر مرة أنني حضرت في مدينة الطائف درسا في علم المـواريث (الفرائض)
عند الشيخ علي بن محمل العتيبي وهو قاضي متقاعد من المحكمة
والشيخ علي متقن للغاية لهذا الفن..
حينما استمعت لكلامه طوال ساعة وأزيد
لم أستطع فهم كلمة واحدة ..وأغلق علـي وعسـر ذلـك العلـم مـن ذلك الدرس
فخرجت وأنا مصدوم من هذا العلم المعقد للغاية..
ولكن شيخنا رحمه الله كما هي قاعدته (الكيف لا الكم)..
جرد لي هذا العلم من كل تلك العقبات فصار ميسرا وسهل التناول بحمد الله تعالى..
فكنت ادرس عنده في الليل مع الطلاب .. وفي الطريق لبيته يملي علي المسائل

ويختبرني ويكلفني بالبحوث حتى أدركته جميعا..
ومـا زلـت حـتى الآن أحتفـظ بتلـك الواجبـات وعليهـا تصـحيحاته وتعليقاته
بالقلم الأحمر..
علمت أن شيخنا يعاني من قضية المساعدات التي يقـدمها للنـاس حيث يأخذ ترتيب تلك الأمور وتدوينها وجردها وقتا ثمينا منه..
فعرضت عليه أن أساعده في ذلك..
وأراد مرة أن يختبر جديتي في الموضوع!!
حيث اتصل علي شيخنا ذات يوم في السكن..
وقال لي : أريدك تحضر للبيت احتاجك في أمر..
فوصلت لبيته فخرج إلي وفي يده كيس ..وقال:
هذه النقود تذهب بها للبنك وتودعها في حساب الزكاة..
ولم يكن المبلغ كبيرا ولكنني لم احمل مثله من قبل!!
ذهبت للبنك مرورا بالبيوت الطينيـة الواقعـة بيـن شـارع الشـريمية والبنك في شارع الضليعة..
كانت الشوارع والأزقة خالية من الناس والمارة..
فكنـت اسـتعجل الخطـى حـتى أمـر مـن تلـك الـدور المهجـورة والمخيفة..
دفعت للبنك ذلك المبلغ ..
ومنذ ذلك اليوم ولسنوات صرت احمـل نقـود الزكـوات والصـدقات وغيره
من البنك للشيخ والعكس..
ولقد كانت تبلغ المبالغ أحيانا أرقاما كبيرة ومخيفة ..
ومع ذلك فلم يحصل أي حادث يـذكر سـوى موقـف وحيـد وتـافه لا يستحق الذكر!!
في تلك الأيام حدثت حادثة غريبة لي ..

الحلقة التاسعة والخمسون

شعرت في تلك الأيام بألم شديد في الجزء الأيسر من رأسي..
ظننته صداعا عابرا ..فاستعملت المهدئات..
ولكن الألم استمر وزاد حتى صار عذابا لا يطاق..
توجهت لقسم الطوارئ في مستشفى الملك سعود..
قال لي الطبيب: يجب أن تنوم في المستشفى لنرى ما القصة؟؟
لا أشك أنه قد ظن أن في الأمر شيئا خطيرا فقرر تنويمي..

اتصلت على شيخنا وبلغته بالحاصل..
فقلـق علـي رحمـه اللـه واتصـل علـى المشـرف العـام ليسـتبين الموضوع..
وضعت في غرفة جميلة وهادئة وكنت فيها وحيدا ..
وهذه من جمائل الدكتور عبد الله البداح المشرف العام..
بعد صلاة العصر.. جاءني في المستشفى للزيارة شيخنا رحمه الله ومعه جمع كبير من الطلاب ..
لم أكن اشعر بشيء خطير سوى تلك الآلام التي تأتي ثم تروح ..
ولم يكن يوقفها سوى المهدئات والمسكنات والتي سيكون لها آثـار جانبية في
المستقبل كما سترون..!!
إن مجرد رؤية هذا الرجـل الشـهم والعـالم الجليـل وهـؤلاء الكـرام حوله
من طلبته الأخيار ..
أشعرني بالفخر والشرف أن أنتسب لتلك الطائفة الصـالحة رضـي الله عنهم
زارني المشرف العام مـرارا ومعـه المـدير الطـبي ورئيـس شـئون المرضى
وفي بعض الأحيان عدة مرات يوميا جزاهم الله خيرا..
كثرت علي التحاليل والأشعة حتى أيقنت أن في الأمر شيئا ما !!
قلت في نفسـي: أخـي الكـبير محمـد رحمـه اللـه سـبق وأن مـات بسرطان في دماغه
فهل ياترى توارث المرض لي؟؟
كنت كلما تـذكرت العـذاب الـذي وجـده والـداي ونحـن الأبنـاء مـن مرض أخين
الكبير محمد أصاب بالقلق والخوف..
ماذا لو تكرر الموضوع؟؟
أخي محمد رحمـه اللـه لـه قصـة أسـتميح القـراء فـي روايتهـا وإن طالت ..
هذا الشاب الذي اذكر عنه أشياء بسيطة ،توفي رحمه الله وأنـا مـا زلت في سن
السابعة أو قريبا منها..
وذلك في سنة 1402 للهجرة ..
حيث شعر بـآلام شـديدة فـي رأسـه .. وتعـب الأطبـاء وعـانوا فـي

اكتشاف
سبب ذلك .. فقائل : هو ورم غير مرئي!!
وقائل : هو مرض نفسي ..
وقائل:هو دلع وتدلل صبياني!!
نقل على أثرها إلى الرياض لمستشفى الملك فيصل التخصصي ..
وهناك شخص المرض بأنه ورم خبيث في الدماغ..
أستأصل الأطباء الورم وادعوا نجاح العملية ..
ولكن الآلام لم تتوقف .. يئس الوالد رحمه الله من ذلك المستشفى
ونقله لمستشفى عرفان في جده
واستعملوا الإبر الصينية معه وأنفق مبالغ طائلة وبلا طائل!!
لم يسمع أبي بطبيب في شرق المملكة أو غربها أو قريبها وأقصاها إلا وذهب إليه وتعب هو وشقي كما شقي أخي محمد أو كاد..
أستعمل الأدوية الشعبية والكوي..
أذكر مرة أنهم كووه المسكين حتى سمعت صراخه وأنينه ونحن في السيارة
وكنا نبكي لبكائه رحمه الله ..
أما الوالدة فلا تسل عن حالها ولا عن كربها خلف الله عليها خيرا..
كنا نتقل بين مدن المملكة لعلاج أخينا أينما حل فقد كنا صغارا ولا راعي لنا بعد الله سواه..
أشار على الوالد عدد من أصحابه أن يعالجه في الخارج..
فتردد الوالد ولكنه أخيرا عزم ولكن أين وكيف وكم؟؟؟؟
جمع الوالد مبلغا وفيرا من المال وأظنه استدان جزءا منه ..
وسافر بأخي والوالدة واثنين من إخوتي الصغار لأمريكا ..
إلى مدينة هيوستن بولاية تكساس(ولا أدري هل نطقتها صحيحة)..
بقي أخي محمد لشهرين تقريبا مدركا لما يجري حتى دخل في غيبوبة ..
لم يستيقظ منها أبدا..
قرر الأطباء أن الوقت تأخر كثيرا !!
وقالوا للوالد : لو أتيت به مبكرا لأمكن استئصال الورم ولكنه الآن انتشر في دماغه ولو حاولنا إزالته فنجاح العملية فقط 1% (واحد في المائة)!!
ولك القرار؟؟
احتار الوالد ماذا يفعل واستخار ربه وأخيرا قرر أن لا يجري له

العملية
فهي مخاطرة كبيرة وموت ابنـه فـي بلـده وبيـن أهلـه أهـون علـى نفسه من موته في أمريكا ..
وسلم أمره لله تعالى..
طالب المستشفى الوالد بتسديد ما بقي عليه من مبالغ متأخرة..
فأخبرهم أن ما لديه لا يغطي مصاريفهم ومصاريف السفر..
فقالوا له : أدفع مبالغنا المتبقية ولا يعنينا كيـف ترجـع لبلـدكم هـذه مشكلتك.!!
اتصل الوالد على عدد من شركات الطيران لكي يرتب للعودة..
وجميعها رفض أن يوافق على النقل بسبب خوفهم من مـوت أخـي وهم في
السماء!!
قال لهم الوالد: أنا اكتب لكم إقرارا أنكم لا تتحملـون أي مسـئولية عن ذلك وتقع
كل المسئولية علي إن مات.. فأبوا وأصروا على الرفض!!
خوفا على سمعة شركاتهم..
تقول الوالدة : أخذت الحيرة بابيك ولم يدر ما يفعل..
كانت هناك مترجمـة لبنانيـة وعملهـا الأصـلي التمريـض فـي نفـس المستشفى ..
قالت لأبي : يا أخ أحمد يوجد أميـر مـن العائلـة المالكـة السـعودية يتعالج
في القسم الذي تحتنا مباشرة ..فلماذا لا تذهب لتتحـدث معـه عـن مشكلتك!!
توجه والدي دون أن يرد عليها فورا إلى القسم المذكور ..
وبحث عن أناس بسـحنات عربيـة .. فوجـد مجموعـة مـن الشـباب ومعهم رجل كبير في السن ويظهر عليه أنه ذو غناء وسلطة !!
سلم عليهم الوالد فردوا التحية وخصوصا ذلك الكبير منهـم ورحبـوا به ترحيبا كبيرا ..
وزاد سرورهم حينما علموا أنه من المملكة ومن أبناء بلدهم..
واستفسروا عن سبب وجوده ؟؟
فقال لهم : لأجل هذا جئتكم.. !!
وروى لهـم حـال الأخ محمـد ووضـعه مـع المستشـفى وشـركات الطيران..
فقال له الأمير: هون عليك يا أخي واعتـبر الموضـوع منتهـي وجهـز

حقائبك للسفر غدا..
أي تيسير من الله تعالى هذا التيسير ؟؟
الحمد لله على نعمه..
سدد الأميـر كـل رسـوم المستشـفى وتكفـل لهـم بطـائرة تنقلهـم مباشرة إلى الرياض..
جزاه الله خيرا ..
بخصوص اسم الأمير ذاك فإن كنت اذكر قال لي الوالد رحمـه اللـه أن اسمه :
محمد بن سعود الكبير فجزاه الله خيرا إن كان هو أو غيره !!
بقي أخي في الرياض لأسبوع واحـد ثـم نقـل للطـائف لمستشـفى القوات المسلحة في الهدى..
وفي صبيحة يوم خميس بعد أسبوع تقريبا من وصوله للطائف..
تقول أمي: كان أخوك ينظر إلى ما حوله دون أن يتكلم ..
فهو لا يشعر بمن حوله ولكنه يشير بأصبعه أحيانا..
في تلك اللحظات وحوالي الساعة التاسعة صباحا ..
جرك إصبعه وأشار إليها فنظرت في وجهه ..
فرأت اختلافا في ملامح وجهه ..
وكأنه يريد أن يقول لها شيئا ولكنه عاجز عن الكلام ..
قالت له : يامحمد ياقرة عيني ماذا تريد ياوالدي ؟؟
خرجت من عينيه دموع بسيطة ولكنها ذات معنى..
قبضت على يده وبقيت ترقب نبضه فقد كان يضعف ويضعف..
حتى فاضت روحه عليه رحمة الله وأسكنه جنات النعيم..
دار في مخيلتي وأنا في عنيزة تلك القصة وتلك المعاناة
هل ستتكرر معي..
دخـل علـي المشـرف العـام علـى المستشـفى ومعـه شـخص أو شخصين..
وطلبوا رقم شيخنا وكأنهم يريدون تبليغي بأمر والشيخ يسمع!!
قال له الدكتور عبد الله : ياشيخنا الفاضل فلان يجب نقلـه بطـائرة الإخلاء إلى الرياض فورا !!
قال شيخنا: هل حالته تستلزم ذلك ؟؟
قال : نعم ، فقد ظهر لنا من خلال الأشعة وجود ورم في رأسه !!
كان الوالد والوالدة والعائلة تتصل علي يوميا للتابع الأخبار..
حينما أبلغت الوالد أنهم سينقلونني بطائرة الإخلاء..
طلب مني الانتظار حتى يقدم ..

وصلت طائرة الإخلاء والوالد معا في نفس الوقت..
نقلت بالإسعاف للمستشفى العسكري في الرياض..
لم أكن أشعر بآلام تلك الأيام ولكـن يبقـى رأي الأطبـاء هـو الحكـم هنا..
رجوت الوالد أن يرجع للطائف فقد كنـت أعلـم المعانـاة والمشـقة عليه في بقاءه معي
وترك عمله وعائلته خلفه ..
أستفسر من الأطباء عن وضعي فقالوا لـه : الموضـوع هـو اشـتباه واطمئن ولا تقلق..
رافقني أحد زملائي وهو الأخ سعود الحربـي وأنعـم بـه وأكـرم مـن أنيس ومعين..
كان يخدمني في تلك الأيام محتسبا جزاه الله عني خير الجزاء..
رغم أني أستطيع السير والتنقل ..
كان بجواري شاب مصاب بشلل نصفي مؤقت..
أصيب به في أمريكا وعاد للملكة للعلاج..
كان شيخنا رحمه الله يتصل علي فـي اليـوم عـدة مـرات ليطمئـن علي ويسمع
المستجدات..
سمعني ذلك الشاب وأنا أذكر اسم شيخنا فرجاني أن يكلـم الشـيخ ولو لكلمتين إن
اتصل علي مرة أخرى، وهذا ما حصل..
قال لي: هل هو والدك؟؟
قلت : نعم أنا لي والدين اثنين !!
والد بالنسب والدم .. ووالد بالبر والرحمة وكلاهما عزيز على قلبي ولهما حق الأبوة علي..
رحمهما الله وأسكنهما الفردوس الأعلى ..
مكثت في المستشفى لأسبوعين اثنين ..
وكانت النتائج والحمد لله أنه مجرد اشـتباه والـورم هـو انتفـاخ فـي أوعية الدماغ ..
والآلام التي كنت أشعر بها هي مرض وصداع يسمى طبيـا الصـداع النصفي وتسميه العرب الشقيقة ..

الحلقة الستون

حينما رجعت لعنيزة ..
استفسر شيخنا رحمه الله مني عن طبيعة الألم الذي أشعر به..
فشرحت له وفصلت فقال لي : مرني اليوم بعد صلاة العصر في المنزل..
وكان والدي قد قدم لعنيزة مرة أخرى للاطمئنان علي..
وكانت ضيافته طوال بقائه هناك في عنيزة في منزل شيخنا عليه رحمة الله..
ونشأت بينه وبين شيخنا محمد علاقة حميمة مليئة بالاحترام والتبجيل..
والدي رحمه الله رجل حيي وخجول ولكنه إن نطق فلسانه عذب ولبق رحمه الله..
ولقد أعجب شيخنا به وبأخلاقه وبساطته في هيئته ولباسه وذكر ذلك لي عنه
وكأنه وشيخنا في هذا الخصوص صنعا من طينة واحدة!!
كما تقول العامة عندنا..
مررت أنا والوالد على شيخنا بعد العصر فناولني كيسا في يده وكان يتلفت حوله وكأنه يستعجلنا بالذهاب وهذا ماكان..
فتشت الكيس فوجدت فيه بقايا طعام !!
من عظم وبقايا بطيخ مأكول ونحو ذلك!!
لحقنا الشيخ للسيارة وقال لي : أخلط بقايا الطعام في ماء واغتسل به واغسل به رأسك على الخصوص!!
وهذا ما فعلته ولم أسأله لمن ذلك الطعام ولا أدري هو لمن حتى هذه الساعة..
كلفني شيخنا رحمه الله في تلك الأيام بعد اعتدال صحتي والحمد لله ..
بترتيب مخزن المكتبة الوطنية ..
وقال لي: إن وجدت كتابا مكررا فخذ نسخة منها لك..
فتحت المخزن فوجدت الأرضة قد أكلت جزءا لا يستهان به..
استعنت بعمال المسجد ونظفنا الكتب ووضعناها على الرفوف ..
وألقينا بالتالف جدا والأوساخ خارج المخزن..
حصلت على عدد لا بأس به من الكتب المكررة وكذلك أخذت بعض الكتب بإذن شيخنا..
وأنا أقلب في تلك الكتب كان يلفت نظري تعليقات ورسائل قليلة أجدها موضوعة بين دفتي الكتب..

قرأتها وكان غالبها بخط الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله..
ومؤرخة ..وتاريخها قديم يتجاوز الخمسين سنة وأكثر..
والظاهر أن مكتبة الشيخ ابن سعدي أوقفت أو أنه أهدى شيئا من كتبه للمكتبة العامة والمسماة (مكتبة عنيزة الوطنية)
وجدت كتيبا اسمه (صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم)تأليف أبو عبدالرحمن ناصر الدين نوح نجاتي الألباني الساعاتي!!
عرفت أنه كتاب صفة الصلاة المشهور والذي كتبه علامة الحديث الشيخ الألباني رحمه الله .. وهذه هي الطبعة الأولى وكتب عليها الشيخ الألباني وبخط يده (هدية المؤلف إلى حضرة الشيخ عبد الرحمن ابن ناصر السعدي 7/12/72هـ ناصر الدين نوح نجاتي الألباني) ..
الشيخ الألباني علم الحديث وشيخ العصر في ذلك ..
وليس مثلي من يثني عليه أو يسأل عنه .. رحمه الله
قرأت مرة كتابا منذ مدة ألفه الأستاذ الأديب عبد الله بن خميس يروي فيه إحدى رحلاته للشام قبل حوالي الخمسين سنة وكان برفقته علامة الأنساب والأدب وصديقه الحميم الشيخ حمد الجاسر رحمه الله ..
وأظن أن ثالثهما هو الأديب عبد الكريم الجهيمان ..
ذكر في كتابه أنه زار المكتبة الظاهرية في دمشق ..
و ذكر أنه شاهد هناك رجلا منهمكا في البحث والمطالعة وذكر اسمه وقال كلاما بمعناه :ذلك هو علامة الشام المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .
وكذلك قرأت للشيخ حمد الجاسر قريبا من هذا الكلام في مذكراته وقال عنه:
هو من أحلاس المكتبة الظاهرية..
كان مرة بيني وبين الشيخ علي الحلبي تلميذ الألباني المشهور اتصال ونقاش حول بعض التخريجات الحديثية..
وكنت أشعر في نفسي أن هناك جفوة غير مفهومة بين شيخنا والشيخ الألباني والظاهر أن سببها هو ما يثيره بعض المفسدين في الأرض بين الشيخين ..
مما سبب شيئا من تلك الجفوة وانقطاع التواصل..
ولا يأتيني قائل ويزعم أنني أختلق الموضوع من طرفي ..
فمن عاصر قضية حرب الخليج وما حصل فيها من اختلاف وشقاق وجفاء بين رجالات الصحوة والعلم ،فهم ما أعنيه جيدا!!

قلت للشيخ علـي: مـا رأيـك أن نرتـب مكالمـة هاتفيـة بيـن شـيخنا محمد والشيخ الألباني ..؟؟
ففرح بذلك وأثنى على الفكرة وأيدها وقال سوف أرتب مع الشـيخ الألباني وأنت رتب مع الشيخ محمد وسنرى ما يكون..
عرضت الأمر على الشيخ فقـال فـورا : لا بـأس بـذلك وأثنـى علـى الفكرة ورغب في ذلك.. وذكر لي أنه لم يراه من مدة بعيدة حيـث كان آخر لقاء بينهما في جده أو قال في مكة.. (نسيت التاريـخ) و ذكر أنه تناقش معه حول موضوع الحجاب ..
ومن طرف الحلبي فقد كان التجاوب مماثلا والحمد لله..
حددنا الاتصال أن يكون في يوم من الأيام الساعة العاشـرة صـباحا ضحى ..
ولا أذكر التاريخ بالتحديد.. وأظنه كان يوم جمعة !!
حيـث مـن عـادة شـيخنا فـي ذلـك اليـوم الاتصـال علـى أقربـائه والتواصل معهم..
قلت لشيخنا : هل تسمح لي بتسجيل مكالمتكما ؟؟
قال: لا بأس بذلك..
حضرت لبيته وثبت له جهاز التسجيل وأخبرته كيف يديره ..
في اليوم الثاني بعد صلاة الظهـر نـاولني شـريطا وقـال : هـذا هـو تسجيل المكالمة ..
توجهت للغرفة مسرعا واستمعت للشريط..
كان التسجيل رديئا وصوت الشيخ الألباني خافتا نوعا ما ..
ولكنني استوعبت كل ما فيه ..
أستفتح شيخنا كلامه وهو المتصل بعد السلام عليه قائلا له :
معكم أخوكم محمد بن صالح العثيمين ..
فرد عليه الألباني: قديما قال الفقهاء : المعرف لا يعرف ..
وفيه من التحية والسلام والـدعاء والنصـح بيـن العلمـاء كمـا عهـدنا فيهم ذلك وهو ظننا في مشائخنا جزاهم الله عنا خير الجزاء..
تحدث كل منهما عن نشاطه وقال الألباني: لدينا الحمد للـه صـحوة سلفية وإقبال على طلب علم الحديث .. الخ كلامه
وتكلم شيخنا عن دروسه وقال : أدرس كتاب البلوغ ويحضره بحمد الله عدد كبير .. الخ كلامه ..
ذكر الشيخ الألباني في آخر مكالمته أنه اتصل عليـه اليـوم شـخص وزعم أن لديه
رسالة من الشيخ ابن عثيمين موجهة إليه !!

فقال الشيخ محمد : أبدا والله أنا لم أبعث أحدا برسالة لكم؟؟
فتعجب الشيخ الألباني من ذلك وقال : الله أكبر عليه!!
سوف أراه اليوم بعد صلاة الظهر أو قال الجمعة فـي جـامع صـلاح الدين وأرى ما عنده!!
قال شيخنا : ما أكثر ما ينقـل النـاس عنـي الكـذب ويلبسـونه علـى الناس ، وأرجو منك تتصل علي وتخبرني ما يقوله الرجل عني..
واتفقا على ذلك .. ولا أدري مالذي حصل بعد ذلـك وهـل جـاء ذلـك الرجل برسالته المزعومة للشيخ الألباني أم لا !!
وانظر أخي القارئ أختي القارئة لحفظ الله تعالى لهـذين الرجليـن الصالحين
فلربما كان في تلك الرسالة شـرا وفتنـة حيكـت بينهمـا فقـدر اللـه تعالى كشف ذلك
بتوفيق من عنده .. والله أعلم وأحكم سبحانه ..
ليس هذا هو الموقف الوحيد الذي أحتفـظ بـه بيـن هـذين العلميـن الجليلين ..
كنت مرة في جبال البوسنة والهرسك وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله ..
التقيت برجل أسمر البشرة يكني نفسه بابي عبد اللـه الليـبي هـذا الرجل أسد في
شجاعته وإقدامه وكان أميرا مـن أمـراء المجاهـدين قتـل علـى يـد قناص صربي شل الله يده ..
روى لي الأخ أبو عبد الله رحمه الله قال: هل تعرف الشيخ الألباني ؟؟
قلت له : ومن لا يعرف الألباني هو علم ومشهور..
قال : أريدك أن تحمل له هذه الرسالة !!
قلت له : وأي رسالة ؟؟
قال : رؤيا رآها أحد الصالحين وطلب مني أن أنقلها للشيخ وأنا كما ترى عاجز وقد أقتل في أي لحظة!!
قلت له :حدثني..
قال : كان هناك شاب مصري اسمه وحي الدين حافظا لكتاب اللـه تعالى وكان أميرا على جميع المقاتلين العـرب فـي البوسـنة وكـان غاية في الشجاعة رغم صغر سنه فقد قتل غدرا وعمره حوالي 23 سنة رحمه الله ..
كان وحي الدين هذا محنكا وداهية وكان يوجه المجموعات الكـبيرة

ويخرجها من بين المصاعب المهلكة بتوفيق الله تعالى..
ذات مـرة قادنـا وحـي الـدين وكـان أميـرا علينـا وعلـى الجيـش البوسنوي معا في تلك
العملية التي انتزعت فيها مناطق شاسعة في وسـط البوسـنة مـن يد الكروات الخونة..
يقول أبو عبد الله : في تلك العمليـة قصـفتنا مدفعيـة ولا نـدري مـا هي الجهة التي تقصفنا فاحتار الجنود مـن ذلـك وكـثر فينـا الإثخـان والقتل فاكتشفنا أن الذي يقصفنا هو الجيش البوسنوي خطأ!!
وسبب ذلك عدم توفر أجهزة للتوجيه وتحديد مواقع الأعداء ..
واستمر القصف علينا ولم نستطع التقدم لمطاردة الأعداء الهاربين ..
عندها أمر وحي الدين الجنود بإحراق كومات كبيرة مـن الحشـائش ..
فانتشرت كومة كبيرة من الدخان واتصل على الجيش وقـال لهـم: نحن خلف
تلك الكومة المحترقة وبهذا نجونا من موت محقق !!
يقول أبو عبد الله : روى له ذلك الشاب وحي الـدين أنـه فـي ليلـة من الليالي وقبل قتله من قبل الكروات بفترة وجيـزة رأى فـي مـا يرى النائم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بصـفته الشـرعية المعروفة ..
وتحدث معه في أمور وسأله عن أشياء وفي نهاية رؤيـاه قـال لـه : يارسول الله
دلني على رجل أتعلم منه حديثك وسننك أو بهذا المعنى ..
فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : أذهـب إلـى محمـد ناصـر الدين الألباني
أو قال له : عليك بكتب محمد ناصر الـدين الألبـاني .. وأثنـى عليـه وعلى علمه ودينه..
عندما رجعت للمملكة ..
حكيـت لشـيخنا مـا رآه ذلـك الشـاب رحمـه اللـه وكنـا حينهـا فـي الطائف..
فقال لي الشيخ : هذي بشرى وينبغي عليك أن تبلغهـا الأخ الألبـاني ..
فقلت له : لدي رقمه !!
فناولني التلفون وقال : اتصل عليه الآن ..

اتصـلت فـردت عليـه امـرأة فرجوتهـا أن تعطينـي الشـيخ لأتحـدث معه..
فاعتذرت من ذلك وقـالت : الشـيخ مريـض ولا يسـتطيع أن يجيـب على أحد..
بعد سنة أو أكثر رويت تلك الرؤيا لأحد طلبة العلم من الأردن يقول : ولقد
بلغ بها الشيخ الألباني في جمع من الناس فتأثر جـدا وشـهق وبكـى ودع
لشيخنا وتأثر من موقفه وحرصه على أن ابلغه ..
ففرحت أنني أوصلت تلك الأمانة ولو بعد سنوات ..
وبلغته البشرى والله يغفر له ويرحمه هو وشيخنا وجميع علمائنا ..

الحلقة الواحدة والستون

علي ذكر المكتبة اتصل علي شيخنا رحمه الله يوما وقال:
سيأتيك أحد الأكاديميين ويريد تصوير بعض المخطوطات ..
حيث تحتوي المكتبة على خزانة بها عدد بسـيط مـن المخطوطـات القديمة وبعضها
كتبت منذ ثمانية قرون..
وقد سبق وقمت بفرزها وترتيبها وفهرستها بأمر شيخنا رحمه الله..
عجيب أمر المخطوطات!!
ما زلت أتذكر أنني كنت أجلس في جـوف الليـالي الهادئـة والنـاس نيام
والشوارع ساكنة ..
كنت أشعل ضوء المكتبة الخافت وأجلس أتصفح تلك المخطوطات فأشعر بسكينة عجيبة حيث أنني أنتقل لخمسة قرون خلت أو أكـثر وأجلس مع ذلك الشيخ أو ذلك الطالب الذي حنى ظهره وكلت يده في شدة الحر والجوع والمخمصة وهو يدون تلـك التحفـة العظيمـة ..
لا أدري لو أن الله تعالى قدر على طلبة علم هذا الزمان المـترفين !!
أن يرجعـوا لتلـك الأزمـان الغـابرة مـدة شـهر واحـد فقـط مـاهم فاعلون؟؟؟
جاءني ذلك الأكاديمي المذكور ..
وجهه أبيض مشرب بحمرة يلبس مرآة
نظر الوجه عذب اللسان بسيط أنيس ..
انشرح له قلبي منذ أن رأيته ..
عرفني بنفسي قال : أنا أخوك عمر السبيل !!
والذي صار لا حقا إمام الحرم الشريف ..
وفجعنا بموته رحمه الله بعد سنوات جعل الفردوس الأعلى مثواه..
كان يريد مخطوطة عن الألغاز ..
فتشت له عنها واستخرجتها له ..
أقفل المخطوطـة ونسـينا أمرهـا وبقينـا فـي المكتبـة نتحـدث ولـم نشعر حتى انتصف الليل..
أمثال الشيخ عمر جلسـت معهـم سـاعات معـدودة ولكـن كلمـاتهم الصادقة ولطفهم وسماحة نفوسهم تبقى خالـدة فـي النفـس حـتى

الممات ..
ووالله لو كنت أنظم النثر لرثيته فنعم الرجل عمر ..
رحمة الله عليه وخلف الله على والديه خيرا فيه..
استدعاني الشيخ في تلـك الأيـام وأدخلنـي لملحـق بيتـه وقـال لـي وكان صارما:
أريدك أن تكون صادقا معي فيما أسألك عنه!!
نظرت في عينيه وقلت له : والله سأكون معك صادقا إن شاء اللـه ..
وانتابتني قشعريرة وخشـيت أن يكـون أحـدهم (ومـا أكـثرهم) قـد لبسني تهمة جديدة!!
قال : هل تجيبني عما أسألك عنه مهما كان ..؟؟
قلت : أفعل إن شاء الله ..
قال : بلغني من أحدهم أن عليك دينا لبعض الأشخاص في الطـائف قبل قدومك لعنيزة هل هذا صحيح؟؟
خجلت والله واسـتحييت أن أكلـم الشـيخ فـي مثـل هـذه الأمـور ..
وكنت أعلم أن الشخص الـذي نقـل لـه الخـبر هـو الأخ محمـد زيـن العابدين ..
وقد أخبرت محمد منذ مدة عن ذلك حينما كانت الفتنـة بينـي وبيـن صاحبنا حامية .. ولا أذكر مناسبة ذكر هذا الموضوع ولكنه الشـخص الوحيد الذي أخبرته..
رفعت رأسي وتشجعت وقلت له : نعم علي دين ..
أرخى رأسه وأحنى جفنه وأخفض صوته معاتبا..
قال : لم لم تخبرني ؟؟
ألم اقل لوالدك أنك تحت رعايتي ؟؟
لم أستطع الجواب واحترت !!
استجمعت قواي وقلت له: يا شيخنا تلك أمور حدثت فـي الماضـي قبل قدومي عليك ولم أكن تشرفت بمعرفتك ..
قال مقاطعا: ولكن المال ما زال في ذمتـك .. والنـاس لـن تتركـك فكيف تريد أن تطلب العلم وأنت مشغول بهم؟؟؟
آمرك بكتابة تلك الديون وسوف أسددها عنك ..
قلت له : أبدا والله !!
قاطعني وقال: يجب أن أسددها حتى تريح بالي وبالك ..
ثم قال:وثق تماما أنني سأوفي دينك من مالي الخـاص وليـس مـن أموال الزكاة

أو الصدقة حتى لا أكون مجاملا معك من أموال المسلمين!!
ثم ناولني ورقة وطلب مني تدوين تلك الأسماء ومالهم علي ..
فكتبت ودخل لبيته ولم يطل الغياب
ثم ناولني المبلغ كاملا وزاد عليه وقال لي :هذا هو المبلغ ومعه نفقتك تسافر اليوم وتسدد للناس مالهم..
ثم اتبع ذلك قائلا لي وأشار بيده : أنت في حرج مني إن احتجت ريالا أو مئة
ألف إلا طلبت مني فأنا في مقام والدك فلا تتحرج مني!!
قبلته بين عينيه وقبلت يده ..
وخرجت من عنده وأنا محتار من كرم هذا الرجل ..
كنت أتساءل من قبل ولعلكم أنتم تساءلتم مثلي:
نرى كثيرا من المشائخ وأهل العلم ولكن قليل منهم من لهم قبول في القلوب لماذا؟؟
حينما اختلطت بشيخنا وعاشرته كنت أراه رغم علمه وجلالة قدره بشرا ..
يأكل وينام ويمشي في الطرقات ويتعب ويمرض ويغضب ..الخ
ولكن حينما رأيت أفعاله وتصرفاته معي ومع غيري عرفت أن الله تعالى المطلع على أفعال العباد في السر والشهادة هو الذي يبعث القبول للصالحين في قلوب البشر..وغير البشر!!
لا تتعجبوا من ذلك إخوتي أخواتي ..
ذكر لي الشيخ بنفسه قال لي :
جاءه رجل من قراء عنيزة المعروفين وذكر له أنه قرأ على احد الممسوسين بالجن وأنه تحدث معي الجني ومن حديثه انه قال له (أي الجني): إن جدي مطوع يحضر درس ابن عثيمين في الجامع!!
مرت الأيام والليالي وانتهى موسم الدراسة وجاءت الإجازة الصيفية..
حيث يتكثف برنامج الدروس ..
وتأتي لعنيزة كوكبة و دماء جديدة ووجوه أخرى من مناطق المملكة وخارجها ..
غالبها تأتي للدراسة في إجازة الصيف ثم ترجع لموطنها..
ومنهم من يحالفه الحظ فيبقى وإنه لذو حظ عظيم !!
وقد كان شيخنا يهتم بهؤلاء الطلبة كون غالبهم لا يستطيع المكوث طويل

فيخصهم بمادة نحو الفرائض أو متن فـي الأصـول أو النحـو أو نحـو ذلك
بحيث يرجع الواحد منهم وقـد درس متنـا كـاملا بالإضـافة للـدروس الأخرى
أذكـر أنـه جاءنـا فـي سـنة مـن السـنوات طلاب مـن دولـة روسـيا يدرسون في الجامعة الإسلامية ....
وفي سنة من السنوات جاءنا حوالي العشرون شـابا اهتـدوا للسـنة بعد أن كانوا على المذهب الإسماعيلي الضال..
وقد اهتم بهم شيخنا جدا حتى أنه خصهم بدرس في بيته كل صـباح في العقيدة..
استمعت مـرة لشـريط لشـيخنا حيـث أنـه زاره فـي مسـجده فـي عنيزة عدد من الجنود الأمريكان الـذين أسـلموا فـي حـرب الخليـج يقول لي الشيخ عن تلك الجلسة..
كانوا ضخام الأجسام طوالا وأجلستهم في مكان الدرس المعتاد ..
وحيث أنهم يبدوا لم يعتادوا الجلوس على الأرض فقد تمدد بعضـهم واتكئ على يده أمام الشيخ ..!!
يقول الشيخ :ولم أرد أن أعلق على أن ذلـك مـن سـؤ الأدب رأفـة بهم لحداثة إسلامهم..
يستمر ذلك البرنامـج الصـيفي حـوالي الشـهر تقريبـا بعـده يسـافر شيخنا لمدينة الطائف لحضـور اجتمـاع هيئـة كبـار العلمـاء كمـا هـو معروف..
وكنت رفيق شيخنا في تلك السفرة للطائف..
توجهنا لجده ومنها توجهنا لمكة لأداء العمرة..
وكان في رفقتنا في تلك العمرة الأستاذ عبد الرحمن العـثيمين أخـا الشيخ وكذلك ابنه الصغير عبد الرحيم..
بالإضافة للأخ علي السهلي..
انتهينا من أداء المناسك سريعا ثم توجهنا بعد العصر للطائف..
وكان مسيرنا عن طريق المسيال وليس عن طريق جبل الهدى ..
كان الجو ممطرا وكنت فرحا مسرورا للغاية وذلك أن شيخنا سوف يزورن في منزلنا في الطائف..
قلت له: والله بتنور بيتنا ياشيخ بقدومكم ..
فرد علي ابن الشـيخ عبـد الرحيـم : بتنـور كـل الطـائف مـو بيتكـم فقط!!
فضحكنا من جوابه ونباهته رغم حداثة سنه..

وصلنا فكان الوالد رحمه الله في استقبالنا عند باب البيت..
ولا تسل عن فرحه وابتهاجه بنزول الشيخ محمد عندنا..
كان الوقت عصر تقريبا ..
حينما وضع شيخنا قدمه في البيت ..
قلت في نفسي : ياسبحان الكريم الخالق ..
ابن عثيمين إمام المسلمين وعالمهم وفقهيهم بنفسه يدخل بيتنا ..
كأنني أقول لأبي حينها : قد أغضبتك أنت ووالـدتي بهروبـي وهاأنـذا اثبت لك يا أبي أن الله تعالى تولاني ورحمني ومن علي ..
فهذا الشيخ ابن عثيمين يأتيك زائرا بنفسه إكراما لك ولابنـك وأهـل بيتك فهل تريد برهانا انصع من هذا البرهان؟؟
ولكأن أبي قـال فـي نفسـه : تـالله لقـد آثـرك اللـه علينـا وإن كنـا لخاطئين !!
استغفر الله من زلل القلم فعفوا إخوتي ..
إن لطعم ذلك اليوم مذاق خاص ..
تستمر حلاوته كلما استذكرته فاللهم اغفـر لأبـي وشـيخي يـا ارحـم الراحمين
حينما دخل شيخنا لمجلس المنزل وكـان فـي صـدره صـورة كـبيرة معلقة لأخي الكبير محمد رحمه الله وكنت جهدت من قبل مع أبــي أن ينزع تلك الصورة كون تعليقها محرما ويمنع دخول الملائكة كمــا هو المشهور من كلام أهل العلم.
ولكنه رحمه الله كان يتحجج بحجج كثيرة ويرفض رفعها..
حينما دخل الشيخ لفت نظرة تلك الصورة ..
فقال لأبي : يابو محمد أطمس هذه الصورة ..
فقام أبي من فوره وأخفاها عن نظر الشيخ ولم يرجعها ابدا !!

الحلقة الثانية والستون

أذكر مرة أن التاجر المعروف في مكة علـوي تونسـي دعـا شـيخنا ابن عثيمين للعشاء في بيته العامر..
وكان الأستاذ علوي قد دعا عددا كـبيرا مـن وجهـاء مكـة وعلماءهـا وتجارها احتفاء بشيخنا..
سبقت شيخنا للدخول للمجلس حيث الناس تصافحه وتسـلم عليـه عند الباب
حينما دخلت رأيت صورة بشرية وتكاد تملأ الجدار من ضخامتها..
توقعت أن ينكر شـيخنا ولا يسـكت فهـو كمـا عهـدته لا تأخـذه فـي

الحق لومة لائم..
بقيت أنتظره وتساءلت في نفسي : مالذي سيحصل؟؟
وضعت في خاطري عددا من الاحتمالات ..
قطع صوت سلام الشيخ حبل التفكير وركزت النظر على عينيه ما هو انطباعه وتصرفه..
حينما توسط المجلس الفسيح لا حظ تلك الصورة فتأملها ثم أطرق وهو يمشي واحمر وجهه فهو بين خيارين اثنين : إما أن ينكر ويرضي ربه ومعنى هذا إما أن تنزع الصورة أو أن يخرج من المجلس!!
فالأول متعذر وفيه مشقة هائلة وحرج والثاني أشق وأنكى !!
أو أن يسكت وهذا ما يأباه عليه دينه وخوفه من ربة ثم اقتداء الناس به..
هذا ما تخيلته أنا ..
قال الشيخ : يا أخ علوي تعليق هذه الصورة لا يجوز ويمنع دخول الملائكة فأي بركة في مجلس لا تحضره الملائكة؟؟
رأيت وجه علوي تونسي تلون بألوان لا أميزها من الحرج والحياء..
أسعفه شيخنا وقال له : أحضروا لنا غطاء أو شرشفا وغطوا الصور ..
فتفرجت أساريره وكأن الشيخ أزاح جبلا هائلا عن صدره ..
فأمر أحد خدامه فغطى الصورة واسترحنا وانتهى الحال على ذلك ..
أذكر مرة أن شيخنا دخل بيت أحد أقرباءه وكان رجلا موسرا وفيه تعال وإسراف على نفسه ..فأراد شيخنا تأليف قلبه ودعوته ..
زرناه في منزله في جده وكان مجلسه مليئا بالتماثيل والمجسمات الحيوانية وغيرها ..
لم يتكلم شيخنا معه حول هذا الموضوع فيما بدا لي ..بل أنه ركز معه على الأمر الأهم والذي له الأولوية وهو هداية هذا الرجل وإنقاذه من براثن الضياع والضلال..
ولقد رأيت شيخنا يتألفه في الكلام ويتبسط معه ولكأنه يتكلم مع أعلى الناس منزلة وسلطة ..
فكسب بذلك قلبه وأحب الرجل ذاك شيخنا من ذلك المجلس مع أنه استقبلنا في أول الأمر بفتور وتعال..
وما خرجنا من بيته بعد ساعات إلا وقد امتلأت أسارير وجهه بشرا وحبا وإجلالا للشيخ ..

ولقـد زرنـاه فـي المـرة التاليـة بعـد شـهور فلـم أر تلـك التماثيـل والمجسمات أبدا ..
وهكذا هي الدعوة ياعباد الله !!
أكسبوا الناس وتألفوا قلوبهم دون أن تتنازلوا مثقال ذرة عن دينكم !!
فالحمد لله الأمر فيه سعة لمن هداه الله ووفقه ..
جعلني الله وإياكم منهم..
كنا مرة في دعوة من الدعوات في جـده وحضـرها عـدد كـبير مـن المثقفين ومنهم وزير الإعلام الحالي إياد مدني وكـان حينهـا مـديرا لتحرير جريدة عكاظ..
و كذلك حضر عدد من التغريـبيين مـن كتـاب الصـحف المشـهورين والمحسوبين على تيار العلمنة ..
دار بينهم وبين شيخنا نقاش طويل وعميق ..
كان شيخنا يلقمهم بكل حجة من حججهم عشرا ..
كان مستند شيخنا قال الله قال رسوله وهم يستندون للواقع وقـال فلان وفلان..
قـال إيـاد مـدني لشـيخنا بكـل فظاظـة : لمـاذا تحتكـر العلـم فـي شخصكم هل الدين ما تراه أنت أو ابن باز فقط؟؟
فرد عليه شيخنا وأفحمه بكلام كثير وطويل ستملون من ذكره ..
وكنت أستغرب كيف مثله ومن هو في منصبه وحاله يقول مثل هذا الكلام الساقط عن مشائخنا ؟؟
إن أصغر مثقف يستطيع الرد على مثل هـذا الكلام البـائس والـذي خـرج مـن واهـم أو صـاحب هـوى .. كمـا قـال ربنـا (وجحـدوا بهـا واستيقنتها أنفسهم)
أشفقت على شيخنا بسبب كثرتهم وكـثرة لجـاجهم وهـم كمـا قـال الأول:
حجج تساقط كالزجاج تخالها ذهبا وكل كاسر مكسور
ولم يكن من الأدب أن يشارك احد بحضور الشـيخ فقـد كنـا جميعـا تلاميذ له وليسوغ لنا المشاركة معه فبقينا صامتين ..
ولكن حينما انتهى النقاش وقدم العشاء وفض المجلس لحقت بإياد مدني عند المغاسل ..
فأسمعته كلاما شديدا فوقف ينظـر إلـي وقـد اتسـعت حدقـة عينـه حتى كادت تسقط من وجهه ..!!
فلم يكن يتوقع أن يتلقى هذه الصـفعة منـي فقـد كنـت موتـورا ولا

أدرك حينها التصرف الأمثل في مثل هذه المواطن ..
نرجع لتسلسل رحلتنا !!
عرض الوالد على شيخنا أن نستضيفه فـي بيتنـا طـوال بقـاءه فـي الطائف..
فقال الشيخ : والله إنني أعتبر نفسي في بيتي ولكـن يمنعنـي مـن ذلك بعد المسافة فمنزلكم يا أبـا محمـد فـي الضـواحي وهـذا فيـه مشقة علي فأنا أبحث عن مكان قريب من مكان دروسي ودوامـي اليومي في الهيئة ..
ألحيت على الشيخ وألح الوالد ولكنه أصر على ذلك..
وكانت غايتنا أن نتشرف بوجـوده فـي بيتنـا فـأي شـرف مثـل هـذا الشرف!!
ملاحظة: هذا آخر حلقة أنزلها وأنا مضطر للتوقف عن الكتابة لأمــر طارئ وأعدكم بحول الله أن أعود لإكمال الحلقات لا حقـا إن كتـب الله في العمر بقية ..
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تكملة ...

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد للـه رب العـالمين والصـلاة علـى المبعـوث رحمـة للعـالمين وعلى آله وصحبه الطاهرين وبعد..
تشاجرت في هذا الصباح مع قلمي ودار بيني وبينه الحوار التالي:
قال لي وهو غضبان أسفا ..
قلي يا مالك في رحلتك إلى النور متى ستلج النور ياهذا ؟؟
أما زلت تسير ولم تصل إليه بعد ؟؟
ثم ما هو النور الذي تبحث عنه ؟؟
أهو شـيء محسـوس أم هـو هـوس بالمغـامرات واقتحـام لـدروب ومجاهل في الحياة عجيبة ؟؟
متى ستنتهي حكاياتك ؟؟
متى ستتوقف روايتك..
قلت لقلمي: أليست الحياة مواقف ..؟؟
قال: بلى ولكن كل شيء له نهاية..

قلت : ما دام في العمر بقية فستبقى الحياة دروسا وعبر..
قال : أليس للناس شغل إلا بك وبحياتك ؟؟
قلت : بالتأكيد أن لدى الآخرين مثل ما لدي وقد لا تجتمع لهم بعض ما عندي ولكن يبقى لكل قصته..
ولكـن أعاهـدك يـا قلمـي أن لا اكتـب سـوى مـا أراه مفيـدا لـي وللآخرين ..
أحس قلمي بالملل فهـو يـدرك أنـه لـن يخـرج بفائـدة مـن المـراء معي..
و قال هات ما لديك فإني أوشك أن أنعس ..
قلت له : أكتب يا صديقي ..
اتكـأت علـى الأريكـة ..ووضـعت يـدي علـى موضـع جـرح العمليـة الجديدة ..
فأحسست بوخزة الألم ..
وأغمضت عيني فعادت بي الذكرى ..
فسبحت في عالم بعيد ..
عاد بي لعشر سنوات تقريبا
ثم بدأت أملي عليه
يقول لي خالد وهو جندي بوسني يبلغ من العمر خمسـة وخمسـون سنة
بالله عليك يا مالك اقرأ لي تلك الورقة ..
قلت له أنا لا أفهم حروف قومك ..
زم شفتيه التي لا أسنان تحتها حيـث لـم يعـد فـي حلقـه ريـق مـن العطش؟؟
عطش في سراييفو؟؟
حيث الأنهار تجري من حولنا ؟؟
لا تعجبوا يا أخوتي ..
فخالد روى لي في تلك الليلة عجبا..
قال لي خالد : تصدق يا مالك ..
أنني حوصرت ومعـي مائـة وخمسـون مـن أبنـاء قريتنـا مـن كتيبـة صربية لمدة ثمانية أيام وما معنا سـلاح سـوى بنـادق الصـيد وشـيئا من الفؤوس والسلاح الأبيض..
وكنا نسمع خلفنا في القرية بكاء الصبية وصراخ النساء مـن الجـوع والخوف..

والقائد المسلم الذي يقودنا يقول :لو غادرنا القرية فسوف يستبيح الصرب ما تبقى لنا من كرامة ..
ستغتصب النساء وسيذبح الأطفال وسيذبح الشيوخ ..
صبرنا يا مالك والصرب من حولنا يصرخون ويزمرون ..
أين إخوانكم المسلمين ؟؟
سنبيدكم ونبيد الإسلام من سراييفو إلى مكة ..
ثمانية ليال لم نذق النوم ولم نطعم فيه لقمة ولم نشرب فيه شربة بلى شربنا ..
شربنا البول يامالك..
..
ثم هز رأسه كأنه لا يريد إكمال الحكاية .
قال لي خالد..
أرجوك إقرا الورقة..
قلت هات ..
أخرج الورقة من جيبه وكانت ملفوفة بعناية ففتحتها وأضأت نورا خافتا من ساعتي
خوفا أن يرقبني القناصة الصرب الذين لا يبعدون عنا سوى عشرات الأمتار..
حينها دوى في الوادي صوت المدفع الصربي..
حيث يقصفنا الأصراب كل نصف ساعة ..
ليتأكدوا أننا ما زلنا مستيقظين؟؟
لم نعبا بالصوت فقد اعتدنا عليه ..
فالقذائف تمر من حولنا وترتطم في البيوت الهالكة خلفنا فتتشظى ولا تكاد تصيب أحدا..
الورقة مكتوبة بالعربية ..!!
يا خالد؟؟
خرجت من وجهه الكئيب ابتسامة أضاءت ما تبقى من شحوبة وجهه الكهل..
قال : أعلم ذلك..اقرأها لي أرجوك..
فقرأت..
الحاج عثمان هوتشش 1123 هـ الفاتحة آمين!!
لم افهم منها شيء..
سحب خالد مني الورقة ونظر في وجهي نظرة افتخار وهز الورقة ثم طواها وأدخلها في جيبه..

وقال لي حينما لم يجد الصرب شيئا في قريتنا قصفوا القبور فوجدت على قبر جدي جصا حفرت عليه تلك العبارات فنسخت ما كتب عليه حتى أعيده بعد ننتقم من هؤلاء الأوغاد..
قلت له يا خالد ..ألا تحكي لي قصة حصار تلك الليالي المرعبة ..
نظر في وجهي نظرة غريبة وأرخى رأسه وتدحرجت من عينه الغائرة دمعة أكاد اشعر أن الأرض اهتزت لها حينما ارتطمت بها..
قال : يا مالك يابني ..
بما ذا أحدثك والله ما عاد لي عقل يذكر شيئا ..
ثم مسح رأسه بكفه التي ترجف ورفع حاجبه للقمر المحاط بكومة من السحب كأنه يستلهمه شيئا ..
وقال غدا سأرويها لك إن شاء الله..
قال لي خالد وكأنه يريد تغيير الحديث ..
بالأمس يا مالك حدث موقف غريب ..
قلت : وهو؟
كنت جالسا في مكاني هذا أراقب الجبهة أمامي وأتبادل السباب مع الصربي الذي يسمعني واسمعه ..
وفجأة سمعت جلبة خفيفة خلفي ..
فرأيت رجلا عجوزا يسير راكعا في الخنادق المحفورة ..
ويحيط به رجلان جلدان تكاد تظنهما أسدان من استواء اجسامهما !!
متأهبان بالسلاح
تساءلت في نفسي من هذا الرجل؟؟
رأيته يتقدم ببطيء في الخنادق يمر على العسكر ويتكلم معهم ويهمس في آذانهم ويربت على ظهورهم..
قال لي خالد ..
من تظن الرجل..؟؟
قلت وما يدريني؟؟
قال خالد:
اقترب مني ذلك الكهل ..
فقال : السلام عليكم..
فرددت عليه السلام..
حاولت أن أميز وجهه ولكنه أدرك خطورة الموقف فجلس بجواري وأشار لي حرسه بالجلوس والصمت ..
وخلع قبعته العسكرية ...

وتجلت لي صورته ..
إنه علي عزة بيخوفيتش ؟؟
رئيس جمهورية البوسنة والهرسك؟؟
حدثنا يا مالك ..
ارجع بنا للخلف لماذا قفزت بنا بعيدا ..
ارو لنا عن شيخك فأنت لم تنهي القصة بعد..
يقول لي القلم ذلك بعد أن أخذته الحماسة هيا أكمل ياهذا ..
حدثنا عن فوزي عسيري ؟؟
ذلك الشاب الصالح المؤمن الذي يقيم في مستشفى القوات المسلحة في الهدى في الطائف من عشرات السنين ؟؟
والذي كنت في زياراتك له تستمع إليه يقول:
أمنيتي في الحياة أن أرى الشيخ ابن عثيمين..
أرو لهم كيف كانت مشاعر فوزي عسيري حينما يرى نفسه في غرفته الصغيرة في المستشفى أنا وهو والشيخ ابن عثيمين ..
وبعد أيها القراء الأفاضل ..
يتجدد بكم اللقاء ويعود بنا القلم لأكمل الحكاية سائلا المولى سبحانه أن يلهمني الحق والصواب وان يجنبني الزلل ويصلح النية ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ..
كم تزدحم الذكريات في رأسي..
والله من يومين لم أذق للنوم طعما حيرة ترددا. بما ذا أبدأ ؟؟
مع ما في القلب من شواغل وما في الجسد من آلام بسبب الأدوية الكثيرة فالعذر يتقدم لكل قاريء عزيز أن يدرك الحال ويتفهم الوضع وعلى الله التكلان سبحانه وأخيرا عزمت على الكتابة كيفما يكون وكيفما يرد ..
أيها الأخوة الكرام
قبل عدة أيام وهو الخامس عشر من شوال وافق ذلك التاريخ يوم رحيل شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله
وذلك في الساعة الخامسة وربع عصر يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال سنة 1421 للهجرة في مدينة جده ..
وستأتي تلك القصة مفصلة في حينها إن شاء الله تعالى ..
فاللهم اغفر لشيخنا وارض عنه واجعل قبره روضة من رياض الجنة واجمعنا به ووالدينا وذرياتنا وأهلنا في فردوسك الأعلى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..
أخوكم

مالك الرحبي

الحلقة الثالثة والستون

كان منزلنا في ذلك العام قريبا من منطقة البلد ..
في وسط الطائف وأظن أن المنزل كان مستأجرا من عائلة نسيب الشيخ
الشيخ خالد المصلح ..
مكث الأخ علي معنا طوال الأيام تلك وغادرنا ابنه وأخوه الأستاذ عبد الرحمن....
كنت في الغالب أنا من يتولى قيادة الشيخ في مشاويره..
فأنا ابن الطائف..
تعجب الناس والأصحاب من هذه الإنتقالة الهائلة في وضعي من الشيخ..
ومن قرأ منهم ما سطرته هنا سيفهم تماما ما الذي حدث !!
فالحمد لله الذي كفاني مئونة تفسير ذلك؟؟
على كل تقبل الناس سريعا هذه الوضعية الجديدة..
أذكر أنه في إحدى زيارات الشيخ لبيتنا حضر حوالي الخمسين شخصا..
تلون وجه أبي وتلبدت على وجهه غيمة حياء فمن سيضيف هؤلاء .. وأين سيجمعهم..
أصعدناهم للمجلس ولا تسل عن عناءنا وحرجنا ..
ويعلم المولى سبحانه أننا ما ضقنا بعددهم ولا بوجودهم فهذه ضريبة صحبة العلماء ولكن لم نكن مقدرين لتلك الزيارة المفاجئة..
ولذلك فهمت ما لذي كان يعنيه شيخنا من إصراره على عدم السكنى في منزلنا أو غيره وفضل المكوث قريبا من أحد الجوامع الكبيرة ..
ليتمكن مريدوه من إيجاده والاستفادة من علمه ..
وأفضل مكان لا شك هو الجامع..
كنا نصلي في الجامع الواقع شمال مواقف التكاسي المسماة مواقف مكة..
ويلقي شيخنا هناك دروسه بعد العصر..
وكان إمام الجامع من إخواننا اليمنيين ويظهر أن شيخنا يعرفه حيث اعتاد إلقاء الدروس في مسجده في السنوات الماضية..

لم يكن بالجامع الفسيح واقترحت على شيخنا أن يجعل درسه فــي جامع آخر..
قال الشيخ : بعد العصر سأستمر بالتدريس في هذا الجـامع للعامـة ..
أما الدروس اليومية بين العشاوين (أي المغرب والعشاء)
فقال لي وللأخ علي أنتما اختارا الجامع المناسب وعجلا علي..
ذكر لي الأخ علي جامع ابن سند ..
قلت له إن طلبة العلم فـي الطـائف اعتـادوا علـى الـدروس لكبـار المشـائخ فـي جـامعين معروفيـن بكـثرة مرتـاديه الأول جـامع ابـن عباس الكبير والثاني جامع الأمير احمد..
والأخير فيه دروس شيخنا احمد السهلي ويحضر فيه عدد كـبير مـن طلبة العلم ..
أستقر رأينـا أخيـرا ذلـك العـام أن تكـون دروس شـيخنا فـي جـامع الأمير احمـد وحينمـا رأى الشـيخ كـثرة الحضـور وامتلاؤه بالحضـور فرح بذلك وأثنى على رأيي فالحمد لله ..
تساءل الناس عن ذلك الشاب الصغير والذي هو مالك!!
يجلس بين يدي شيخنا
ويقرأ عليه أسئلة المستفتين !!
يا للعجب!!
لا تسل عن حيائي وعن ضعفي أمام نظرات الناس الـتي لـم اعتـد عليها إلا بعد حين..
قائل يقول : هذا من أبناء الشيخ!!
وقائل يقول : هو نسيبه!!
وقائل يقول : هو من اليمن !!
ولم يصل للحقيقة سوى من قرأ كلامي هذا كله !!
كلمات سمعتها من هنا وهناك ولكن مع الزمـن لـم اعـد أعيرهـا أي انتباه..
فـي تلـك السـنة انتشـرت حمـى الدشـوش أو مـا يسـمى الأجهـزة اللاقطة..
والتي تكلم عنها الشيخ ناصر العمر بارك الله فيها قبل سنوات فـي شـريطة المشـهور البـث المباشـر والـذي طبـع لاحقـا فـي كتـاب وانتشر..

حذر شيخنا منها كما حذر غيره وناصح الناس والمسئولين وراسلهم ولقد رايته مهموما بهذا الشأن وكأنه رحمه الله ثكـل مـن كـثرة مـا يتكلم وينصح من هذا الشر المستطير..
استأذنته مرة ونحن في السيارة لأسمعه مقطعا من شريط للشـيخ عبد الوهاب الطريري حول موضوع الدشوش..
فقال اسمعني: كان اجتماعا بين الطريـري وعـدد مـن المثقفيـن أو الأكاديميين
قال أحد المتفيقهين !!
يا إخوان أنتم كبرتم المسالة وأعطيتموها اكبر من حجمها !!
إن مجتمعنا متماسك وعقيدتنا صلبه ولا يمكـن أن تهـتز بمثـل هـذه اللواقط وثوابتنا راسخة الخ كلامه ..
فرد عليه الطريري بكلام معناه : إذا ليكن الانفتاح شاملا !!
قال كيف ؟؟
قال ليشمل الانفتاح في الأمور التي تهـدم الـدين وتهـدم سياسـات الـدول فـأنت تعـرف أن المتربصـين بالدولـة والحكومـة وخاصـة حكومتنا كـثير فهـل ستسـمح لـك انفتاحـك بفتـح المجـال فـي كـل شيء؟؟
فأسقط في يد الرجل وصمت ..
وأعجب شيخنا بجواب الطريري وفي اليوم التالي حث الناس علـى سماع شريطه ذاك وأثنى عليه!!
لا شك أن الأمور تغيرت الآن وبعـد دخـول الانـترنت وامتلاء فضـائنا بمئات القنوات الفضائية قد لا يتصور بعضـكم وقـع المصـيبة حينمـا بدأت بما يقارنه الآن من حال..
في تلك الليالي حصل لنا موقف طريف..
حيث نسينا مفتاح شقتنا في داخل المنزل ..
ولم يكن سوى شـيخنا للأسـف يحمـل مفتاحـا للبـاب رغـم حرصـه الشديد وتيقظه في مثل هذه الأمور..
فهو يحمل در زانة من المفاتيـح ويضـعها فـي جيبـه ومرتبـة بنسـق عجيب
قلت لعلي لا بد أن نحضر شخصا ليفتح الباب..
رافقنا الشيخ بالطبع !!
توجهنا بسيارتنا الكراسيدا وتوقفنا أمام محلات المفاتيح ..
توسمت في وجوه الناس..
فرأيت شابا قصيرا عليه مرآه يظهر عليه أنه هادئ الطباع ..

فوقفت بين يديه ولم يكن عنده أحد وقلت له الحاصل ..
فقال لي : وما يدريني أن هذا منزلكم؟؟
نظرت للأخ علي وقلت له: يا أخـي نحـن ثلاثـة أشـخاص نقيـم فـي منزل مضيفنا ..
قال : دع مضيفكم يأتي !!
لاطفناه بالعبارة وقلنا سنصور لك هوياتنا إن شئت ..
وبعد تردد حمل حقيبته وركب في سيارتنا ..
حينما رأى ذلك الشاب شيخنا كأنه ارتاح واطمأنت نفسه ..!!
ولكنه لم يعرف من يرافق على كل حال..
أخذ شيخنا يسأله عن نفسه ..
ويسأله عن أحواله ..
أذكر انه قال أنه من قبيلة بني مالك وأظن اسمه نايف أو شيئا من هذا القبيل..
وصلنا للشقة ثم نظـر إلـي كـأنه يريـد منـي شـيئا فوضـعت بطاقـة أحوالي في يده فنظر فيها ..
ثم أرجعها لي ..
كـان اختيـاره موفقـا فمـا عـن وضـع يـده علـى البـاب حـتى فتحـه باحترافية عجيبة ..
أرجعته لدكانه فسألني من هذا الرجل الذي وجهه يشع نورا ؟؟
قلت له هذا الشيخ ابن عثيمين!!
قال لي : حرام عليك يارجل هلا أخـبرتني مـن قبـل واللـه لـن آخـذ منك ريالا مقابل ذلك!!
كانت للشيخ محاضرات ودروس في الأقاليم المحيطة بالطائف ..
في الحوية والهدى والشـفا وجمعيـات التحفيـظ والمراكـز الصـيفية والمعاهد ويجتمع في مدينة الطائف سنويا فـي تلـك الفـترة كوكبـة كبيرة من العلماء والمشائخ ممن لا يكاد يحصرهم عاد..
كنا في الجمع ننزل للصـلاة فـي الحـرم وكـان شـيخنا يتعجـب مـن الناس ويقول
لو كنت مقيما في جده أو الطائف لما فاتت علي مائـة ألـف جمعـة في الحرم!!
نسقنا مرة محاضرة للشيخ في جامع الملك فهد فـي الهـدى وكـان يوم جمعة ..
وانطلقنا من مكة بعد صلاة العصر حيث لا يستغرق وصـولنا للهـدى سوى ساعة وربع تقريبا ..

ولكن حدث مالم يكن في الحسبان ..
حيث نزلت الأمطار على الهدى وحين وصولنا لجبل الكر..
أوقفت الدوريات السيارات وإمرتها بالرجوع لمكة والذهاب للطائف من طريق المسيل..
وقال الطريق خطر ولا يمكن السماح للسيارات بالعبور..
فاسقط في يد الشيخ وتحرج وكان من أصعب الأمور على نفسه أن يفوت وعدا وخاصة أنها محاضرة عامة ..
ولم يكن لدينا وسيلة اتصال..
قال لي : لا ترجع ودعنا نمكث لعل وعسى الطريق يفتح..
هممت أن انزل للجندي واستأذنه واشرح له الوضع ..
ولكن هيهات فلو سمح لنا بالعبور لثارت عليه مئات السيارة من حولنا فدوني نجوم السماء !!
بقيت والشيخ حتى قريبا من العشاء..
حتى اطمأنت نفسه وعرف انه لا حيلة لنا ..
وبعد وقت يسير سمح لنا بالعبور..
فلم يكن هم الشيخ إلا أن نذهب للجامع ونبلغ الناس بما حصل..
وصلنا للجامع وقد خرج الناس من الصلاة ..
توجهنا للإمام ..
فلما رأى الشيخ انكب عليه واحتضنه وقال والله لقد قلقنا عليك والناس تساءلت ما لذي حصل لكم ..
وبعضهم ذهب للشيخ ابن باز يسأل عنك..
وأجرينا اتصالات عديدة بالمسئولين !!
بلغه الشيخ بما حصل ..
وكان الرجل نبيها!!
قال يا شيخ محمد: لا يعوضنا منك سوى أن تشرف أهل المنطقة بعشاء!!
فقال يا ولدي : أنا متعب لو تعفيني!!
أصر الرجل ورتب عشاء في إحدى مزارع منطقة الهدى الجميلة وحضرها جمع كبير من الناس يكادون يبلغون المئة!!
ولا تسل عن فرح الشيخ باجتماعهم حيث شعر انه عوضهم بتلك المحاضرة لتطيب نفوسهم بتلك الجلسة التي لم تخل من فوائد وتوجيهات..
يتبع إن شاء الله

أذكر مرة بعـد سـنوات مـن مـوقفي مـع الشـيخ حينمـا أغلـق جبـل الهدى بسبب الأمطار..
موقفا لن أنساه حيث تجرعت فيه مرارة اسمحوا لي بروايتها لكـم ولو طالت..
فقد يكون فيها شيء من الطرافة ..
كنت عائدا من جده وكنت في ضيافة أحد الزملاء ..
وقد حملت في جيبي مبلغا بسيطا من المال..
أظنه لا يتجاوز المئة وخمسون ريالا..
ولم تكن تلك الأيام قد شاعت في الناس بطاقـات الصـراف الآلـي بل اظنها معدومة..
والمال وفير والحمد لله ولكن لم يكن يدر بخلدي أن احتاج للقليــل منه فلا أجده..
في الطريق من بيت صاحبي ..
أشار لي رجل مسن بالتوقف ..
وكانت حالته مرثية ويظهر عليـه البـؤس والإعيـاء بـل كـان يمشـي بثقل على عكازين.. فتوقفت بجواره ..وقلت له : نعم ياعم..
فقال : لو قدمتني معك يا ولدي لأطراف المدينة..
ففتحت له الباب وجلس بجواري..
أخذ يـدعو لـي ويشـكرني فقلـت لـه: لا داعـي أنـا لـم افعـل شـيئا يستاهل الشكر ومقصدك على طريقي..
قال لي: وددت أنك كنت معي في جيزان فأكرمك كما فعلت معـي فانا من ساعة أشـير للنـاس فلـم يتوقـف لـي احـد يظننـي النـاس أتسول..
سكت قليلا ثم تنهد وكأنه يريد أن يروي لي معاناته ..
يقول من أي المناطق أنت ؟؟
قلت له :أنا حاليا أقيم في منطقة القصيم
قال :من أي القبائل ..
ثم قال: أنا مـن قبيلـة كـذا مـن جيـزان وأحـترف الزراعـة وعنـدي بستان فيه ما لذ وطاب من الفواكه والأشجار الظليلـة ..ياليتـك إن جئت لجيزان تعرج علي فأكرمك ..
قلت له : وهل عندك أحد تقيم عنده في جده ..
قال : أبدا أنا كما ترى رجل كـبير ومريـض جئـت هنـا لأحـد الأمـراء لكي احصل منه على توصية للعلاج في إحدى مستشفيات جده ..

ولكن للأسف لم أتمكن من الوصول للأمير مباشـرة لكـثرة النـاس فوضعت مظروفا مع الناس وسأرجع أدراجي لجيزان الآن..
قلت : ولماذا لا تمكث في جده حتى تنتهي معاملتك؟
قال : أبنائي صـغار ولا يقـوم عليهـم احـد سـواي ومزرعـتي تحتـاج لرعاية
فلا بـد أن ارجـع لهـم وبعـد أسـبوع سـأعود لمكتـب الأميـر لأرى النتيجة!!
قلت له :ولماذا لا ترجع بالطائرة إلى جيـزان فـأنت مثقـل وطريـق العودة طويل..
قال : لم اركب الطائرة في حياتي ولست اقدر على قيمتها..
والحمد لله سأقف على الطريق العام وسوف أجد مـن يتجـه علـى جيزان وسأركب معه !!
تأسفت في نفسي لحال هذا المسكين وتمنيت في تلـك اللحظـات لو كنت احمل مالا أتوجه به للمطـار فلا أغـادره حـتى يرجـع لأولاده وينام معهم تلك الليلة ولكن هيهات..
حينما وصلنا لمقصده قال لي : يابني كم تطلبني؟؟
قلت له : لا شيء..
ثم أخرجت محفظة نقودي فسحبت منها مبلغـا دون أن أراه وقلـت له خذ هذا المال استعن به في طريقك..
فدعا لي وشكرني حتى كدت أذوب من الخجل منه ..
ما إن غادر ذلك المسـكين حـتى أضـاءت إشـارة نفـاذ الوقـود فـي سيارتي..
وجدت محطة وقود قريبة فأشرت للعامل وقلت له أملأه!!
تفقدت محفظتي فوجدت فيها مبلغا لا يتجاوز الخمسة عشر ريالا!!
فقفزت خارج السيارة وأطفئت مكينة البنزين وقلت للعامل يكفـي فقط خمسة عشر ريالا!!
وسيارتي من نوع المرسيدس و بالتأكيد لن توصلني إلى مكة بهـذه الكمية فكيف إلى الطائف!!
وهنا تبدأ الحكاية !!
خرجـت مـن جـده وأنـا أراقـب عـداد البنزيـن وسـرعتي متوسـطة وأطفأت جهاز
التكييف وبقيت استغفر واهلل وأقول في نفسي مـا الـذي سـأفعله لو انتهى بي الوقود؟؟

لاحظت أن البرق يضيء على جبال الهدى والتي ترى للـداخل إلـى مكة فتوجست خيفة ..
وقلت في نفسي ماذا لو أغلقوا الطريق؟؟
قبل أن ادخل لمكة أضاء العداد بقرب نفاذ الوقود!!
مررت على مكة وأخذت أبحث في رأسي عـن حـل لهـذه الورطـة فلم أشعر إلا وأنا في أطراف مكة على طريق الطائف السريع..
لاحظت من بعيد دوريـة مـرور تقـف فـي وسـط الطريـق ..ورأيـت كثيرا من السيارات تعود أدراجها على مكة!!
وقفت أمام الجندي ففتل شواربه وقال : وين رايح؟؟
قلت : الطائف ..
قال الطريق مغلق رح من المسيال!!
قلت له : ومتى سيفتح ؟
قال : والله ما أدري يمكن ساعة يمكن يوم يمكن يومين؟؟
قلت له : وهل يمنع الذهاب للجبل ؟؟
قـال : أفضـل لـك تـروح مـن المسـيال ، وإذا تبغـى تـروح علـى مسئوليتك تفضل..
شكرته وتوجهت للجبل..
وليتنـي سـمعت نصـيحته وبقيـت فـي مكـة حـتى يفرجهـا المـولى سبحانه..
بقيت أسير بهدوء وأراقب العداد وأقول في نفسي ماذا لو تــوقفت بي في منتصف الطريق الموحشة المظلمة ؟؟
ما لذي سأفعله ؟؟
بمن سأتصل ؟؟
وبالتأكيد سوف يقلق علي أولادي ولا وسيلة اتصال لدي !!
وصلت للجبل وفي ذات الموقع الـذي تـوقفت أنـا وشـيخنا بجـواره قبل سنوات
ولكنني هذه المرة وحيدا فريدا وبلا مال!!
وجـدت عشـرات السـيارات متوقفـة وكلهـم مثلـي يأمـل أن يفتـح الطريق في ساعة أو بضع ساعات أما أنا فكنت احمل هما اكبر هو هم الوقود!!
نزلــت مــن ســيارتي وتــوجهت للعســكر لعلــي أجــد عنــدهم حلا لمشكلتي التافهة!!
كانوا في جدال وجلبة مع الناس وكل يروي

مأساته يقول أحدهم دوامي والآخر يقول أنا مواصل للجنوب وثالث يقول:
أريد أن أوصل أبنائي للمدرسة..
فيرد عليهم الجنود عودوا للمسيال !!
والمسيال لمن لا يعرف المنطقة هو الطريـق الآخـر للطـائف وهـو أبعد قليلا من طريق الهدى ..
يقول الجنود:
الطريق خطير والسيول قد جرفت الصـخور والأوامـر تقضـي بمنـع التحرك حتى تصلح الإعطاب ويزول الخطر..
عدت لسيارتي وأطرقت أفكر في حل لهذه المشكلة ..
ومرت حوالي الساعتين وكانت كعشر ساعات على نفسي..
شعرت بالهدوء مـن حـولي وخفـت جلبـة النـاس وعـاد كـثير منهـم لطريق المسيال ..
رفعت رأسـي فرأيـت الجنـود قـد جلسـوا علـى بسـط فـي وسـط الطريق وأخذوا
يتبادلون الحديث وشرب القهوة والشـاي وكـان الجـو عليلا ونسـيم الرياح بعد منتصف الليل أضفى على المكان الأنس..
تشجعت وقلت في نفسي: لما لا أذهب إليهم فأحكي لهم حالي!!
فالناس لبعضها والخطب يسير وهونت الأمر على نفسي ..
نزلت من السيارة وقصدتهم ..
فلما اقتربت منهم أطفأ احدهم سيجارته وصافحته وقال : ليش مـا تنام يا مطوع؟؟
ولم يدعني للجلوس ..
قلت له : هل من جديد ؟؟
التفت وراءه للجبل فلمعت في السماء أضواء البرق ..
وقال : شوفت عينك ما اظنك بتمر الليلة !!
قلت له : لعله بكره الصباح بدري !!
قال : لين تجي الشركة فـي الصـباح وتنظـف الطـرق لعلـه الظهـر بكره!!
وأفضل لك تروح من المسيال !!
هممت أن أقول للعسكري سبب تأخري ولكنني استحييت وخجلـت فرجعت من عنده وأنا في هم لا يعلمه إلا الله..
قلت في نفسي كيف يجرأ الناس على السؤال ؟؟
أعوذ بالله من الذل..

رغم أني محتاج ومستحق ولكن لا أدري !!
الحمد لله على المعافاة..
رجعـت لسـيارتي وفتحـت نوافـذها وتوسـدت يـدي ونمـت نـوم المتوجس والمهموم..
أذن علينا الصبح ..
فتوجهت للمسجد الواقع بجوار محطة البنزين ..
وقدمني المؤذن البنجلاديشي للصلاة ..
وصليت بالناس الفجر..
بعد الصلاة بقيت في المسجد والعامل ينتظـر خروجـي حـتى يغلـق المسجد .. وكنت أتكلم معه وألاطفه واسـأله عـن بلـده وكـل ذلـك أنني هممت والله أن اطلب منه أن يقرظني أو يهبني عشرين ريالا !!
لكي أملأ السـيارة بوقـود يرجعنـي لمكـة ولكـن هيهـات كيـف لهـذا المسكين أن يثق بشاب عليه اثر الترف وسيارته فارهة يطلب منـه عشرون ريالا ..
أو حتي عشرة ريالات..
ومرة أخرى منعتني كرامتي وصون وجهي عن السؤال ..
فالحمد لله على المعافاة..
تكاثرت السيارات بعد صلاة الفجر وجاءت من كل حدب وصوب
وصار المكان غاصـا بـالخلق وطلبـة المـدراس والمعلمـون وتـدافع الناس على العسكر ..
وزاد الأمر سوءا انه مر موكب رسمي فلم يـتردد الجنـود بالسـماح لهم
بالمرور فضج الناس وارتفعت الأصوات وقالوا : ونحن أليـس لـدينا مصالح ؟؟
فقالوا هذا موكب رسمي ..
فقال الناس ونحن نذهب على مسئوليتنا دعونا نمر..
فلم يفلح ذلك في إقناع الجنود..
بقيت ارقب الموقف وبدأ الجوع يدب في بطني ..
كنت أسير وأهيم بين السيارات وأتفـرس وجـوه النـاس لعلـي أجـد أحدا اعرفه
لم يحفل بي احد فكل بهمه اشتغل..
توجهت لمحطة الوقود..

وهممت أن اكلم العامل أن يضع لي وقـودا علـى أن أرجـع لـه بعـد يوم بماله ..
فتوسـمت فـي وجهـه فعلمـت أن كـواكب السـماء اقـرب لـي مـن ذلك!!
رجعت للسيارة وحميت الشمس حتى صار الجو خانقا ..
في الضحى توجهت للعسكر مرة أخرى وكانت الوجوه جديـدة فقـد تغير فريق العمل..
ولم يكن الجو مشجعا وعلامات الإعياء بادية عليهم..
اقتربت منهم فلما انتصفت الطريق عدت أدراجي!!
حيرة وحياء من ذل سؤالهم..
وما عساني سأقول لهم : أعطني بالله عشرة ريالات ؟؟
أو أنني محتاج أو جائع ؟؟
كيف سيكون وجهي حينما يسحب ذلك المتعجرف من جيبه عشــرة ريالات
فيلقيها في يدي فوالله لباطن الأرض خير من ظاهرها ..
توجهت للمسجد وتوضأت وبقيت في ركنه ورفعت رأســي للســماء ودعوت الله بالفرج ..
وصليت الظهر مع الجماعة ثـم عزمـت علـى العـودة لمكـة وقلـت وليكن ما يكن!!
جلست على المقعد وذكرت الله تعالى ..
أدرت السيارة فعملت ..
وانطلقت بها وسرت بها سيرا خفيفا..
وبقيت أسبح الله تعالى ..
وطلبت من المولى سبحانه اللطف ..
قطعــت ربــع المســافة ونصــفها وفــي كــل مــرة أقــول هــاهي ستتوقف..!!
ولكنها لم تخذلني..
في الطريق ..
تذكرت احد زملاء الدراسة في عنيزة وهو مقيم في مكة ..
وما أكثر من اعرفهم في مكة من المشائخ والعلمـاء وطلبـة العلـم ولكن
كوني اسألهم في مثل هذا الحال وفي مثل هذه القضية فهذا حــرج لا يقدره سوى من يفهم واقع الحال..والله المستعان..

الذي حصل يا إخوتي الكرام أنني بفضل المولى سبحانه وصلت لمكة!!
ولم يكن لي هم سوى أن أصل لمكان صاحبي ذاك..
توجهت من فوري فوجدته واقفا أمام محله فشده لرؤيتي فهو من سنوات لم يرني!!
فلما رآني ابتسم لي ابتسامة أنستني كل الهم الذي كنت فيه ..
سحبته من محله وطرت به لمحطة الوقود وقلت له :أملأ لي السيارة بالوقود وكنت عليه جريئا !!
فاخرج بوكه فنثر كنانته جزاه الله خيرا ولم يسألني وملئها فودعته وقال لي انتظر !!
أين ستذهب..
ما هي قصتك يا رجل تغد معي!!
قلت له : قصتي طويلة سأحكيها لك لاحقا ..
فغادرته وهو حائر !!
وعدت له بعد أيام بوجه غير وجهي فحكيت له القصة فغص بالضحك حتى سقط على وجهه..
وصلت لأولادي عصر ذلك اليوم ..
وكانوا في غاية القلق ومع ذلك حتى هذا اليوم لم ارو لهم ما حصل فليقرؤها هنا ..
وليت شيخنا كان حيا فيقرأها رحمة الله عليه
يتبع إن شاء الله..

الحلقة الخامسة والستون

نعود لحكايتنا ..
سمعت عن شاب مصاب بمرض عضال ..
وذلك قبل ذهابي للقصيم ومعرفتي بشيخنا رحمة الله عليه..
وقالوا لي أنه منذ سنوات يعيش وحيدا فريدا في مستشفى القوات المسلحة في الطائف..
وحثني أصحابي على زيارته حتى قال لي أحدهم : والله إن رؤية هذا الشاب سترفع همتك وستزيد إيمانك!!
طمعت بذلك ومن ذا لا يريد زيادة إيمانه ورفع همته؟؟
تحدثت مع احد جيراننا في الحي في الطائف عن ذلك الشاب ..
فرق له وقال سوف أرافقك ..

وذهبنا بعد أيام للمستشفى المذكور..
وصلنا للاستقبال..
فسألنا عن الشاب..
قلت لهم اسمه فواز العسيري)..
فقال : لعلك تقصد فوزي العسيري!!
فقلت : نعم هو ..
فابتسم في وجهي وقال ..ستجده فـي غرفتـه أو سـيكون الآن فـي الحديقة يتنزه !!
ثم ناولني بطاقة الزيارة وأعطاني رقم غرفته ..
صعدت للغرفة وكنت أتعجب في نفسـي لمـاذا ابتسـم الرجـل مـن سؤالي!!
لما وصلت الغرفة وجدتها خالية سوى من ممرضة ترتب السرير ..
قلت لها : وين فوزي ؟؟
قالت : سيأتي بعد قليل هو يتنزه في الخارج..
قلت لها : ممكن نجلس؟؟
قالت : نعم ..
جلست أنا وصاحبي وقلبت نظري في غرفة فوزي..
لم تكن غرفة مريض !!
كأنني في غرفتي في عنيزة بعد سنوات!!
رفوف كتب آلاف الأشرطة ..
مجلات إسلامية كل شيء يدل على العلم ..
قال لي صاحبي: هل أنت متأكد أن هذا صاحبك؟؟
قطع علينا صوت عربية تقترب من الغرفة ..
فكان نظرنا على الداخل..
قالت الممرضة وابتسمت ابتسامة عريضة هذا فوزي وصل..
دعوني اصف لكم فوزي..
مقعد على العربية جسمه كأنه عمرة ست سنوات أو عشر!!
ورأسه مكتمل النمو يزيد على العشرين سنة!!
وجهه كأنه كوكب دري..
جميل وأنت تعجز أن تقول انه جميل..
ابتسم في وجهنا ابتسامة اعجز عن وصفها ..
رقيقة عذبة و جميلة ..
كان يلبس ثوبا ازرق وعلى رأسه طاقية بيضاء ناصعة البياض نبتـت على وجهه لحية صفراء جميلة ..

ووجهه مستدير وصاف كالعسل..
لما رأيناه قمنا له ..
فسلم علينا فدنوت منه لأصافحه..
فأرخى رأسه حياء لأنه يعجز عن مصافحتي فربت على يده وقبلـت جبينه..
وفعل صاحبي مثل ما فعلت..
عرفناه بأنفسنا فرحب بنا وشكرنا على زيارته ..
وقال : أنا افرح بزيارة الناس لي ..
كـان يتكلـم و كنـت أفكـر فـي كلام الفقهـاء أن مـن أدب الزيـارة للمريض عدم الإطالة عنده حتى لا تشق عليه ولكن فوزي هذا مـن طراز مختلف ..
يأسرك بمنطقه وأدبه حتى لا تريد مغادرته والله ..
لم نجرأ عن سؤاله عن مرضه وعن مدة بقائه وما لذي حدث له ..
ولكنه بادرنا بذلك من خلال كلامه ..
قال : مرضي غريب وسماه لنا وهو مرض يتوقف فيه نمـو الجسـم ماعدا الرأس والعقل ..
حيث تبقى الأعضاء كما هي دون الرأس فينمو مع السنين..
وقال لنا : أنا منذ ست سنوات مقيم هنا !!
وعائلتي في منطقة عسير ونظرا لحاجتي الماسة للمستشفى فقـد أصريت على المكوث هنا حتى لا اشق عليهم بإحضاري دوما ..
وكان هذا هو رأي الأطباء..
روى لنا تفاصيل حياته وبرنامجه وقراءته وانه حفظ جزءا كبيرا مـن القرءان وأنه يستمع للدروس والمحاضرات ويقرأ في الكتب ..
وأنه لا يمل من القراءة ولا تضيع عليه دقيقة في فراغ..
وقال : أن الناس تزوره دوما وأغلبهم لا يعرفهم..
وأحيانا تتوقف الزيارات فتمر عليه الأسابيع ولا يرى أحدا ..
ولم يتأفف من مرضه وحاله ولم يشك مـن صـحته بـل كـان يحمـد الله تعالى
ويشكره على أن أبقى له عقلـه ليتمكـن مـن الاسـتفادة والدراسـة وطلب العلم..
كان فوزي يتحدث وكنت أتأمل وجهه وكلامـه وعبـاراته وأقـول فـي نفسي..
كم نحن محرومون؟؟
لله دره ..

كم نحن ضعفاء أمام بهارج الحياة ومشاغلها ..
كان صاحبي يستمع لفوزي فأرى فـي عينيـه الـدموع محتبسـة ممـا يسمع ..
خرجنا من عند فوزي ونحن واجمون ..
أصر على مرافقتنا للخارج ..
فخرج معنا حتى وصلنا للمصعد ..
وكان الجميع بلا استثناء يسلم علـى فـوزي مـن ممرضـات وأطبـاء وعمال
كلهم يعرفه ويضحك ويبش في وجهه ..
ماهي أخبارك يا فوزي اليوم..
أهلا يا فوزي..
وكأنه ليس بمريض..
قال لنا ونحن نغادره ..
لعلكم تزوروني مرة أخرى !!
قلت له : بكل سرور والله ..
فابتسم ابتسامة جميلة أسرت قلبي ولا أنساها ما حييت ..
بقيت أنا وصاحبي نتحدث في الطريق عن ذلك الشاب فقال لي:
لم أفرح بزيارة احد كما فرحت اليوم..
رجعت للبيت فحكيت للوالدة عما رأيت ..
وحكيت لكل من اعرف ما رأيت ..
لأساتذتي وأصحابي قلت لهم :
أذهبوا وزورا هذا الرجل ..
فوالله ليس من رأى كمن سمع..
لم أنقطع عن زيارة فوزي ..
كنت كلما شعرت بضعف في همتي وحاجتي للأنيس ذهبت لزيـارته بأي وسيلة ممكنة..
بالسيارة بالتاكسي مع زميل كيفما يتيسر لي..
في إحدى زياراتي له وقد أصبحت كالتلميذ له..
قال لي : تصدق يا مالك لي أمنية ؟؟
قلت وما هي ؟
قال : أحب رجلا حبا عظيما ..
وليتني أستطيع رؤيته رؤيا العين ..
قلت : ومن هو..
قال : الشيخ ابن عثيمين ..!!

قلت له : يا فوزي هداك الله وكيف تريـد أن نجـر لـك ابـن عـثيمين في المستشفى؟؟؟
دع أمنياتك معقولة يارجل!!
وجم ثم ضحك وقال : على كل هذه أمنيتي..
ثم اخذ يحدثني بشغف عن الشيخ وعن سـعة علمـه ودروسـه وانـه يستمع لأشرطته يوميا
وكأنه حاضر معه في الدرس وقال : هل رأيت الشيخ ؟؟
قلت نعم رأيته في دروس الحرم..
فقال لي : صفه لي يا مالك ..
وصفت له الشيخ كما رأيته ..
فقال : هنيئا لك هذه النعمة ..
مرت الأيام والليالي وحدث لمالك ما حدث وطارت به الـدنيا جنوبـا وشمالا
واستقر في القصيم وصار من سكان عنيزة وانقطعـت عنـي أخبـار فوزي
مدة من الزمن وشغل مالك بنفسه وحياته الجديدة ..
وفي تلك السنة أو التي تليها ..
يقدر الله تعالى أن يحصل للشيخ عبد الله بن منيع عضو هيئـة كبـار العلماء حادث في مدينـة الطـائف حيـث ارتطمـت بـه سـيارة وهـو خارج من صلاة العصر..
فسقط الشيخ وكاد أن يهلك ..
وكانت في تلك اللحظات سيارة إسعاف مرت بغير ميعـاد فحملـت الشيخ وهم
لا يعرفونه إلى مستشفى الملك فيصل في الطائف..
فلما رأى الأطباء الشيخ وجـدوا أن وسـط جسـمه وخاصـة منطقـة الحوض قد تكسرت وان حالته حرجة ..
تسامع أبناء الشيخ بالحادث وتسامع المسئولون بالأمر..
فنقل على الفور إلى مستشفى القوات المسلحة في الهدى ..
فأجريت له العمليات تلو العمليات وعانى من ذلك اشد المعاناة ..
ومكث شهورا هناك حتى عافاه الله وهو الآن بحمد الله في نشـاط وعافية سمع شيخنا بالحادث ..
وكان ذلك قبل وصولنا للطائف..
وكان الشيخ ابن منيع زميل شـيخنا فـي هيئـة كبـار العلمـاء وكـانت علاقتهما

وثيقة ولعلي في حلقات قادمة احكي مواقـف جـرت بينهمـا يصـلح المقام لذكرها..
وصلنا للطائف بعد أسابيع ..
وكان الحادث قد حصل في أول إجازة الصيف ..
لم اسمع بخبر الحادث سوى من الشيخ حينما قال لي:
غدا سنذهب لرؤية الشيخ ابن منيع في المستشفى..
قلت له : أي مستشفى ياشيخنا !!
فأخرج ورقة من جيبه فقال:هذا اسمه وعنوانه ورقم غرفـة الشـيخ ..
في اليوم التالي انطلقنا للمستشفى ..
وكان شيخنا مرهقا بعد يوم عناء واجتماعات ..
نام قليلا وأنا صامت ..
والصمت يفتح باب التفكير والهواجس !!
وأنا في صمتي ذاك تذكرت فوزي عسيري!!
لا أدري والله كيف خطر على بالي ..
بعد سنوات تذكرته ..
تذكرت الزيارة الأولى ..وعشرات الزيارات التي تمت بيني وبينه..
نظرت لوجه الشيخ فكان نائما فلم أرد إزعاجه..
تنحنحت وما أخف نومه فاستيقظ..
قال : هل وصلنا ؟؟
قلت : تقريبا ..
وما زلنا في منتصف الطريق ولكنني فرحت باستيقاظه !!
فتوسط في جلسته ومسح وجهه وتمطى قليلا ..
ثم أخذ يتحدث معي..
انتظرته حتى ينهي حديثه ثم بادرته بقصة فوزي..
لم يعر الموضوع كثيرا في البداية نظرا لأن هموم المسلمين كثيرة والشيخ
يسمع يوميا آلاف القصص الشبيهة فكان يدعو له بالعافية ..
غيرت أسلوبي وطرحت الموضوع بصيغة جديدة ..
فأنصت الشيخ وأخذ يتعجب من كلامي عن ذلك الشاب..
وعلو همته وجده رغم حاله الغريبة ..
فزاد اهتمام شيخنا به ..
حتى قال لي : لم لا نحضره عنيزة ليدرس عندنا !!
أسوة بسامي العقيل!!

وهو احد طلبة الشيخ المجدين وسيأتي ذكره لاحقا عن شاء الله..
قلت له يا شيخنا : الرجل وضعه مختلف تماما ..
قلت له : حتى أن الرجـل لـه أمنيـة فـي الحيـاة كـم مـرة سـمعتها يتمناها..
قال : وهي؟؟
قلت : أن يراك!!
فقال الشيخ: وأين هو ؟
قلت له : هو مقيم في المستشفى دائما ..
فسكت الشـيخ ثـم قـال : ومـتى أجـد الـوقت لزيـارته أنـت تعـرف أشغالي..
قلت : هو الآن في نفس المستشفى الذي نقصده..
فقال: خلاص رتب لي بعد زيارة الشيخ عبد الله ..
طرت فرحا بهذا الخبر وانتشيت وقلت في نفسي ..
يا فوزي لعل مناك سيتحقق وأنت غافل لا تدري..
وصلنا للمستشفى وتوجهنا لغرفة الشيخ عبد الله ..
فوجدناه على حال جيدة وهو ممدد على سريره
وعنده جمع من الزوار ومنهم التاجر المعروف عبـد العزيـز الجميـح ..
قبل شيخنا رأس الشيخ ابـن منيـع فأمسـك الشـيخ ابـن منيـع رأس شيخنا فقبله ..
وتركتهما في حالهمـا وانطلقـت ابحـث عـن فـوزي.. لا الـوي علـى شيء
سألت عنه فقيل لي موجود!!
ففرحت فقلبت المستشفى رأسا على عقب..
ووجهت له نداء بالسماعات حتى بلغوه ..
فوجدته وبالكاد عرفني فقد تغيرت ملامحي وسمنت قليلا ..
فقال لي اينك..؟؟
فقلت له : دعك من خبري الان ..
ألزم غرفتك سآتي لك بشيء بعد قليل..
وخرجت من عنده وتوجهت لغرفة الشيخ ابن منيع ..
فوجدت شيخنا واقفا يريد المغادرة ..
والناس تصافحه ..
نظر شيخنا في وجهي واخـرج سـاعته مـن جيبـه ونظـر فيهـا كـأنه ينتظر موعدا..

فتجاهلت ذلك وقلت له : الرجل في انتظاركم..
قال : هل وجدته ؟؟
قلت : نعم..
ما شاء الله عليك جزاك الله خير..
دخلت على فوزي
فوجدته على سريره
فدخل الشيخ وسلم عليه ..
فلما وقعت عين فوزي على الشيخ كادت عينه تخرج من رأسه ..
لا تسألوني إخوتي عن مشاعره ..
لا أستطيع وصفها والله ..
قلت له:
هذه أمنيتك يا فوزي تحققت ..
ابن عثيمين بلحمه ودمه بين يديك!!
اقترب شيخنا منه وجلس على سريره ..
ودنا من رأسه ومسح عليه ودعا له ..
وقال له وهو مبتسم : كيف حالك يافوزي؟؟
لقد حدثني عنك مالك ..
بقي فوزي صامتا لا يدري ما يقول..
ينظر للشيخ وينظر في وجهي..
كأنه يقول : هل هذا هو!!
والشيخ صامت ويبتسم من مشاعر فوزي المتضاربة..
هززت رأسي لفوزي حتى يتكلم ..
فقال : هذه اسعد لحظة في حياتي والله أن تزورني ياشيخنا في هذه المكان ..
كنت أراك في التلفزيون والجرائد وأتمنى أن ألقاك..
وكنت أدع الله أن يحقق لي ذلك ..
ولكنني توقعت أن يحصل لي ذلك بأن أزورك أنا ولقد رجوت الناس أن أزور درسك في الحرم أو في دروسك في المحاضرات فلم يتحصل لي ذلك..
قال له شيخنا : ها انذا أمامك وجزى الله الابن مالك على أن دعاني لزيارتك..
دار بينهما حديث وبقيت استمتع بهذه اللحظات دون أن أتكلم بحرف واحد..

وأقول في نفسي : دع فوزي يستمتع فربما لـن يتمكـن مـن تكـرار ذلك أبدا..
مكث الشيخ عنده لعشر دقائق ثم طلب منه الأذن فخرجنا ..
وودعت فوزي
ومنذ ذلك التاريخ انقطعت أخباره عني للأسف
فاللهم إن كان حيا فوفقه وارض عنه واجمعنا به على خير..
وإن كان ميتا فاغفر له وادخلـه فردوسـك الأعلـى واجمعـه بشـيخنا في جنات النعيم..
يتبع إ ن شاء الله ..

الحلقة السادسة والستون

انتهى برنامج شيخنا في الطائف ..
وعدنا لعنيزة ..
وكما العادة لم يتغير من برنامجي المعتاد شيء
فقد كنت طوال فترة بقائي هناك أسـتزيد بفضـل المـولى سـبحانه من علم شيخنا كما هو حال الزملاء جميعا..
غير أن الله خصني بفضل الله بشيخنا فكـان يزيـدني عنايـة ويرفـع همتي
ويتابعني في تفاصيل الأمـور ومجملهـا، فللـه الحمـد سـبحانه علـى فضله ومنته..
التحق بحلقة شيخنا أحد أقاربي وهو ابن عمتي أحمد ..
وسكن عندي في غرفتي مدة .
ثم انتقل لرفيق له في ذات السكن..
وأقبل على العلم وفقه الله وحصل خيرا كثيرا
وتعرفت في تلك المدة عن طريق أحمد بعدد لا بأس له من الطلبة ..
وكلهم من خيرة الطلبة جدا واجتهادا ..
وكانت أعمارنا متقاربة ..
ويجمع بيننا حب العلم والحرص عليه ..
ومنهم الأخ سعود الحربي ..وهو من أهل جده ..
توثقت علاقتنا نحن الثلاثة حتى جاءت لنا فكرة السكنى سويا خارج سكن الطلاب!!!
لم يكن شيخنا رغم مشاغله العظيمة لتخفى عليه هواجسي ..

فهو يدركها من فلتات لساني وارتباكي..
ولم يكن ابغض شيء لديه عندي من ذلك!!
فكان يقول لي دوما : الثبات الثبات يابني !!
عليك بالاستقرار على رأي واحد إن بورك لك فيه فـالزمه ولا تحيـد عنه..
قال لي مرة أحد كبار طلبته : والله ما خالفت شـيخنا فـي أمـر رآه إلا ندمت
عليه ولا سمعت توصيته ولزمتها إلا ووجدت التوفيق حليفي..
هذا ماقاله الأخ عن نفسه وواقع حاله ..
كان شـيخنا يرانـي غضـا قليـل الخـبرة ضـعيف ومـا زلـت فـي أول الطريق ..
وهذا هو الواقع لا شك!!
ولذلك كان القرار في مثل هذه الأمور راجعا إليـه هـو الـذي يحكـم فيه بما يتناسب مع وضعي..
حينما فاتحته في الموضوع ولمحت له فيه ..
رفض واستهجن وغضب..
وقال : ألحين توك واصل تدرس وقلنـا فلان ماشـي ومجتهـد وتريـد تطلع !!
خلك في العلم ولا يشغلك عنه شيء..
غيرت الموضوع وتناسيت القصة ..
ومرت شهور بعد ذلك ..
وأنا بحمد لله في خير حال ونسينا موضوع الخروج من السكن..
إلى أن جاء موقف لا أنساه وفتح الموضوع من جديد..
ولكن قبل ذلك سأحكي قصة ..
في إحدى الاجتماعات الشهرية مع الشيخ ..
اقترح أحد الطلاب أن نعد رحلة شهرية لطلاب السكن ..
لمدة يوم واحد للاستجمام ..
وأيده جميع الطلبة وفرحوا بهذا الاقتراح ..
وافق شيخنا على ذلك..
بل قال : سأكون رفيقكم في رحلتكم..!!
وافق ذلك هوى في النفوس وشعرنا بنشوة عجيبة أن يرافقنـا هـذا الحبر رغم أشغاله العظيمة..
فجزاه الله عنا خير الجزاء..
في اليوم الموعود وكان يوم خميس..

رتب المشرفون ذلك البرنامج وحدد الموقع ..
وكان ذلك لاستراحة التاجر المعروف الهويش..
والواقعة على طريق المذنب على ما أعتقد !!
شمال عنيزة..
بخصوص تنقلات الشيخ في عنيزة ففي الغالب ليس لي بها علاقة..
ولكنني طلبت منه ذلك وقلت له : أنا تحت تصرفك شيخنا ..
غير أن الوضع في عنيزة يختلف ..
فأبناؤه موجودون وهم تحت تصرف والدهم فحاجته لـي غيـر واردة ..
قال لي شيخنا قبل موعد الرحلة بأيام
: نسق مع شخص حتى يوصلنا للاستراحة..
نسقت مع صديقنا القديم الأخ محمد زين العابدين..
انطلق الطلبة باكرا في الصباح ..
أما شيخنا فلم يتحصل له سوى أن يحضر بعد صلاة الظهر..
مكثت أنا في غرفتي حتى أرافق شيخنا..
استغرب الطلبة من عدم حضوري ..
وقال لي بعضهم معاتبا : تواضع يارجل !!
ابتسمت في وجه معاتبي ولم اجبه..
بعد الصلاة توجهنا مع شيخنا والأخ محمد للاستراحة المذكورة..
قال الشيخ : ايش البرنامج ..؟؟
قال له محمد : هناك غداء ثم أنت تقرر ماذا يكون بعد ذلك ..
وصلنا بعد حوالي عشرين دقيقة ..
دخلنا من البوابة الرئيسية ..
وصعدنا بالسيارة على طريق مرصوف للإيوان الكبير ..
فلما علونا ظهرت لنا الاستراحة كاملة ..
كان ترتيبها ومنظرها ساحرا ..
أشجارها منسقه قد رصت على الطرق وانتشر ظلالها
وتحيط بها الألوف من شجر النخيل ..
وزاد المنظر جمالا تلك البساتين المحيطة الغاصة بكل ما يبهر ..
وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء..
توقفنا أمام الإيوان وكان طلبة الشيخ في انتظاره..
نزل فاجتمعوا حوله وسلموا عليه ولا تسل عـن فرحهـم وابتهـاجهم بوجود الشيخ معهم..
دخلنا للإيوان الفسيح ..

فشممنا رائحة الطعام ..
وجلس الشيخ وتحلق حوله طلبته ..
ثم بدأ في الحديث معهم وقال : كيف كان يومكم ؟؟
فكان الحديث حديثا غير متكلف كما يتحدث الولد مع أبيه ..
وهذا ما كان يريده شيخنا رحمه الله ..
قـدمت القهـوة والعصـيرات البـاردة .. تسـابق الطلبـة فـي خدمـة شيخهم والتحدث معه ..
فكل يدلي بدلوه وكان الحديث عاما بكل تكلـف ولا شـطط وبـأدب مع الشيخ..
من فوائد تلك الرحلات هو اكتشاف المواهب كما يقولون !!
اكتشفنا أن بيننا طالبا مغمورا ولكنه موهوب !!
موهوب في مجال الطرافة ..
رغم جده واجتهاده في العلم..
في البداية استحى من شـيخنا ولكـن إصـرار الطلبـة عليـه وكـأنهم خبروه ذلك
النهار كله أجبره على الحديث ..
الأخ عبد الله باطرفي !!
وهو من سكان جده واصله من بلاد اليمن..
كان جاري في الغرفة المجاورة في السكن ..
ولكـن الجـو العلمـي وانشـغالنا بـالطلب يقلـل لقاءاتنـا سـوى فـي المطعم أو في الدرس ..
فنادرا ما نتواصل!!
استلم عبد الله الشيخ !!
فكان يسمع تعليقاته من خلف الصـفوف ولا يـراه فيضـحك الطلبـة ويضحك شيخنا له ولا يراه!!
وكان نظر شيخنا ضعيفا ..
ولكنه يعرف هذا الصوت !!
فنادى على هذا الطالب وقال : من هذا خلوه يتقدم عندي..
أذكر جيدا وكأنني أرى ذلك المنظر أمامي الساعة..
حينما وقف عبد الله من خلـف الصـفوف وتقـدم خجلا حـتى جلـس بين يدي شيخنا ..
فلما رآه الشيخ عرفه وقال له:
إيه ياعبدالله ايش عندك ؟؟

أتحفنـا عبـد اللـه وأسـرنا بسـواليفه مـع الشـيخ حـتى قـدم طعـام الغداء..
قدم الطعام والذي طبخه الطلبة مع العمال ..
فكان جوا عائليا بين الطلبة وشيخهم..
نزع الشيخ بشته ورمى عمامته فوق رأسه ..
وقام من بين الصفوف وتوجه للمغاسل ..
ثم جلس بين الجميع وأكل معهم ..
وكان عبد الله باطرفي يسأله في مسائل علمية فيقول له الشيخ : ياعبد الله أنت الآن تسألني وأنا أجيب أسألتك فتلتهـم الطعـام وأنـا أجيبك !!
فضحكنا على عبد الله لأن الشيخ ألجمه قليلا !!
ولكن شيخنا كان يتحدث بكل بساطة فيضاحك هذا ويرد علــى كلام هذا
ذكر أحدهم السباحة وقالوا المسبح ..
فقال شيخنا : هل سبحتم ؟؟
قالوا : يوجد مسبح في الخارج ..
قال الشيخ : كنا في أيام الطلب نخرج مع شيخنا ابن سعدي رحمـه الله فنسبح في البرك والوديان ..
فقال عبد الله : هذا في أيام الطلب!!
فقال الشيخ : كأنك تقول أنني كبرت ولم اقدر على ذلك الآن!!
فقال : ما أظنك تقدر يا شيخنا !!
فلمعت في وجه الشيخ ابتسامة وقال : سنرى!!
تغدينا ثم قدم الشاي ..
وجلسنا حول الشيخ لننظر ما هو فاعل ..
جاء عبد الله وكان الشيخ ينتظره ..
وقال : هاه ياعبد الله فيك حيل..
وكان عبد الله رجلا سمينا ..ويسير بتثاقل..
قال : على أي شيء ؟؟
قال : السباحة !!
قال : بالتحدي ياشيخ ..
فقام الشيخ من فوره ..وتوجه لخارج الإيوان ..
خرجنا معهم فلحقت بالشيخ ..وهمست في أذنه ..
وقلت له : هل ستسبح بثوبك ..
فقال لي : هل عندك ملابس سباحة ..؟؟؟

قلت : نعم سأحضرها من السيارة ..
دخل الشيخ لغرفة التغيير وخلع ثيابه ولبس ذلك اللباس ولـم يخلـع فلينته ..
خرج الشيخ بغير ما دخل .. دخل بثوبه وغترته ..
وخرج حاسر الرأس لحيتـه بيضـاء ناصـعة ووجهـه أبيـض تلمـع فيـه وجهه ابتسامة أضاءت المكان..
لما رأى الطلبة الشيخ وخصوصا عبد الله ..
اجتمعوا حول المسبح ..
فقال شيخنا : طب ياعبد الله ..
فقال : أنت أولا !!
حتى إذا غرقت أنقذناك !!
فضحكنا ..
فقفز شيخنا فـي المـاء وسـبح وكـان عمـره حينهـا حـوالي الأربعـة وستون سنة..
ثم لحقه عبد الله ..
ونزلت أنا وغيرنا ..
سبح الشيخ مع تلاميذه ودار في المسبح ..
وتوسط الماء ووقف فيه بحيث يثبت في وسط الماء ولا يتحرك
وقال : هكذا كنا نفعل مع شيخنا ..
حاولت أنا ولكنني لم اقدر ..
أما عبد الله المطرفي فاكتشفنا انه لا يسبح !!
استمتعنا في تلك الرحلة مع شيخنا وتواضعه وسـماحته رحمـه اللـه ..
لقد كانت تلك الرحلة مؤثرة في نفوس الطلبة مع شيخهم ..
فقد عمقت الصلة وقوت الرابطة وزادت المحبة ..
فجزاه الله عنا خير الجزاء..
استأذن الشيخ وخرجت معه برفقة محمد وكان العصر قريبا ..
فقال الشيخ في طريقنا : أريد أن أقيل ولو عشر دقائق قبل العصر ..
فعرضت عليه أن يأتي غرفتي المتواضعة في السكن!!
فقال : لا بأس..
توجهنا للسكن وكان شبه فارغ..
وصعدنا لغرفتي ..
والحمد لله أنها كانت مرتبة ونظيفة!!

وضعت له الفراش فنام حتى أذن العصر ..
حينما سمع النداء استيقظ ..
وتوضئ في مواضئ السكن ..
ثم دخل الغرفة وتسنن أربع ركعات ..
ثم جلس ينتظر موعد الإقامة ..
قلب نظره في غرفتي فرآها ضيقة جدا !!
وقال : ما شاء الله عليك هذا وأنت الحالك!!
حيث تكومت الكتب في الرفوف وغصت فوضعتها في أطراف الغرفة
بطريقة مبعثرة ولا يمكن الاستفادة منها إلا بصعوبة ..
هذا غير كتب الأخ محبوب..
فقال شيخنا : تبي نغير لك غرفة أوسع ؟؟
قلت له : الغرف كلها متقاربة ..
قال : صحيح حنا يوم بنينا السكن ما كنا نتوقع هذا الإقبال من الطلبة ..
ولكن سنجد حل لك إن شاء الله ..
يتبع إن شاء الله ..

الحلقة السابعة والستون

لم يستنكف شيخنا رغم مشاغله أن ينظر في أمري سريعا..
ولكنه رجل متزن وهادي ويأخذ الأمور بتؤدة حتى ولو رآها الآخرون هينة..
وهكذا العلماء في أمورهم وشئونهم كلها ..
رأى الشيخ أنه ليس من الإنصاف مع طلبته أن اسكن وحيدا يخصني من دونهم وهذا غير وارد على الإطلاق في قاموس الشيخ رحمه الله..
والخيار الآخر هو الخروج من السكن وهذه كان الشيخ يستريب منها ..
وذلك أن الشيخ لاحظ أن كثيرا من طلبته حينما يخرجون من السكن يقل مستواهم في الحرص على التحصيل و بعضهم يتغيب عن بعض الدروس وبعضهم يلتحق بحلقات أخرى لعلماء آخرين فيكون في ذلك تشتيتا لمصادر التلقي..
هذا لا شك لا ينطبق على الجميع ..

فهناك مجموعة كبيرة من خارج السكن هم أحلاس الحلقة ونجومها فلا يعم ذلك الجميع ولكنني أتكلم على الطلبة المستجدين أو الذين لم يمر على وجودهم فترة طويلة كحالي ..
كل هذه الأسباب قد جعلت شيخنا يتردد بالسماح لي بـالخروج مـن السكن ..
كان شيخنا يعرف ابن العمة أحمد ويرى منه الجد والاجتهاد..
وكذلك الأخ سعود الحربي ذو الأخلاق العالية والسماحة..
فكنت أذكره أنهما سيكونان رفيقاي خارج السكن ..
وأنني برفقتهما وحرصهما على العلم سنكون خير فريق وسـنتعاون فيما بيننا على التحصيل..
اتصـل علـي الشـيخ يومـا وقـال : اذهـب وقابـل فلان فـي شـارع السلسلة بجوار منزلي القديم..
وصلت فوجدت الرجل المذكور فسلم علي ..
وبادر ..
وأدخلني عمارة متهالكة وقديمة تصدر من جنباتها روائح العزاب !!
صعدت معه للطابق الثاني في درج مكسر ووقف أمـام بـاب شـقة متهالك
ثم فتحة بعد معاناة وما إن رأيت المكـان حـتى أصـابتني قشـعريرة من اتساخه والروائح الهائلة والغبار ...
كل ذلك وأنا لا ادري عن الحاصل !!
قلت للأخ : طيب !!
قال : أظن هذي بتكون شقتك !!
تلبد وجهي وقلت له : ومن يقوله ؟؟
قال : الشيخ هو اللي كلفني بالبحث لك عن سكن!!
بقيت انظر في وجهه وأنا صامت ..
وبقي ينظر إلي محتارا لا يدري ما يقول!!
تذكرت غرفتي في السكن في نفسي فحمدت الله على العافية ..
شكرت الرجل وقلت له جزاك الله خير وما قصرت ..
ناولني المفتاح!!
وقال : هذا مفتاحك استودعك الله !!
وغادر!!
تجولت في شقتي الجديدة !!
غرفة صغيرة عن يمين الداخل ثم حمام أجلكم اللـه .. تنبعـث منـه روائح .. ظن شرا ولا تسأل عن الخبر!!

ثم بجوارها غرفة أخرى واسـعة قليلا قـد نبتـت فـي جنباتهـا خيـوط العناكب فحولتها إلى غرفة أشباح ..
في زاويتها نافذة متهالكة حاولت فتحها فغمرني منها غبـار لـم أرى قط مثله في حياتي ..
انتثر على ثيابي وشماغي ورأيت أثر ذلك حينما خرجـت فـي وجـوه الناس وهي تضحك من منظري!!
هذا كل شيء ..
ولا يوجد مطبخ !!
جدرانها صفراء ..
أما الجيران فهم مجموعة من العمالة العربية والآسيوية ..
تفـوح فـي جنبـات العمـارة روائـح البهـارات والطبـخ منـذ أن تمـر بجوارها..
قابلت شيخنا ظهرا ..
وبادرني قائلا : هه!!
كيف رأيت السكن الجديد!!
قلت له : والله يا شيخ ودي تشوفه أنت أيش رأيك ؟
وصلنا بجوار العمارة وكانت على طريق منزل الشيخ ..
ثم استأذن من الناس ودخل معي ..
كان الشيخ وهو يصعد الدرج يقول : ما شاء الله .. ما شاء الله!!
فكنت أقول في نفسي : اصبر وسترى العجب!!
فتحت الباب ..وكنت أراقب تقاسيم وجه الشيخ !!
فرأيته معجبا مما يرى !!
تجول فيها ونظر هنا وهناك .. وتجول في غرفها ..
قال : أبد استعن بالله وانزل فيها !!
قلت له : هل أعجبتك يا شيخنا ؟؟
قال : ممتازة !!
شكرت شيخنا وقلت له : جزاك الله عني خير الجزاء ..
ونزلنا وشيعته حتى بيته ..
عدت للسكن وأنا حائر ..
أفكر كيف سأنتقل لهذه المرحلة الجديدة ..
دخلت غرفة سكني ..
تذكرت مراحل وصولي لعنيزة ..
آه كيف سيكون حالي في السكن الجديد..؟؟
لا شك أن الإنسان يرغب أن يكون الجو المحيط به مثاليا ..

أنا اعتدت على حياة كما هم أبناء بلدي ..
صحيح أنني عانيت حتى وصلت على ما وصلت إليه ..
ولكن العيش في مثل ذلك المكان شيء صعب للغاية لم أجربه من قبل..
هل تريدون أكمل مالذي حصل ؟؟
كانت نفقتي ليست بالكبيرة ..
وقلت للشيخ رحمه الله ..
المكان يحتاج لتنظيف وشراء أثاث ووو..
فقال لي : صاحب العمارة سوف يفعل لها صيانة!!
كان خبرا سعيدا ..
وقلت متى سينتهي !!
قال :خلال أيام ..
مررت على السكن بعد أيام لكي أرى الصيانة الجديدة ..
فلما وصلت باب الشقة شممت رائحة الطلاء من الخارج..
فاستأنست وأملت شيئا كبيرا ..
فتحت الباب فوجدتها قد طليت ولكن أي طلاء!!
ترقيع !!
هنا وهناك وغالبها بالمعجون وليس بالطلاء..
هذا كل ما فعل!!
اتصلت على صاحب العمارة وقلت له : هل انتهيتم؟؟
قال : خلاص انتهينا ويمكنك النزول الآن!!
استحييت أن ابلغ الشيخ بالحاصل ..
واعتبرت الموضوع انتهى..
سأفتقد جو العمارة والمكتبة والبحوث والطلبة الأفاضل لأنـزل فـي مكان مختلف الله اعلم كيف سيكون الحال فيه ..
أرجو أن لا أكون أثقلت على إخـوتي بمثـل هـذه التفاصـيل ولكننـي أريد أن اشعر إخوتي القراء بالجو الذي يعيشه طلبة العلم ..
أنا اعلم أن هناك من طلبة الشيخ ممن اعرفهم أو لا أعرفهم ..
وقد يكون بعضهم يقرأ كلامي هذا ..
قد وجدوا من العنت والظنك والمعاناة شيئا تعجز عن تصديقه ..
أعرف من ينام طاويا كل ليلة ..
اعرف من نام أسابيع في الجامع ولا يجد مأوى يأوي إليه ..
رأيت احدهم لا يجد مقصا يقص به أظافره ..
منعهم الحياء والعفاف عن سؤال الناس ..

يحضرون الدرس ويخرجون لا يعلم عنهم احد إلا الله سبحانه ..
ولكنهم يحملون في نفوسهم همة ورغبة في العلم تفوق الجبال ..
أولئك حصلوا خيرا عظيما وأعرف عددا منهم الآن في بلـدانهم هـم شامة قد أحيا الله على يديهم قلوب الآلاف ..
اتصلت على سعود واحمد ودعوتهما لرؤية السكن الجديد..
اتفقنا جميعا على أن المكان يحتاج لإعداد وتجهيز !!
جمعنا ما لدينا من مال يسير ..
وأخـذنا فـي تنظيفهـا وترقيعهـا كيفمـا تيسـر .. اخـترت أنـا الغرفـة الأولى على الباب مباشرة ..
وسيكون الأخ سعود واحمد سويا في الغرفة الكبيرة ..
وهذا ما تم بيننا ..
نقلت مكتبتي..
ونقل سعود واحمد ما لديهم من كتب وكانت قليلة فيما اذكر..
اظننا وضعناها في مكان واحد لا أذكر والله..
كانت مشكلة الطعام ..!!
ولا أظن واحدا منا يطبخ !!
وأين سنطبخ؟؟
قال شيخنا : تأكلون في السكن مع الطلاب!!
وهذا ما حصل ..
كان التأقلم مع الحياة الجديدة صعبا للغاية ..
تعودنا على أذان الجامع ..
وعلى الجو العلمي المحيط بنا
كانت النقلة هائلة على النفس والله ..
وأظن الأخوان شعرا بما شعرت به..
أما أنا فقد صرت يوميا انزل لباب العمارة ..
وانتظر قدوم الشيخ فأرافقه للمسجد ..
وهذه ميزة جديدة حصلت عليها ..!!
ولم أكن اشغله عن حزبه حيث يقرأ القرءان في الطريق..
ولكنني كنت أرافقه على كل حال ..
يتبع إن شاء الله ..

الحلقة الثامنة والستون

كان لي في تلك البناية ذكريات لا تنسى ..

خاصة برفقة الأخوين الكريمين أحمد وسعود..
مرت علينا فيها ساعات ألذ من الشهد..
ومرت علينا فيها مواقف عصيبة كما هي الحياة.. دوما لكن ذكرياتها العطرة أكثر وعبيرها في النفس أبقى
إن التأقلم مع الحياة الجديدة وفي جو جديد يحتاج لصبر ومثابرة..
حاولنا جميعا أن نتناسى ما مضى ونبدأ حياتنا الجديدة وبهمة ونشاط
أذكر أن أول شيء عانينا منه هو الاستيقاظ لصلاة الفجر!!
هذا هو الواقع!!
حينما كان يؤذن الريس وهو لقب مؤذن الجامع الكبير..
كانت سماعات المسجد ترن في آذاننا فيقوم الطلاب جميعا..
حيث أوصلت لمنائر السكن سماعات أمر شيخنا بوضعها ..
فلا يبقى لأحد حجة على فوات الصبح..
بل كان الشيخ رحمه الله إن رأى وهو في طريقة للمسجد .. نافذة مضاءة وظن أن أحدا غرفته ولم ينزل للصلاة
يصعد إليه فيضرب عليه الباب ليوقظه للصلاة ..
وكم مرة فوجئت بقرع الباب فأجد الشيخ أمامي!!
فلا تهاون عند الشيخ في ذلك..
أما هنا فالوضع مختلف!!
يؤذن مؤذننا بارك الله فيه بصوت لا تكاد تسمعه..
وكان رجلا مسنا ..
ونحن غالبا نسهر للمذاكرة كعادة الطلبة..
ومن المعيب أمام الله ثم عباده أن يظهر طلبة العلم أمام الناس بأنهم أكسل الناس عن صلاة الفجر ..
اسمحوا لي أن اروي لكم إحدى معاناتي مع المنبهات..
اشتريت لسكني الجديد منبها فكسرته مرارا وأنا نائم لا أشعر!!
كانت تصيبني كآبة حينما استيقظ بعد خروج الناس من المسجد..
وتزيد كآبتي حينما أرى شيخنا في الظهر فيقول لم أرك فجر اليوم!!
فأرخي رأسي حياء وأخبره أنني نمت عن الصلاة!!
فيعرض الشيخ عني معاتبا لتكرر ذلك مني!!
كان الأخ سعود في أول الأمر أخفنا نوما ولكنه رجل حيي يطرق الباب بأدب ثم ينصرف.
فلا يغني ذلك عني شيئا..

وليته خلع الباب وأيقظني فلا ألومه..
حينما تكررت الحال ..
ذهبت لمحل الساعات فقلت للعامل..
أعطني منبها قويا يصدر صوتا مزعجا !!
كان رجلا لبيبا فيما يظهر..
قال : أكيد عندك مشكلة في النوم !!
عندي لك ساعة ممتازة تصدر صوت مزعج وإغلاق المنبه يحتاج لشخص مستيقظ!!
يعني ماذا ؟؟
قال : جرب وسترى!!
نقدته 120 ريالا!!
وأخذت ذلك المنبه السحري..
حينما رن فجرا قبل الأذان أصدر صوتا مهولا يذكرك بجرس المدارس ..
قفزت من فراشي وبحثت عن مكان الإغلاق في المنبه فلم أجده !!
بقي المنبه يصم أذني وظننت أن الجدار سيسقط من صوته حتى هممت أن أرطمها به لتلحق صاحباتها!!
ولكنني استيقظت وهذا هو القصد!!
ذهبت للعامل ضحى وقلت له : كيف أغلق هذه الساعة يا رجل؟؟
ضحك وقال: هنا وأشار لموضع الإغلاق حيث صنعت الشركة موضعا تحتاج لمعاناة ومشقة بضغط عدة أزرار وعلى كل فقد انتشرت ويعرفها من يعاني مثل معاناتي حينها!!
يقولون إذا كثر المساس قل الإحساس ..
بعد مدة اعتدت على صوت جرس تلك الساعة بحيث أنني لم أعد استيقظ على صوتها المروع !!
فمن أين لي بساعة أخرى!!
جلست مع سعود وأحمد وقلت لهما أنا عجزت في أمري رجاء ابحثوا لي عن حل ..؟؟
فاشتكيا أنهما صارا يعانيان مثل معاناتي وبأنهما بسبب السهر والبرد تفوت عليهما الصلاة مرارا ..
قررنا في تلك الليلة أن نربط الساعة بحبل فوق مروحة الغرفة!!
ونجرب ذلك فمن يستيقظ أولا يوقظ الآخرين !!
في اليوم التالي سمعت جلبة في الغرفة المجاورة

فدخلت على جيراني
فرأيت سعود وأحمـد يقفـزان كالمجـانين كـل يريـد الوصـول لتلـك الساعة
الرهيبة ليغلق صوتها الذي يصم الآذآن!!
لا أنسى أبدا منظرهما المضحك وهما يصرخان ويولولان ..
حتى انزلاها ..
وقالا لي :خذ ساعتك هذه لا نريد أن نراها مرة أخرى ..!!
سامحوني إخوتي فقصـة السـاعة والاسـتيقاظ تلـك وجـدتها ملقـاة بالذاكرة أحببت
ذكرها ليقرأها أبنائي ومن قد يهتم ..!!
أذكر مرة أنني في الطائف قبل أن انتقل للقصيم أنني طلبـت مـن إحدى
أخواتي أن تربط يدي بالطاولة حتى لا أغلق المنبه الذي بجواري ..
ظنتني جننت ولكنها أذعنت لطلبي..
فنجحت تلك الفكرة لأيام قبل أن اكسر الطاولة!!
وهذه حيلتي تلك الأيام والله المستعان على زمن الطاعة والتعبد!!
وضعنا لنا سعود وأحمد وأنا
برنامجا صارما في الدراسة ..
كل بحسب رغبته وتوجهه وطريقته في التعلم ..
أخونا احمد كان يجلس وقتا طويلا بمسجد الجعيفيري المجاور..
يراجع محفوظاته وهو محب للعزلة من طبعه..
وحصل محفوظات جيده ..
وسعود انشغل بدراسته وكتبـه وجـامعته حيـث كـان طالبـا بجامعـة الإمام..
وأنا أكملت برامجي التي اعتدت عليها وبحوثي
كان اللقاء بيننا تقريبا على الطعام وجلسات بسيطة غير منظمة..
لكن نبتت بيننا لحمة ومودة كبيرة نمت مع الأيام..
ولا تخلوا أبدا من الخلاف والنزاع والهجر أحيانا !!
وقد كنا جميعا في مقتبل العمر والحياة تجارب ولكن يعلم الله أنني أكن
للأخوين سعود واحمد من المحبة والمودة مالا يمحوه الدهر ..
وأحن لتلك الساعات والأيام كما تحن الأم على ولدها ..
فسقى الله تلك الليالي والأيام..
ومصدر الخلاف إن وجد فهو تافه ولا يذكر بوزن الآن..

كانت تدور بيننا نقاشات علمية ومحاورات قد تتطور حتى تصل حـد الخصومة..!!
وهكذا هو جو طلبة العلم المستجدين حوار ونقاشات ..
فيعود أحدنا لمراجعه وينقب عما يؤيد رأيه وفي اليوم التـالي يلقـي كل بما عنده فلا نصل لنتيجة ..
فيبقى الواحد مخاصما لصاحبه لماذا لم يتبع رأيي!!
كنا أغرارا وقليلو الخبرة وهكذا الحياة لا تتعلم منها سوى بعد فوات الأوان!!
أذكر مرة أنه زار الأخ سعود أحد طلبة العلـم فـي شـقتنا ولـم أكـن اعرف الرجل من قبل وفي تلك الأيـام انتشـر فـي الأسـواق كتـاب للشيخ الألباني أثار ضجة هائلة بين طلبة العلم ..
حول حكم تارك الصلاة..
و كنـت قـد دونـت بحثـا أتعصـب فيـه لـرأي شـيخنا المشـهور فـي المسألة وهو الحق الذي لا شك فيه عندي
وتتبعت فيه أدلة الشيخ الألباني رحمه الله..
ودونت تعليقات عليها وملاحظات ..
فكنت مستوعبا للمسألة ومدركا لكثيرا من تفصيلاتها ..
وكأني لمحت من الطالب ذلك انه يميل لرأي الألباني..
وكان سعود محتفيا به فهو ضيفه ويعـرف حـدتي فلا يريـد أن يفتـح بابا للنقاش والذي يعرف حق المعرفة خاتمته..
ولكنني اندفعت عليه وأخذت أسرد عليـه مـن النصـوص والشـواهد والحجج ما جعله بتلجلج ويخرج من المجلس مغضبا ..
فأخذ سعود في نفسه علي وقال لي: يا أخي ليس هذا وقته!!
ومع ذلك فلم تكن تلك المواقف البسيطة والتافهة لتؤثر في حياتنـا فلدينا
من الذكريات والجلسـات المفيـدة والمواقـف الحميـدة مـا لا يكـاد يحصر
لم يكن الأخ سعود وأحمد معتادان على الخلطة بالشيخ ..
ولقد كنت خير سبيل لهما في ذلك ..
كان شيخنا رحمه الله يدخل شقتنا في الشهر مرارا..
وكان يدعونا دوما لبيته إن جاءه ضيف ..
وكم عادنا إن مرض أحدنا وبعـث لنـا مـن طعـامه وهـداياه وصـلاته التي لم تنقطع فقد عدنا جيرانه من وجهين ..
جيرانه في بيته القديم والذي عاش فيه اغلب عمره ..

وجيرانه في بيته الحديث والواقع في نهاية الشارع ..
في إحدى زيارت الشيخ للشقة قلت له :ارغب يـا شـيخ فـي شـراء وسائد
لكي نتكيء عليها من برد الجدران وإن جاءنا ضيف تجملنا معه!!
فقال : ليس هذا بضرورة !!
ويكفيك أن تضع قماشا أو شيئا خلف ظهرك وبذلك تتكيء عليه!!
رحمه الله ما أبسطه وأزهده بزخارف الحياة..
ولكنه في النهاية سمح لي بشرائها !!
ولم تمـر شـهور بعـد ذلـك حـتى بـدلنا المكـان فصـار يأتينـا الـزوار ويقولون لنا..
كأنكم لستم بعزاب !!
يتبع إن شاء الله

الحلقة التاسعة والستون

المواقف كثيرة فدعونا نحكي مـا يعجـل بالحكايـة ويوصـلنا لنهايتهـا على لا يدخل الملل على القراء الكرام..
وقد يكون بعضكم يرغب أن أفصل أكثر وأن أجعلها كأنهـا مـذكرات يومية ولكن هيهات..
دون ذلك تنقطع الأعناق فوالله ما أدونه هنا يسقط من رأسي دون أن ارجع لشيء مكتوب ..
فلا يلومني لائم في تقدم بعض الأمور وتـأخر البعـض فهـذه حيلـتي والله المستعان..
اتسعت مكتبتنا يوما بعد يـوم وهـذا مـا سـهل علينـا معانـاة التنقـل للمكتبة والبحث في المراجع..
كنا نجتمع والإخوة الأفاضل سعود وأحمد في المكتبة فنراجع ويقـرأ كل كتابه أو يراجع حفظه أو يدون بحثه ..
ما أحلى تلك اللحظات الدافئة حينمـا نسـتيقظ فـي الصـباح البـاكر وخاصة في الإجازات فنشـغل المـدافيء فـي بـرد عنيـزة القـارص وينكـب احـدنا علـى كتـابه فيغـرق فيـه فلا يرفـع رأسـه حـتى أذان الظهر!!
ونحن والله لا نشعر بالملل ..
وليس ذلك بالدائم على كل حال !!
فمراحل الفتور والضعف لا بد منها ..

لا أنسى تلك الوجبات الدافئة من طعام الحنيني !!
وهو من الوجبات الشعبية في القصيم والتي كنا نشتريها من المحلات وهي مغلفة وجاهزة..
فنطبخها على موقد كهربائي متواضع فلنتهم تلك العجينة المخلوطة بالتمر والزبد والقشط فتعطيك الطاقة وتذهب الجوع وتشعرك بالدفئ ..
فتبقى شبعان نشطا طوال نهارك!!
أما عن أوقات الفراغ وما اقلها فكنا نقظيها سويا في زيارة المزارع المحيطة بعنيزة وما أكثرها فكنا نتنزه ونسير بين النخيل الباسقة والظلال الوارفة ..
ذهبنا مرارا لمزرعة الشيخ عبد الله الجلالي والتي هي مفتوحة لكل من يريد دخولها..
فنسبح في بركتها الكبيرة ..
خرجنا في رحلات بسيطة واستأجرنا سيارة جيب سوزوكي!!
أو كنا نستعير من أحد الإخوة سيارته فنخرج لصحراء عنيزة فنطعس فيها فلا تسل عن تطعيس أهل الحجاز في نجد!!
لم تكن حياتنا تسير على رتابة واحدة فنحن بشر ..
نعيش في جد وهو غالب شاننا والحمد لله ..
ونخلطه بالهزل والاسترواح أحيانا ..
كنت قرأت عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله انه كان يقول عن نفسه كنت أقرأ في تفسير الآية مائة تفسير فربما عسر علي من فهما فأخرج وأسير في المزارع أو قال في الطرقات وادخل المساجد المهجورة أو القديمة وأتمرغ في ترابها وابكي وأقول: يا معلم آدم علمني ويا مفهم سليمان فهمني..
ولقد فعلتها مرارا كما كان يفعل الشيخ حيث كانت تضيق علي بعض المسائل ..
فيفتح الله علي بذلك فتحا عظيما والحمد لله ..
ولقد سألت شيخنا رحمه الله عن معنى قول الشيخ : مائة تفسير ..
فقال : يقصد شيخ الإسلام مائة تفسير بمعنى مائة قول ..
فمن المستبعد أن يقصد الشيخ مائة كتاب في الآية الواحدة فهذا ما يستحيل تخيله .. وهذا نظير قول العلماء عن حفظ الإمام أحمد انه حفظ ألف ألف حديث !!!
فالمقصود هو الروايات والأسانيد لا عدد النصوص المروية ..

والله اعلم ..
زارنا في تلك الشقة المتواضعة إخوة كرام بقيت ذكراهـم العطـرة في الذاكرة حتى يومي هذا ..
منهم الشيخ الفاضل مصطفى العدوي بارك الله فيه ولـي مـع هـذا الرجل مواقف جميلة سأذكرها في حينها إن شاء الله ..
ممن كان يعودنا دوما جارنا إمام المسجد الأخ عبـد العزيـز السـليم وكم سمعته مرارا يقول للأخ سعود وأحمد : هل تأتي امرأة للمنزل فتنظفه لكم؟؟
لما يراه من ترتيب وتنظيم فيها لم يعهده من العزاب!!
هذه شهادة ..
كنت مدمنا للبحث العلمي وقد شجعني شيخنا علـى ذلـك بـل كـان يكلفني تقريبا كل يوم بكتابة بحث بسيط عن مسألة ثم يقرأ بحـثي وقد يعلق عليه ويشرح..
وخصوصا تخريج الأحاديث ..
سمعته مرارا وقد قالها علنا في دروسه ..
أنه ندم على عدم اشتغاله بعلم الحديث حيث لم يكن في نجد فــي تلك الفترة أي اهتمام يذكر بهذا العلم العظيم ..
كنت اجلس فـي تخريـج الحـديث الواحـد وجمـع رواياـته وأسـانيده والحكم على كل سند ورجل وطبقـة فـأبقى اليـوم واليـومين حـتى اسلم البحث للشيخ فيقرأه ثم يعلق عليه بالكتابة أو شـفهيا فيقـول : لا ،زده بحثا أو هذا يكفي أو نحو ذلك ..
وكم كنت أغتبط حينما يعلق بالقبول على ما قلته ويؤكد ما توصلت إليه والحمد لله ..
خير من استعنت به من طلبة الشيخ في هذا المجـال هـو الأخ زيـاد النشيري
وهو شاب جمع الله مكتبة حديثية لا يوجد علـى مـا أظـن مـثيلا لهـا في عنيزة بين طلبة العلم..
كنت أعوده في غرفته الباردة دائما في السكن!!
أو فـي عزبتـه الجديـدة فيفتـح لـي مكتبتـه بـارك اللـه فيـه فـأقلب مراجعها واستعين به إن فرغ فأجد بغيتي عنده ..
كان الأخ زياد يتعجب مني أحيانا حينما يراني أكاد اقفـز مـن الفـرح حينما احصل بغيتي بعد عناء ومشقة !!
شعرت مرارا أنا والأخ سعود وأحمد بضعفنا الكـبير فـي جمـع فقـه الإمام احمد..

حيث أننا نرغب في معرفة المذهب على الخصوص ..
كنا ندرس لدى شيخنا رحمه الله فقه الإمام أحمد فـي الـزاد ولكـن يختلط علينا أحيانا مذهبه بالمذاهب الأخرى ..
فحاولنا أن نجد طريقة لدراسته على انفراد على احد مشائخ عنيزة المعتبرين..
قام الأخوين الكريمين بزيارات ومحاولات مع احد شيوخ عنيزة
وهو الشيخ محمد بن عثمان القاضي ..
وهو من تلاميذ الشيخ ابن سعدي ومن تلاميذ شيخنا أيضـا .. ولكنـه اعتذر ورفض!!
وقال : لا أستطيع..
وكم زرناه وتوددنا له ولكنه أصر بالرفض..
ولعله ظننا غير جادين في المسألة ..
كانت قضية ضبط المذهب لوحده أمنية لـي لـم تتحقـق حـتى هـذه اللحظات والله المستعان ..
رغم ما حصلته من علم شيخنا من شرح الزاد فهو خير والحمد للـه ..
في تلك السنة أو التي تليها ..
حدث حفل السنة ..
حيث أعلن في بريدة عن قرب تخريج عدد من طلبـة العلـم الـذين حفظوا الكتب الستة !!
حينما سمعت من طلبة العلم ممن يذهب لبريدة عن ذلك البرنامـج ظننته مبالغة ..!!
قلت في نفسي : البلوغ أو العمدة أما الكتب الستة فمن سيحفظه في هذا الزمن!!
سوى ما سمعته عن الشيخ عبـد اللـه الـدويش رحمـه اللـه .. فهـو فريد زمانه.. هذا ما اعتقدته..
أعلن عن حفل السنة قبل أسبوع ..
وتسامع الناس بذلك ..
وأذكر أن الحفل كان يوم ثلاثاء..
قبل الحفل بيوم أو يومين قيل لشـيخنا فـي الـدرس : يـوم الثلاثـاء ليس هناك
درس أليس كذلك ؟؟
قال : ولم ؟
قيل : حفل السنة!!

قال الشيخ : لم ادع له!!
وجم الطلاب وشعرت بخيبة في نفسي والله من هذا التصرف الغريب..
فقد سمعنا من الاستعدادات لهذا الحفل والدعوات التي وجهت للعلماء
الكبار في أقطار العالم وعلى رأسهم سماحة الشيخ ابن باز وغيره من جلة
العلماء ثم نفا جيء أن الشيخ ابن عثمين لم يدع !!
على كل الموضع له قصة سأحكيها بتفصيلها في الحلقة القادمة يتبع إن شاء الله..

هذا آخر ما كُتب .. وقد كتبه يرحمه الله بتاريخ (**2005-11-29 07:28**)

المصدر :
منتدى أنا المسلم
http://www.muslm.net/vb/showthread.php?t=135394

الساحات

http://alsaha2.fares.net/sahat?230@41.n4KvannsOTZ.0@.1dd7b296

ملحق

(في وداع والدي أبي محمد رحمه الله)

http://saaid.net/gesah/158.htm

بسم الله الرحمن الرحيم

قبل عدة شهور..

كنت أتنزه على شاطئ البحر

حيث تهب الرياح القادمة من الساحل متناغمة مع موج البحر الدافئ ..

كنت حينها منغمسا في همومي وأحزاني ..

فقد بلغ بي الحنين لطفلي الصغيرين معاذ وحنان وأمهما ..

اللذان يبعدان عني آلاف الأميال..مبلغا عظيما..

لقد كان القهر والغيظ يكوياني لعجزي عن الوصول إليهم..

وزاد الأمر سؤا فقدي لعزيز على قلبي..

إنه والدي عليه سحائب الرحمة والغفران..

الذي قتل في حادث مأساوي .. بين ..مكة والطائف

ألا ما أضعف الإنسان..

لو شق صدري في ذلك اليوم لما وسع الناس ما فيه من أسقام وأوجاع..

هذا ما كنت أظن طبعا!!

كنت في تلك اللحظة وأنا أراقب غياب الشمس..

أتأمل البحر..

خطرت لي حينها فكرة غريبة:

ياترى لو ألقيت نفسي في هذا البحر المخيف..

المليء بالظلمات والمهالك..

وسبحت عددا من الأميال..

حتى أجد سفينة تحملني للبلاد التي يعيش فيها أبنائي..!!

هل سأنجو؟

كم من القصص الخيالية قرأت!!

والتي ينجو فيها البطل بمغامرة جنونية..!!

لا تلوموني فقد كدت أجن بل جننت فعلا!!!

لقد بلغ بي التيه و الاشتياق أن فكرت في الأمر جديا..!!!

وما منعني من ذلك والاستغراق في نسج الخطة سوى أن لمعت لي في تلك اللحظة...

قارورة تخفق في الماء علوا وهبوطا...

كنت أراها من بعيد ..

لم أبالي بها كثيرا في أول الأمر..

لكن وفي أقل من لمحة،شاهدت شيئا مميزا في هذه القارورة..

حمسني ذلك وألهاني عن جنوني!!!
لمحت أنها مغلقة بإحكام..!!!
ولفت بشريط حريري جميل..!!
وطويت بشكل بديع في قماش جميل للغاية يبهر النظر..
يميل إلى البياض المشرب بحمرة..
لفتت نظري وألهبت مشاعري وظننت في تلك القارورة الظنون..!!!
فلربما حوت كنزا ..!!
أو أي شيء يدور في مخيلة شخص مثلي..
سرت بمحاذاة الشاطئ محاولا الإمساك بها
اقتربت منها ،لكن لم أجرؤ أن أمد يدي لسحبها فالماء عميق ومخيف..
استمرت المطاردة برهة من الزمن..
وأخيرا أمسكت بها وقد حشرت في جدار صخري..
رفعتها وكان الظلام قد هبط تقريبا..
سمعت إقامة الصلاة للمغرب..
ذهبت للمسجد وصليت المغرب مع الجماعة..
كنت في صلاتي أفكر في تلك القارورة وقد فعل في عقلي خنزب الأفاعيل..!!!
بعد سلام الإمام وانصراف الناس..
خطرت في رأسي خاطره...
ماذا لو كانت هذه الزجاجة عقدة سحر !!
ماذا لو كان في القارورة شرا ينتظرني!!

..

أصابتني هذه الفكرة برهبة حقيقية..
وما يدريني ما هي النتائج إن كانت هذه القارورة تحوي عفريتا أو شيطانا مريدا أو!!!
وبعد تفكير بسيط عزمت على اكتشاف سر هذه القارورة السحرية وليكن ما يكن..
لقد بلغ بي اليأس حدا جعلني لا أبالي بأي شيء..
وهكذا الإنسان إذا مسه الشر يؤسا..
انتظرت قليلا حتى يخرج المصلون من المسجد..

وحين اطمأننت..
فتلت الشريط..
نزعت القماش الحريري..
يا الله...
ما أبرد ملمسه وأنعمه..
أدرت الغطاء ..
فاحت من القارورة رائحة زكية..
لم أشم عطرا كهذا في الدنيا أبدا..
لا والله ما هذه الرائحة برائحة دنيا!!
عجيب !!
ما هذه الخزعبلات!!
أخاطب نفسي..!!!
من شدة شوقي لما في داخل القارورة هممت بتكسيرها استعجالا لما قد يكون فيها..
هززتها مقلوبة ..
بالكاد تستطيع النظر لما في داخلها..
ويا لخيبة أملي..
لقد كانت شبه فارغة..
سوى من صحائف رقيقة طويت بإحكام.. وحشيت بطريقة لطيفة بداخل القنينة..
أصبت بخيبة أمل لأني بلغ بي الطمع البشري حدوده..
وما عساني أن أحلم بغير الدرهم والدينار.. !!!
عانيت في استخراج الأوراق المطوية...
استعنت بقلمي لأخرجها..
آه..!!
كانت الرائحة الزكية تصدر من تلك الأوراق..إذا!!
ذكرتني تلك الرائحة بريح المسك والكافور الذي يوضع على الميت..
سبحان الله..!!
إن ذكرياتي في تلك الأيام لا تنقطع عن الموت وما يتعلق به.!!
والظاهر أن ذلك من نتائج الفجيعة بفقد والدي العزيز....
فهي مرحلة تصيب المكلومين..
ومن ذا يعز علي أكثر من والدي رحمه الله
ووالدتي أطال الله عمرها على الطاعة ورزقني برها..

لقـد قـام المغسـل كمـا هـي السـنة بإحضـار الكـافور والسـدر المدقوق..
ليخلطهما بالماء الذي يغسل به الميت..
كنت حينها واقفا على رأس أبي عليه رحمة الله..
أساعد المغسل في تغسيل والدي ..
كانت الغرفة مليئة برائحة الموت الزكية!!!
وحدث أن صارت كلما فاحت رائحة عطر من أي كان..
تذكرني بتلك العطور التي وضعت على أبي..
دعونا من الموت الآن..!!
ما سر هذه الأوراق..؟؟
وما سر هذه القارورة..؟؟
حين استخرجت لفافة الأوراق..
اتكأت على جدار المسجد وفتحتها ..
لم يبد عليها أنها مكثت كثيرا بداخل القارورة..
ولم يظهر عليها أثر رطوبة أبدا..!!
واضح أنها ألقيت في البحر قبل زمن قريب..
في أعلى الصفحة الأولى.. وبعبارة واضحة كالشمس!!!
وأنا أحملق فيها !!
لقد بهت وصدمت حينما رأيت المكتوب..:
تسلم هذه الصحيفة لأبنائي..
صالح وعبد المحسن ومازن ووليد ومحمد وأم شـهد وأم هشـام وأم باسل ورباب..!!!
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...!!!!!
قفزت من شدة الهول..!!!!
ارتعبت ..!!!
وقفت الدماء في عروقي..!!!
غلا دماغي خوفا ورعبا !!!
صعقت صرخت ياالهي..
..بسم الله الرحمن الرحيم..
ما هذا الذي أرى؟؟
هذه أسماء إخوتي وأخواتي!!!!
رميت تلك الأوراق من يدي..
زحفت للخلف وأنا التفت يمينا وشمالا ..
ياترى هل يراني من احد فيظنني مختلا في داخل المسجد..!!!

أصابتني رجفة وارتعاد..
بقيت شارد الذهن لفترة من الزمن..
ماذا سأفعل..
هل أنا أحلم ..
رفعت يدي نظرت إليها نفخت فيها..
بصقت على يساري ثلاث
بعثرت شعر رأسي..
كل شيء حولي يدل على الحقيقة..!!!
ياللهول ما هذه الرسالة ؟؟
من كتبها؟؟
ولماذا وجدتها أنا في البحر؟؟
ولماذا كتب تسلم لأبنائي؟؟؟
أبي قد مات من شهر..
وأمي بالكاد تكتب..
وجدي قد خرف..
من هو ..؟؟
من كاتب هذه الرسالة؟؟
آلاف التساؤلات مرت كلمح البصر على ذهني..
رقرقت عيناي .. بالدموع..
بكيت ...
تذكرت والدي..
ما أصعب أن يفقد الإنسان عزيزا فجأة بلا مقدمات..
لم أحزن على فقد أحد كما حزنت عليه..
لقد خطفت المنية والدي أحمد من بيننا .. خطفا..
كما تسرق الحدأة فريستها من على مائدة الطعام..
هكذا .. بلا مقدمات..
ولا إنذار..
حينما نقل إلي خبر الحادث ظننت انه لم يمت ..
حيث لم يشأ الناقل أن يفجعني..
قلت في نفسي ..
سألقى والدي وأقول له.. بصدق..
لا طعم للحياة من بعدك يابو محمد..
اقتربت بحذر من تلك الأوراق.. المبعثرة..
عزمت على اكتشاف السر الغامض..

استجمعت قواي..
وقلت في نفسي ..هه..
وما ضرني!!!
فأنا منذ شهور وأنا أتلقى الأخبار المحزنة والكوارث حتى ..
أصبح قلبي حجرا لا مكان للحزن فيه..
حزنت وحزنت حتى لم يعد للحزن معنى!!!
يقول كاتب تلك الأوراق..
إلى أبنائي الأعزاء..
أنا والدكم أحمد بن محمد الغامدي ..
قد توفاني الله تعالى في الثالث من شهر ذي الحجة ..
وذلك بعد غروب الشمس يوم الجمعة..
بعد أن صليت صلاة المغرب والعشاء قصرا وجمعا ..
وذلك في جبل الهدا في الطائف ..
برفقة ابنتي الحبيبة رباب ..
اكتب لكم هذه الرسالة أيها الأبناء وأنا بعيد عنكم..
بعيد عنكم بعدا لا يوصفه مقياس ..
فأنا الآن في دار البرزخ ..!!!
حيث يكون الميت في دار انتقال للآخرة..
بل بدأت آخرته حقا..
إنني أعيش في حفرة مظلمة لا رفيق لي فيها ولا أنيس..
إلا ما قدمت لنفسي.. من عمل صالح..
لا أدري هل ستصدقون أن والدكم يكتب لكم بعد موته..!!!
لا ألومكم يا أبنائي..
لم يسبق لكم أن مررتم بمثل هذه التجربة الغريبة..
وما من ميت مثلي خلف أولادا في سنكم وحالكم...
إلا ويتمنى أن يفعل ما أفعله ..
إنها آهات يا أبنائي..
إنها كلمات أردت أن أخطها لكم بقلمي ..
وابعثها لكم لتستفيدوا منها..
وتعتبروا بما فيها..
إن آخر واحد منكم رأيته هي ابنتي الصغيرة رباب..
أتذكرين يارباب ..
أتذكرين ياعصفورتي الصغيرة..
حينما نظرت إليك قبل لحظات من الوداع..

أتذكرين تقاسيم وجه أبيك..
لقد أردت ياحبيبتي أن أقول لك كلمة ..
أردت أن أحملك رسالة..
ولكني أشفقت عليك..
أن أحمل جسمك الضعيف ..
أمرا ثقيلا تعجز عنه الجبال!!!
ولكن..
لقد كفاني يارباب تلك الضمة الأخيرة ..
ضممتك لصدري لأشم عبيرك يابنتي ..
لقد مضت مشيئة الله أن أرحل من دونك ...
ثم حصل ما حصل من قدر الله..
أتعلمين يابنتي.. الصغيرة..
أنني بعد الحادث لم أمت مباشرة..
لقد استيقظت بعد لحظات بسيطة من الحادث..
كان كل همي أن أراك.. والله
وأطمأن عليك..
زحفت متثاقلا وأنا الكهل ابن الستين سنه...
وقد انفلق رأسي..
وسالت دماء جسدي النحيل من حولي..
لقد أيقنت ياصغيرتي أنها النهاية..
لقد زحفت يارباب أبحث عنك ..
حاولت يابنتي أن أصل إليك..
أردت أن اسبق الزمن إليك ولكن هيهات هيهات..
وقف ملك الموت على رأسي..
شامخا كالطود العظيم..
أشار إلي إشارة فهمتها وقال لي..
كفى ياأبا محمد كفى أيها الرجل الصالح..
إنه أمر الله..!!
نظرت إليه بنظرة توسل..
ولمن حوله من ملائكة الرحمة..
الذين امتدت منهم الطرقات مد البصر ..
أي والله هذا ما رآه أباك ياعزيزتي..
توسلت إليه قائلا..
أيها الملك الصالح..

أيها الملك الصالح..
إنها ابنتي..
نظرة واحدة تكفيني لأطمأن عليها..!!
نظرة واحدة..؟؟
ضمة واحدة.. أرجوك..؟؟
طأطأ برأسه وقال...
يا أبا محمد .. إنني عبد مأمور.. ولا راد لأمر الله...
الحمد لله على قدره ..
سمعت صوتك يارباب ، سمعت استغاثاتك..
أبي، أبي ،أبي...
لم استطع إجابتك يابنتي فقد كنت أنازع الروح...
أحاطت بي ملائكة الرحمة ..
فخرجت روحي من جسدي.. كما يخرج الماء من في السقاء..
وداعـا يـابنتي العزيـزة وليرعـاك اللـه ويحفظـك ويجعلـك مـن الصالحات العفيفات..
أيها الأبناء ..
لكم تمنيت أن يزيدني رب الجلالة في العمر سـاعة أو سـاعتين ..
لأعود إليكم واجتمع بكم .. للحظات..
لحظات أو دقائق.. فقط!!
لتشفي شوقي وألمي لفراقكم المفاجئ...
أردت أن أعود إليكم لأقول لكم وداعا ، وداعا..
لأمسح رؤوس..أحفادي..
لأوزع ابتسامات صادقة لأبنائي..
لأهمـس فـي أذن كـل واحـد منكـم بتوصـيات تصـلح أمـر دينـه ودنياه..
آه ..آه ما أشد مرارتي ..
اشتقت لأم محمد..
زوجتي الغالية..
رفيقة دربي لأربعين سنة..
آه يا أم محمد ..
أنا أدرى الناس بك وبحزنك على فراقي..
أدرك كم تجدين من وجد علي وهذا والله حالي معك..
ياأختاه لقد تعذبت بألم فراقك كما تتعذبين..

ولكن صبرا فإن موعدنا الجنة إن شاء الله..
لو كنت أعلم في تلك اللحظة حينما جلستي أمامي..
قبل ساعة أو أقل من رحيلي من هذه الدنيا..
ووضعت يديك على ركبتي ...
حينما قلتي لي..
أنا لا أذهب بغير إذنك يابو محمد..
لو كنت اعلم بقدر الله تعالى ..لضممتك كما يضم الشـاب الغـر صبيته...
أتذكرين يا أم محمد ..
كم عشنا في هذه الحياة حلوها ومرها..
في الطائف والباحة والرياض وجده ..
قصص لا تنسى وذكريات تتعطر بها المجالس..
لن تحرمي منها أبنائنا وأحفادنا..
حدثيهم ولو قدر لي لحدثتهم عنك ..
أحدثهم عن صبرك وتحملك ..
أحدثهم عن أربعين خريفا مرت بذكريات عطرة ..
لا يعلم خباياها سوانا بعد الله عز وجل..
وأنت يازوجتي الأخرى..
يامن كنت تنتظريني في جده..
رحمتك والله وشفقت عليك..
اسأل الله تعالى أن يعوضك خيرا مما أخذ منك..
أريد يا أبنائي لو استطعت..
أن أزوركم في مجلسنا المعتاد..
اجتمـع بكـم فـي صـالة بيـتي فـي مدينـة الطـائف فـي مخطـط السحيلي..
الذي لم يعد بيتي بعد اليوم..!!!
أتذكرون يا أبنائي والدكم ذلك الشيخ الكهل الذي اشـتعل رأسـه شيبا..
أتذكرون..أباكم..
حينما يدخل عليكم في صالة البيت..
أو أجلـس أمـام دكـة جارنـا سـعيد القحطـاني مـع الأحبـاب والأصحاب من أترابي..
أو حينما أحمل الفـول والتميـس كـل صـباح مـن الـدكان برفقـة هشام أو يزيد..

أو حينمـا أرجـع بعـد صـلاة الظهـر محملا بالجرائـد وأنـا مرهـق تعبان..
أتذكرون جلسات العصر اليومية وشرب القهوة والشاي..
صدقوني..
لا معنى لتلك اللحظات في حينها ولكنها الآن ...
نار تحترق في فؤادي..
إنني أتمنى أن تعود تلك اللحظات لمرة واحدة..
لمرة واحدة فقط..
لأرى شمل العائلة حين يجتمع..
أريد أن أقبلكم واحتضنكم واحدا واحدا..
كبيركم وصغيركم..
كلكم في نظـري صـغار.. ولـو كـان عمـر الواحـد منكـم أربعيـن سنه..
اشتقت لأحفادي ..
يزيد حينما يجري في البيت ويلعب ..
هشام رفيقي في روحاتي للبقالة ..
إبراهيم وعبد الله رفاقي للمسجد..
عبد الرحمن ذلك الولد الشقي..
أسماء ولجين وجنا إنهن رياحيني في الدنيا..
احمد وباسل وبسام ووليد وفارس..
آه ما أعظم لوعتي ...
إن أصعب اللحظات يا أبنائي أن يتمنى المرء شيئا يحبه..
ولكنه يعجز عنه...
لا أدري كيف ابدأ.. وماذا أقول..
فمشاعري مضطربة للغاية ..
والشوق يحدوني لأسجل آلاف الذكريات في هذه الرسالة..
ولكن لن يسمح لي يابنائي سوى بتدوين بضع صفحات فقط..
سأنجزها بأقل العبارات وأصدقها..
أيها الأبناء الأعزاء:
إن أول شيء أوصيكم به أن تتقو الله تعالى ..
يا أبنائي إن من خبر ليس كمن سمع..!!
ليس من يحدثكم وهو يرى كمن يحدثكم من كتاب ..
يا أبنائي إن خير الزاد التقوى..
إن خير حمل يحمله الإنسان في هذه الدنيا هـي طاعـة أو قربـة

للمولى جل وعلا..
والله الذي لا إله سواه لحسنة واحدة لنا يا أبنائي وفي حالنا خير لنا من كل ما في الدني
من بيوت وكنوز وقصور وسيارات فارهة وبنوك وسواه..
صدقوني يا أبنائي لو كـان لـي مـن الأمـر شـيء وعـدت للعمـل لملأت الأرض صلاة وتسبيحا
وقرءانا.. الحمد لله على ما قضى ويسر..
إنني في غبن شديد على ساعات وأيام وشـهور لـم أقضـها فـي شيء ينفعني يوم الدين ..
ولكن العوض فيكم.. إن شاء الله
لقد رأيت كيف ينفع عمل الولد والده..
يا أبنائي نحن في الآخرة في حاجة للحسنة الواحدة
بتسبيحية
أو كلمة معروف
أو ذكر أو صلاة.. وقراءة قرءان..
يا أبنائي لو رأيتم ما رأيت لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا..
لو رأيتم ما رأيت لما انتفعتم من الدنيا بشيء..
لو رأيتم الدود والظلمة في القبر وما يمر به المؤمن من أهـوال فكيف بالعاصي..
أبنائي الأعزاء ...
إن أول أمر أوصيكم به بعد تقوى الله هي الصلاة..
إن الصلاة كالسور يحميك من النار..
إنها الصلة التي تصلك بربك في الدنيا .. وتؤنسك في قبرك فـي الآخرة..
أوصيكم يا أبنائي أن تحذروا من أمور
أحذروا من ألسنتكم.. فإما أن تقولوا خيرا أو اصمتوا..
أحذروا من آذانكم أن تسمعوا حراما أو تتجسسوا ..
أحذروا من مال الحرام يا أبنائي ..
الربا أموال الأيتام ، أموال الناس بالباطل .. مال الحـرام كلـه .. الحذر الحذر من ذلك..
أخيرا يا أحبابي ..
أوصيكم أن تجتمعوا ولا تتفرقوا.. فإن الشيطان يجرؤ علـى مـن شذ ...
ولا يقترب منكم مجتمعين...

إنها مئات بل عشرات الوصايا الثمينة التي أعلـم نفعهـا لكـم إن شاء الله..
أوصيكم بطاعة الله وتقديمها على طاعة كل البشـر مـن عظـم ومن احتقر..
كما أن لي طلبا هو حق لي عليكم..
لا تحرموني ياأولادي من عمل صالح بمالي الذي قد ملكتموه..
لا تحرموني من دعوة صادقة يا أولادي..
لا تحرموني من صدقاتكم وبركم ..
فأنا والله كالغريق يبحث عن كل شيء ينقذه من الهلاك..
أسأل الله تعـالى أن يصـلح حـالي وحـالكم وأن يهيـئ لكـم مـن أمركم رشدا..
وأن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ..
وأن يجعلني من ورثة جنة النعيم..

أبوكم أحمد
يعلم الله تعالى قدر تأثري من تلك الرسالة فقـد انفجـرت باكيـا ما كتب فيها ..
التف مجموعة من أهل المسجد حولي حينما سمعوا نحيبي ..
أخذوا يهدؤون من روعي ويذكروني بالله..
قم يا عبد الله
قم وأنا أبوك
قم قم بسم الله عليك
ايش فيك تبكي.. !!!
نظرت من حولي فإذا أمي فوق رأسي توقظني من النوم ..!!!
لقد روعها بكائي .. فاستيقظت من نومها..
وجاءت توقظني..!!
قم ياولدي قم ..
جلست ومسحت وجهي ..
اجتمع حولي من استيقظ من نومه.. من الصبية والأخوات...
لم اصدق ما يدور حولي..
فقد كنت كالتائه..
طلبت الماء ...
وحينها ...
رن جرس التلفون ..

رفعت والدتي السماعة.. فهتف المتصل..
السلام عليكم
وعليكم السلام ..
هل هذا منزل الأستاذ أحمد الغامدي..
نعم تفضل..
هل ولده (فلان) موجود..؟؟
نعم موجود ... من يبغاه؟؟
معاكم إدارة المباحث في الطائف؟؟؟
ارتعبت الوالدة وخافت ..فشعر المتحدث بذلك.. فقال لها...
لا تقلقي يا أختي القضية أن مكتب الأمير محمد بن نايف يبحث عن ابنك في موضوع ...
انتهى الفصل الأول..
في وداع والدي أبي محمد الفصل الثاني
تعصف بالإنسان كثير من المشاكل..
وقل في هذه الدنيا من سلم منها..
وقد كان لي منها بحمد الله حظ وافر..!!!
فالحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه..
لقد سمعت كثيرا بالأمير محمد بن نايف..
وأذكر أنني سمعت به لأول مرة على لسان أحد مشائخنا عليه رحمة الله..
فقد سمعته يثني عليه مرارا..
وقد خدمني هذا الشاب عن طريق شيخنا المذكور في قضية سابقة..
وفي قضيتي هذه حدثت مواقف لي أذكرها من باب التحدث بالنعم ..
ومن باب تفريغ شحنات القهر والغيض !!

قصتي هذه وقعت أحداثها قبل أكثر من عام ..
وذلك أن جواز سفري غرق جزء منه في حوض علاج طبيعي .. في دولة ما!!!
قمت بتنشيفه بقدر المستطاع ..
ولكن يظهر أنه بتعرضه للهواء مع الرطوبة أصبحت أوراقه مبعثرة وتلفت النظر!!
وبشكل طبيعي وبسبب هيئتي وجنسيتي أوقعني حال الجواز..

في مواقف أحرجتني في مطارات دولية ..
فقد مررت تقريبا بالتحقيق في كل غرفة مطار أمر به ..!!
وهذا لا شك أمر محرج ..
وفي دخولي الأخير للملكة .. توجهت في اليوم التالي لجــوازات مدينة الطائف..
فأريتهم الجواز.. فاختلفت آراء الضباط...!!
فمن قائل : يمكنك السفر به على هذا الحال!!
ومن قائل : لو مررت بي في منفذ لما سمحت لك بالسفر!!

حينها عزمت على تبديله..!!
وليتني ما فعلت!!
فإنه للأسف قد صور الموضوع على أنني..
قد تعمدت محو بعض المعلومات المشبوهة من الجواز!!!
ولا أدري بالضبط من هو العقل الجبار الذي لبس لي هذه التهمة الجيدة!!
حــاولت مــرارا وتكــرارا مــع جــوازات الطــائف لأقنعهــم بعــدم مسئولية هذا الكلام..
وأنه مبني على حجـج فارغـة .. وأننـي إنسـان معـروف بسـلامة الحال!!
فلماذا ألبس ثوبا غير ثوبي!!
طالت المسألة شهرا كاملا .. وحـاولت مـرارا وتكـرارا أن أنفـي ذلك بكل الطرق..
أثبت لهم بالتحقيق أنه لـم يحـذف مـن الجـواز ورقـة واحـدة أو معلومة واحدة..
ولكن يظهر أن من حقق معي قد عزم على شـيء اللـه حسـيبه عليه..!!
فبعد عدة مقابلات معه ..

أدعى المذكور أن علي في ملفي الخاص ملاحظة أمنية !!!
لم يفسر لي معنى هذه العبارة .. ولم يحلني على جهـة تتحمـل المسئولية..
قال هذه أسرار ولا يمكن اطلاعك عليها!!
علمت بأن القضية تعقدت وأن الموضوع خلط بقضية أخرى!!
أشار علي أحد الإخوان بمقابلة الأمير محمد بن نايف..

فهو معروف بين الناس بأنه لا يظلم عنده أحد !!
وكم من مكروب كان سببا في تفريج كربته ..
فأنا بعيد عن أولادي وزوجي .. وعملي خـارج البلاد يتحتـم علـي سرعة الحضور..
وهذا ما كان..
توسطت عن طريق أحد المعارف للدخول على الأمير..
وذلك في حياة الوالد عليه رحمه الله..قبـل شـهر رمضـان عـام 25 للهجرة..
وجهني صاحبي لشخص سيخدمني وقد أوصاه بي خيرا..
دخلت على ضابط برتبة مقدم ..
استقبلني بوجه طلق..
قلت له هل أنت فلان ..
قال نعم....
قلت له لقد روحنـي لـك فلان لتـدخلني علـى الأميـر محمـد بـن نايف..
قال : ونعم فيك وفيمن روحك ايش موضوعك؟
أكيد زواج ؟؟أنتم المطاوعة تحبون الزواج؟؟
قلت له لا, الموضوع هو الحصول على جواز...
لا أدري هل فهم عبارتي أو لا ...
ومع أنه قرأ الخطاب المعد إلا أنه كرر كلمة الزواج مرارا.. !!
لقد كان همي حينها أن أحصل على الجواز .. فقط
فقد مضى علي عنهم شهورا عدة وزوجتي على وشك الوضع..
أذن علينا الظهر ..
فخفت أن أتزحزح من مكاني للصلاة ..!!
ثم لا استطيع الدخول مرة أخرى على الأمير..
فقد رأيت من الزحام عند البوابة ما يجعلني أفكر بذلك حقا!!!
كل هؤلاء جاءوا لمقابلة محمد بن نايف ..
كهولا وشبابا ونساء وحتى أطفالا ومعاقين..
علما أنه لا يقبل فـي الجلسـة سـوى ثمـانين شخصـا فقـط فـي الأسبوع مرة واحد ة..!!
وهو قليل للغاية لمجتمع كبير ومشاكله كثيرة!!
وللأسف الواسطة مقدمة على الحاجة في كل أمورنا..
على كل.. كان في الغرفـة معـي أربعـة أشـخاص وكلهـم جـاءوا بواسطة الضابط المذكور..

تحرجنا جميعا أن نقوم لأجل الصلاة خوفا من أن تبدأ الجلسة أو أن يغيب الضابط..
قال أحد الحضور وهو كبير في السن نحن جئنا من أماكن بعيده ونحن مسافرون ..
فيجوز لنا الجمع..!!
تنفست الصعداء ...
وفرحت بهذه الحجة وأيدته فورا!!!
انتظرنا حوالي الساعة نراقب الداخل والخارج..
بعد ها نادى الضابط شخصا مدنيا وهمس في أذنه بكلمات..!!
وقع في نفسي شك فلربما أراد الرجل تصريفنا وتحرج منا فقد كنا أربعة...
قال لنا قوموا مع الأخ ..
شكرته وودعته وأنا محتار..!!
نزلنا من الدرج من الطابق الأول أو الثاني لا أذكر..
لما وصلنا للأسفل أجلسنا مضيفنا الجديد على المقاعد المرصوصة في بهو الوزارة الفسيح..
أخذت أتبادل النظرات مع أصحابي: هل ياترى عدنا من الصفر؟؟
هل يجب أن نسجل مع المجموعات الهائلة؟؟
حينما رأيتهم صامتين مطمئنين ارتحت وبردت أعصابي ..
فالظاهر أنهم قد جربوا الأمر مرارا..
شاهدت مئات البشر يصفون في صفوف غير منضبطة وفي أيديهم الملفات والأوراق..
ويقف أمامهم ضباط لتسجيل الأسماء وتوزيع الأرقام..
وكما قلت فالطلب كبير والمعروض نزر يسير..
كنت أرى وأنا منهم طبعا!! كيف يتوسط الناس مع مسئولي المراسم..
لمن جاء بواسطة فلان وفلان..
وما أسهل أن يقول الضابط لمن يقف أمامه تعال الأسبوع الجاي!!
طيب هل يعرف هذا المسئول من أين جاء هذا المسكين !!
إن بعضهم يأتي من مئات الأميال .. من شمال المملكة وجنوبها..
ويا ليت الأمر أنه يضمن مقابلة الأمير في الأسبوع التالي..

بل يجب عليه أن يسجل من جديد..
وقد يقابل الأمير وقد لا يقابله ..!!!
وقد يعتذر الأمير من جلسة ذلك الأسبوع إلى أجل غير منظور!!
إن هذا لشيء مؤسف والله ،فكـم مـن صـاحب حاجـة ولا حيلـة له..
ولكـن إذا لـم يكـن إلا الأسـنة مركـب فمـا حيلـة المضـطر إلا ركوبها..
بعد لحظات تمركز مجموعـة مـن حـرس المراسـم فـي مواقـع محددة من البهو..
بحيث لا يسمح لأحد من الناس بالمرور من تلك المراكز..
وقد كنا نحن في وسط المنطقة ..
ارتحت جدا وفرحت بالخصوصية التي نلتها بالواسطة..!!!
والعلم بيد الله وحده فقد يكون ممن منعوا من هـم أحـوج منـي آلاف المرات !!!
ظننت في البداية أننا سنستقبل الأمير في البهو..
ولقد خاب ظني طبعا فالذي أنا فيه هو البداية فقط ..
فنظام البروتوكول معقد وفوضوي للغاية..!!
كما هو حال شعبنا للأسف!!
صرخ فينا ضابط وقال ادخلوا المجلس ..
كانت الكراسي فاخرة للغاية ..
وبطرفة عين امتلأت المقاعد..!!!
ولم أجد مكانا للجلوس..
كانت هناك عدة غرف جانبية تحيط بالمجلس الكبير ..
وقد حشيت حشوا بالناس..
ويظهر أن بعض الغرف هي لكبار الضيوف !! أظن هذا!!
مرت أكثر من ساعة أو ساعتين تخللها توزيع مياه للشرب ..
ومجلة لا أذكر اسمها لكن أتذكر عليها صورة الأمير نايف.. وزيـر الداخلية..
وكنت كلما لا حظت حركة واضطرابا من الناس والعسـكر أظـن الأمير وصل..!!
ولكن تمر الدقائق ثقيلة ولم يحضر أحد..
بعد فترة من الزمن أمر الضباط مجموعة من الجلـوس بالقيـام والدخول في سيب صغير..
وقد رصوا صفا واحدا بطريقة فيها شيء من الإهانة كما أشعر..

كانت إضاءة السيب ضعيفة وفي طرفه الأيسر بوابة تدخل منهـا لمكتب يستقبل فيه الأمير
الناس.. وكـل دقيقـة يمـر ضـابط ليتأكـد مـن اسـتواء الصـفوف وانضباطها،
فتراه يقدم ويؤخر وهو متنرفز بشكل واضح..!!
ولا أدري لما النرفزة !!
فالأمر أهون بكثير ولا يحتاج للقلق ..
ثم إن من الناس الوقوف ،من هم من هو في مناصب يجــب أن تحترم ..
ففيهم الأكاديميون على أعلى التخصصات وشيوخ القبائل..
وفيهم التجار والأثرياء ونحوهم..
والواجب أن يحترم الإنسان مهما كان وضعه ..
ولا شك أن حسن التدبير مما يضفي على الجلسة والأميــر بهــاء وتقديرا..
أشغلت تفكيري حول البوابة التي سيأتي منها الأمير..!!
وفعلا حيرتني ..!!
على كل وأنا في حيرتي وتفكيري وطول الانتظار أخيرا..
جاء الأمير..
هو بشر مثل البشر !!!
طويــل متوســط الطويــل معتــدل البنيــة عليــه ســيما التهــذيب واللطف !!
مع صرامة لا تخفى على ناظر.. فهو بالتأكيد رجل أمن....!!
لا تلوموني ياأخوتي على أوصافي فأنـا صـاحب حاجـة ولا بـد أن أتفرس فيه..!!
جاء يمشي سريعا في حركته بشكل ملفت!!
وهكذا الرجال الجادون !!
وقف أمام صف المعاقين (وكانوا قليلا)في البهو الخارجي..
استمع لكل واحد منهم وأخذ الأوراق وسلمها لشخص بجواره..
ثم دلف علينا..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..
هكذا حيانا الأمير..
رددنا عليه السلام ثـم دخـل المكتـب مـن البوابـة الأماميـة مـن المجلس..
وفورا بدأ الناس في الدخول على الأمير..

يستقبل الأمير الناس وهو واقف..
وبعض المتكلمين يطيلون الحديث معه وبعضهم مثلي ..
يقتله الحياء والمهابة من أن يطلب حاجته بشكل مرض..
وعندما وصلت للسيب المظلم أمرنا العسكري بالجلوس ..
واختار الأربعة الأوائل في الصف ليقفوا بجوار البوابة ..
فالدخول يكون بمجموعات أربعة أربعة,, وهكذا ..
كانت بخور العود يملأ المكان والظاهر أن هذا من عادة الأمراء..
أن تبخر المجالس بحضورهم..
حينما وقفت على الصف أصابتني قشعريرة ..
فقد كنت أفكر في جواب الأمير ..
وماذا سأقول له..
ولم تمض دقيقة حتى صرت في الصف قريبا منه ..
تحدث صاحبي الذي أمامي ..
بالغ في السلام والكلام مع الأمير مما هو معروف ..
ولا حظت أن الأمير يقرب أذنه بشكل مهذب للغاية للشخص المتحدث..
ويتركه يتحدث وينصت له حتى ينتهي ثم ينظر في عيونه ويبتسم في وجهه..
ويقول له: ابشر إن شاء الله تقضى حاجتك أو نحو هذا الكلام..
ثم يلتفت الأمير لمن بجواره ويهمس في أذنه بكلام لا يسمع..
ولكن المرافق..يدونه فورا في مذكرة بيده..
وبعدها جاء دوري ، صافحت الأمير .. وحييته:
السلام عليكم ورحمة الله..
وعليكم السلام ورحمة الله .. تفضل ..
قلت له أيها الأمير ..
أنا قضيتي غريبة ، فمنذ شهور سحب جوازي مني لأنه غرق في ماء..
وزوجتي وأطفالي خارج المملكة..
وعملي خارج البلاد قد تأذى كثيرا بسبب عدم حصولي على الجواز.. الخ الكلام..
قال هل هناك دولة تطلبك ؟؟
قلت أبدا فقد راجعت عدة جهات أمنية من المباحث للداخلية للجوازات وكلهم أكدوا
أن ملفي نظيف لا مرية فيه..

وبشـكل مفـاجئ قـاطعني الأميـر وأمسـك بكتفـي وقـال اصـبر شوي!!
وأخــذ يهمــس فــي أذن مرافقــه !! والظــاهر أنــه تــذكر شــيئا بخصوص الشخص الذي قبلي

فأراد أن يملي على صاحبه قبل أن ينسى..
ثم التفت إلي وقال هل معلوماتـك ورقـم هاتفـك مسـجله علـى الخطاب..
فقلت نعم ..
قال لي ثق تماما سنتصل عليك..
ثم ودعته وانصرفت!!
لم تستغرق القضية دقائق!!
لا أخفيكم أنني خرجت خائبا للغاية ..
هل هذا كل شيء ؟؟ كل هذا الانتظار ثم ولا شيء !!
سنتصل عليك!! فقط..
خرجت من الداخلية وأنا منكس الرأس محبط حيران..
ولكنني أعطيت نفسي أملا بمـا سـمعت عـن هـذا الأميـر ..مـن عدل وأنصاف للمظلوم!!
ولكن هل يعلم الأمير محمد لوعتي وحناني وشفقتي لأهلي..؟؟
لو اطلع الأمير على الغيب وهيهات أن يطلع لكان الأمـر مختلفـا ..
ولكنه بشر .. لا بد له أن يتأكد من كلامي....!!
وهكذا فسرت لنفسي وبررت لغيري لكي تخف الوطأة علي..!!
مرت الأيام ثقيلة كالجبال..
و دخل شهر الرحمة والمغفرة شهر رمضان ..
في إحدى لياليه العطرة جاءني اتصال في الساعة الثانية فجرا..
كان ذلك من صهري..
يبشرني بقدوم المولود الجديد..
صدقوني لقد فرحت وحزنت في آن واحد..
فرحت بقدوم ابنتي وحزنت لبعدي عنهم ..
إنها نعمة عظيمة لا يشعر بها إلا من فقدها رغما عنه...
سمينا ابنتنا حنان أملا بالمولى جل وعلا أن يرحمنا ويلطف بنا..
كنت أتحدث مع أهلي بالهاتف يوميا ..
كنت أنفق أسبوعيا على المكالمات حوالي ألفين ريال..

حتى أفلست أو أوشكت..
اختلفت مع الجهة التي كنت اعمل معها ..
ودخلنا معهم في مشاكل لا يعلم مداها إلا الله ..
ومـع أننـي صـاحب حـق ومظلـوم إلا أن مشـكلة الجـواز هـي الفيصل..
فأنـا مقيـد لا أسـتطيع السـفر لبلـد العمـل لإحضـار المسـتندات اللازمة.. التي تبرأ ساحتي.
اسـتغل بعضـهم فرصـة غيـابي عـن مكـاتبي ليتلاعبـوا بـالأوراق والمستندات كيفما شاءوا..
لم أشعر بطعم رمضان هذا العام للأسف..
ولا يظن ظان أنني غر متصاب .. بل أنا والحمد لله رجـل أصـبر على الشدائد..
ولكنهـا رحمـة فـي قلـبي علـى ضـعافي وصـبيتي .. واللـه المستعان..
و في الأثر كفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول..
جاءني اتصال من مكتب الأمير وأخبروني برقم معاملتي ..
وطلبي مني متابعتهم تلفونيا..
صرت اتصل كل يومين ..
والجواب منهم يقول: مـا زالـت قضـيتك عنـد الأميـر.. ولا إفـادة حتى الساعة..
استدعيت للمباحث في مدينة الطائف..!!
ولم يسبق أن دعيت من إدارة المباحث مطلقا..
قلقت في أول الأمر.. ولكن أين مفر؟؟؟
فلا بد من الحضور..
شعرت عائلتي فـي الطـائف بقلـق شـديد وخاصـة الوالـد عليـه رحمة الله..
حرصت على تطمينهم وأن الأمر لا يتعدى الروتين..!!
حينما تلقيت الاتصال من المباحث للحضور كان المتحـدث معـي ..
شخصا لبقا ويظهر من نبرته الاحترام وسماحة النفس..
كان ذلك من أسباب اطمئناني وزوال الرهبة من ذلك اللقاء..
نزلت لمدينة الطائف ..
في صباح ذلك اليوم اتصلت على زوجتي وأخبرتها بالحال !!
جن جنونها فقـد خشـيت المسـكينة علـي وخشـيت أنـا أيضـا أن

يقبض علي!!
قدمت للإدارة ..
للأسف فإن الجنود الذين على باب الإدارة يتعاملون بجفاء كـبير مع الناس..
ولا ألومهم فثقافتهم ثقافة سطحية ..
وتقـدير النـاس ومراعـاة مشـاعرهم لا وجـود لـه فـي مبـادئهم أصلا!!
دخلت الاستقبال وطلبت الضابط المعني ..
وبعد ثـواني جـاء اتصـال للاسـتقبال علـى أثرهـا صـعدت برفقـة العسكري للطابق الثاني..
لم تكن هذه الزيارة هي الأولى لي للمباحث.!!
فقد سبق وان جئت بنفسي دون استدعاء مرتين وقـابلت نـائب مدير الإدارة..!!
طلبت منه أن يفيدني عن وضعي الأمني؟؟
قال لي : ألحين الناس تهرب منا وأنـت تـأتي طوعـا تبحـث فـي ملفك؟؟
قلت له إن جوازي ممسوك بدعوى أن لدي ملاحظة أمنية!!
صور أوراقي وطلب مني الحضور بعد أسبوع ..
وفعلا جئته فأكـد لـي أننـي سـليم وبإمكـاني الـذهاب للجـوازات لاستلام جوازي ..!!
وطبعا هذا مالم يحدث..!!
ولقد كررت ذلك مع مباحث عليشة في الريـاض فكـان الجـواب مماثلا!!
عندما وصلت للضابط ..
استقبلني بوجه طلق...
إنه رجل ، يكفي أن أسميه رجل ..
قمة في الأخلاق والأدب..
لقد محا الضابط المذكور بحسن تعـامله ولطفـه وكياسـته معـي كل صور الظلام والتعذيب
والقهر.. التي سمعتها عن رجال المباحث ...
إن الرجل بـأدبه وبرفقـه يصـل لحـاجته ومـراده أسـرع وأفضـل وأصدق من طرق العنف..
لقد تولد عن هذا اللقاء علاقة وديـة بينـي وبيـن هـذا الرجـل مـا زالت حتى هذه اللحظة

تتجاوز كل وظيفة ورتبة قيادية لتصبح أخوة وصداقة ورحمة وعاطفة..
بارك الله في أبي وليد فهو رجل فعلا يمثل شعبنا الطيب الأمين الخلوق..
لن احكي ما تم في اللقاء ولكن خرجنا بنتيجة مفادها..
أن لا علاقة بالموضوع بالجواز ..
ولكن يظهر لي وليسمح لي أخي فإنني استشفيت من الموضوع
أن هناك وشاية جاءت عني وعن مجموعة من الإخوة من جهة معروفة..
بالعداء للإسلام والسنة في المكان الذي كنت أعمل فيه..
ولذا تم التحقيق لا للتأكد بل لتبريء ساحتي !!
ولكن هل هذا سبب عدم صرف الجواز ؟؟ الله أعلم ..!!

جاء العيد ولا عيد لي..
كما قال المتنبي في سجنه:

عيد بأية حال عدت ياعيدُ بما مضى أم لأمر فيه تجديدُ

صار الخصيُّ إمام الآبقين بها فالحرُ مستعبدٌ والعبد معبود

من علمَّ الأسود المخصي مكرمةً أقومهُ البيضُ أم آباؤه الصيدُ

وذاك أن الفحولَ البيض عاجزة عن الجميلِ فكيف الخصيةُ السود
جاء العيد وكنت أؤمل أن يأتيني اتصال قبله من الداخلية ليكون عيدي مع أهلي..
فهاهي ستة شهور تمر كستة قرون..
طلب مني الوالد كغير عادته رحمه الله أن أنزل لجدة لأستأجر استراحة للعائلة..
تقضي فيها العائلة فترة العيد ..
ولم يسبق أن استأجرت عائلتنا استراحة في العيد ..
وكأن هذا إرهاصات لنا برحيل الوالد عليه رحمة الله..
لقد شهدت أعيادا كثيرا مع عائلتي في صغري وبعد أن تزوجت

وكبرت..
والذي أوقن بـه أننـي لـم أرى والـدي مسـرورا فرحـا مـع أهلـه وأولاده كمثل أيام العيد هذه..
لا أنسى أبدا ذلك المنظـر الـذي ترسـخ فـي ذهنـي حيـن رأيـت والدي ووالدتي ..
والعائلة كلها والأطفال مجتمعين حول مسبح الاستراحة..
اجتمعـت ثلاثـة أجيـال فـي مكـان واحـد .. يجمـع بينهـم الفـرح والسرور ..
كان وجه الوالد متهللا فرحا طوال الأيام الثلاثة ..
كانت تلمع في عينيه..دموع الفرح..!!
وهل هناك سرور أعظم من سرور الوالد بولده !!
وهل هنـاك شـيء يسـعد المـرء أكـثر مـن أن يـرى أهلـه حـوله سعداء مسرورين!!
إذا لماذا شقي آباءنا علينا أليس من أجل أن تقر أعينهم بنا!!
أظن الوالد حينما كان ينظر إليهم ساعتها يقول..

الحمد لله الذي أقر عيني بكم..

اللهم لك الحمد يا أرحم الرحمين..

كانت الساعات حينها تمر كلحظات من حلاوتها..

كانت النجوم زرقاء والسماء الصافية والرياح تهـب بنسـيم بـارد عذب..

الأطفـال يجـرون ، الفتيـات يضـربن بالـدفوف، النسـاء يرقصـن ويطربن بالمباح..

والشباب يتسامرون في الهزل والحديث المنعش..!!

كنا كأننا في ليالي عرس ..
ولكن من ياترى عريسها ..
لا شك أنه أبو محمد فهو عريس هذه الأيام إلى جنات الخلـد إن شاء الله..

لم يكشف القدر لنا حينها عن ستره الرقيق ..
ولو انكشف لنا بعضه أو كله..
لحول ليالينا إلى أتراح ...من قادم لا مفر منه..
ولكنها رحمة الله بعباده الضعفاء..
أن يخفي عنهم مالوا اطلعوا عليه لحول حياتهم لبؤس وشقاء..
أي بؤس أعظم من فقد والد أو والدة أو ولد..
اللهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الرحمين..
عزمت العائلة أن تكون النزلة لجده سنوية ...
وفي عيد الأضحى القادم ستنزل العائلة لنفس الإستراحة..
ولكن هيهات هيهات !!
فقد خطف الموت الوالد في اليوم الثالث من ذي الحجة
حيث تحول عيدنا ميتما حزينا كئيبا والله المستعان...
بعد انتهاء العيد وعودة الناس لأعمالهم
قدمت للرياض لمقابلة الأمير محمد مرة أخرى..
أتيت لصاحبنا المقدم فتكرم مشكورا ببعثي فورا للمراسم لتسجيلي..
دخلت على الأمير ووقفت أمامه وقلت له بالحرف الواحد:
ياأبا نايف إني عاجز عن الكلام..
لمح الشاب الأمير في عيني الحزن وفي نبرة صوتي اليأس فأمسك بيدي وقبضها !!
وأخذ يقرأ في الخطاب المكتوب.. ثم نظر إلي وقال:
وين تريد تروح ؟؟
قلت لأهلي وعملي..
قال أين؟؟

قلت للبلد الفلاني.. وذكرته..
احتار الأمير ما يقول لي فما عساه يقول !!
ربت على كتفي وقال سأهتم بالموضوع!!
حصلت في تلك الفترة قضايا عملية السيارة المفخخة التي فجرت عند الداخلية..
علمت أن القوم لن يتفرغوا لقضية شخص مثلي فلديهم من المسئوليات ما هو أهم..
زاد همي وإحباطي وضاقت علي أموري المادية سؤا حتى أصبحت أعيش على الديون..

انتهى الفصل الثاني

في وداع والدي أبي محمد الفصل الثالث..
خطرت لي فكرة استحسنتها ولم أشاور فيها أحدا..
وكان فيها نوع من التحدي والانفعال ...
فقد كتبت مقالة في موقع الساحات..
سخرت بما يشيع في دوائرنا الحكومية من فوضى إدارية ..
ومنها الإدارة العامة للجوازات..
ووضعت رقم هاتفي بعد أن حـددت مشـكلتي بشـكل عـام دون تفاصيل..
أقفلت جهازي ونمت..!!
وكان الوقت ضحى..
لا شك أنني كنت قلقا ... وتوقعت أن لا يـؤذن ظهـر ذلـك اليـوم حتى
تحيـط بمنزلنـا قـوات الشـرط و المبـاحث كمـا يحيـط السـور بالمعصم...
استيقظت من النوم فوجدت رقم هاتف غريب.. على جوالي..!!
اتصلت عليه فرد علي صوت أجش ..
قال هل أنت فلان؟؟
خفت وهممت أن أغلق السماعة ،قلت : نعم من يبغاه؟؟
قال أنا من سكان المدينة وذكر اسمه وقبيلته..
أخذ يدعو لي بالفرج ولم ينس الدعاء على من ظلمني..
وأبدى استعداده لخدمتي ومخاطبة المسئولين ...الخ
شكرته وأثنيت على موقفه وطلبت منه أن يـترقب ولا يسـتعجل شيء..
أقفلت السماعة بعد انتهاء المحادثة..
انتظرت للعصر فلم يتصل أحد..
انتظرت اليوم الأول و الثاني و الثالث حتى نسي الموضوع...!!
حينها حكمت على الفكرة بالفشل على ضوء ما حدث..
أمـا التجـاوب فـي موقـع السـاحات فكـان متواضـعا بـل شـبه معدوم..
وحسب علمي فإنه لم يسـبق أن تعـود الأخـوة علـى مثـل هـذه المواضيع الشخصية..
فقضايا الصالح العام لها جمهورها العريض...

بينما القضايا الشخصية تعني صاحبها أولا وآخرا...
بعثت عددا من البرقيات ، حوالي ست برقيات..
ولم يتجاوب معي أحد..
والظاهر أن السبب هو غموض القضية وعدم وضوح معالمها !!
مسكين والله من لا حيلة له مثلي..
لم يمر علي في حياتي أبدا ضيق وحرج كما حالي في تلك الأيام...
شعرت بآلام مرض النقرس التي عادت لي بعد غياب طويل..
راجعت المستشفيات وأشغلت بنفسي..
قال لي الطبيب : الكلى لديك فيها ضعف في نشاطاتها..
وأنت قاب قوسين أو أدنى من الفشل الكلوي..
إنا لله وإنا إليه راجعون..
طيب مالذي سأفعله؟؟
في خضم هذه المشاكل ...
حدثت الفاجعة الكبرى...
والصاعقة القاتلة لما تبقى في من رمق حياة وأمل..!!
دعوني أروي القصة كاملة..
حصل أن طلبت من والدي أن يهبني عقارا لكي أرهنه فأحصل على سيولة مالية..
وقد دخلت في مشروع إعلامي ..أعتبره قفزة في دنيا الإعلام الإسلامي لو تم..!!!
وافق الوالد مشكورا على ذلك ..
وفي اليوم الثالث من ذي الحجة ..
اجتمعت بالوالد أنا وكل العائلة ..
سوى من سافر لماليزيا للسياحة .. قبل عدة أيام...
كانت الوالدة وأختي الكبرى أم شهد وأنا نتناقش مع الوالد حول موضوع الرهن..
وحول المشاريع التي دخلتها ..
لا شك أن الوالد سيقلق علي من غوائل الزمان وما أكثرها..
أذكر جيدا جلسة الوالد ذلك اليوم ..
كانت الجلسة حميمية وعاطفية للغاية ..
وأذكر أن آخر كلمة قلتها له (إذا تم الموضوع فأنت والدي ولو رفضت فأنت والدي)
لم يكن الوالد راغبا في سفر الوالدة للباحة برفقتي للقيام

بتقييم قيمة الأرض..
ولكن بعد إلحاح وترج وافق علـى ذلـك بشـرط أن نرجـع للـبيت ..قبل ظهر اليوم التالي..
نزلت لبيتي في الدور الأول وأحضرت إحدى الكاميرات الجديدة لمشروعي القادم..
عرضتها عليه فحرك رأسه سرورا بما يرى..
جلست الوالدة أمامه بعد أن لبست عبايتها وخمارها ..
ووضعت يديها على ركبتي والدي ..
لم اذكر أبدا أنني شاهدت الوالدة تفعل ذلك من قبل..
داعبت لحيته بيدها وقالت له : أتأذن لي حقا بالذهاب؟؟
والله ما ذهبت وأنـت متكـدر وغيـر راض إلا كـان ذهـابي مشـقة وعنتا.. أو نحو هذا الكلام..
كانت تلك هي نظرة الوداع..الأخيرة ..
كانت آخر ابتسامة وآخرة نظرة بين الاثنين..
ودعت الوالد وانصرفت عنه ..
إنني أكتب هذه العبارات وكأني أنظر لكل شيء أمامي..
نزلت للسيارة ..
وانتظرت الوالدة .. فلم تتأخر ..
وتوجهنا صوب مدينة الباحة ..
كان ذلك قبل صلاة المغرب بنصف ساعة..
عزمنا على تأخير الصلاة للعشاء جمع تأخير..
الوالدة حفظها الله امرأة خمسينية ذربة اللسان..
تطوف بك في السواليف والحكايات شرقا وغربا..
وبما أننا ذاهبون لتقييم العقـار فكـان الحـديث عـن الإرث الـذي ورثه ...
والدي من جدتي مناسبا ..
حدثتني والدتي عن مرض جدتي أم الوالد التي توفيت فيـه وأنـا عمري ثلاثة شهور..
حيـث اتصـلت العمـة بوالـدي الـذي كـان مـديرا لمدرسـة فـي الطائف..
ويسكن في داخل هذه المدرسة حينها هو وعائلته!!
ولا تستغربوا أيها القراء الكرام فهذه حقيقة..
وقد أخبرتني الوالدة بأنني ولدت بهذه المدرسة..
حينما بلغ الوالد بمرض الجده تـوجه فـورا لمدينـة الباحـة لقريـة

اسمها الكرا..
وتقـع شـمال شـرق الباحـة علـى يسـار الـذاهب لمطـار الباحـة الإقليمي..
عرف الوالد بصعوبة وضع أمه ..
فقرر نقلها لمستشفى الملك فيصل في الطائف ..
كانت في شبه غيبوبة وتأن تحت ثقل المرض ..
وصلوا للطائف برفقة أمه وأخته الشقيقة وكانت أمي بانتظارهم بالطائف..
حينما استيقظت الجدة من غيبوبتها ..
سألت عن والدي !!
فجاء من فوره..
قالت اتجه الآن ياولدي للباحة وأحضر صكوك العقارات !!
وأصرت وألحت بأن ينطلق من فوره ..!!
فقد كانت تخشى أن تسـرق أو أن تؤخـذ مـن الـبيت بغيـر علـم أبي..
كانت الجدة امرأة حازمة ووالدي لا يعصي لها أمرا أبدا..
توجه الوالد للباحة وأحضر ما طلبته أمه ووصل في الليل متأخرا متعبا..
حينما عاد أعدت الوالدة الشاي للوالد ليتنشط به من السفر..
ولكن حارس العنبر طلب من الوالد الخروج لانتهاء فترة الزيارة ..
بقيت الوالدة مع الجدة وكنت أنا ثالثهمـا أمـا رابعنـا فهـو ضـيف كريم..!!
إنه ملك الموت عليه السلام!!
طلبـت الجـدة مـن أمـي أن تفـرق لها شعرها فرقـتين وتـدهن رأسها..
لأنها تشعر بصداع شديد وما كانت تعلم بـأن ذلـك مـن عـوارض الموت..
تمددت جدتي واتكأت بظهرها على أمي وأخذت أمي تمشطها..
صمتت جدتي برهة من الزمان ، وسقطت يداها على الأرض..
صاحت بها الوالدة .. يافلانه يافلانه..
لم ترد عليها..
وفجأة فتحت الجدة عينيهـا و قـالت جـدتي بعـد أن مـدت يـديها كأنها ترى أحدا..

تعال يابني تعال ياصالح..تعال ياحبيبي!!
وصالح هـذا أحـد أبناءهـا الـذين توفـو فـي عمـر السـبع سـنوات تقريبا..
ثم رفعت اصبعها وهزته برفق تريد التشهد، وتشهدت ثم فاضت روحها..
هذا ملخص ما حدثتني به الوالدة ..
وأما والدي فإنه حين مغادرتي مع الوالدة للباحة ..
خرج بعدنا بدقائق وتوجه مع أختي الصغيرة رباب..
تحدثني رباب تقول:
كان الوالد يمازحها ويضاحكها طوال الطريق ..
وكنت أريد أحدثه في أمور كثيرة تعنيني..
ولكننـي حينمـا رأيتـه مسـرورا يمـزح كرهـت أن أبـدل مزاجـه الطيب..
لم تكن تعلم المسكينة سر هذا المزاج الطيب ..!!
حينما وصـلا لجبـل الهـدى توقـف والـدي فـي الصـندقة المعـدة للصلاة التي في أعلى الجبل ..
وتأكد من مصلى النساء فنزلا للصلاة ..
وقال لها : صلي المغرب والعشاء فربما لا نعيش يابنتي!!!
سبحان الله !! هل يعلم الميت بدنو أجله..
هل يبلغ بشيء الله أعلم..
غير أني لا حظت فـي والـدي إقبـالا علـى العبـادة فـي الشـهور الأخيرة بما لا عهد لي به..
وتقول أختي وهي رفيقته في عدة سفرات :
لم تكن عادته أن يجمع الصلاة في السفر..
بل كان يحرص أن يصلي كـل صـلاة لوقتهـا فـي المسـجد أينمـا وجد...
يحدثني شخص زارني للعزاء يقول:
قبـل أسـبوعين هـرب شـخص مـن الشـقق المفروشـة التابعـة لوالدكم ..
ولم يدفع أجرة الشقق...
فقلت له يابو محمد عندك رقم جوال الرجـل اتصـل عليـه وبلـغ عنه الشرطة..
قـال الوالـد لا، دعـه فسـوف اسـترجعها منـه يـوم الـدين فأنـا سأحتاجها قريبا..!!

قرأت في كتاب التذكرة للقرطبي ،عن أثر أن الله تعالى إذا أراد بعبده خيرا وكل له
ملك ينشطه للطاعة قبل موته ثم يقبضه على الطاعة.. والله أعلم.
كان الوالد مع كبر سنه يسرع في قيادة السيارة..
فلقد انطلق بسرعة تفوق المائة وستين في الطريق السريع بين الطائف ومكة..
وفجأة ظهرت له سيارة في وسط الخط شبه متوقفة..
ويظهر أنها خرجت من فرجة وسط الطريق...
وقد أنكر ضابط المرور ذلك .. ولكن أختي أكدته وشاهدت السيارة..
على كل حصل أن تنبه الوالد لتلك السيارة ..
فأدار المقود للجهة اليمني لتنحرف المركبة بسرعة قاطعة الطريق من طرفيه...
حينها صرخت الفتاة وسقطت في تجويف السيارة أسفل المقاعد..
وهي من نوع الفرت الدفع الرباعي...
تشاغل الوالد بابنته فقد أيقن بالكارثة ..
جذبها نحوه وضمها لصدره وارتمى عليها.. ليحميها..
سقطت السيارة في الوادي وتقلبت أربع قلبات أو أكثر..
تمزقت السيارة فصارت شذر مذر..
وضرب سقفها الحديدي من جهة الأخت على رأس الوالد ..
كانت الضربة تلك هي القاتلة ..
أما أختي ففقدت الوعي .. ولم تشعر سوى أنها ببطن الوادي فوق شجرة طلح..
على بعد يتجاوز الخمسين مترا تقريبا.. حيث نفحتها قوة استدارة السيارة في الهواء..
وحصل ما حصل مما ذكرته سابقا... والله المستعان..
كانت تلك الأحداث المؤلمة تدور رحاها في طريق الطائف مكة..
وأنا والوالدة نتحدث عن الوالد وأمه...!! وبره بها وكيفية موتها..
تصادف عجيب .. !!!
تزاحم الناس كالعادة على مكان الحادث..
جاء ضابط شهم من قبيلة عتيبة ...

ومنع المتطفلين مـن الوصـول للفتـاة .. حيـث لـم تعلـم بمـوت الوالد.. حينها..
قال أحد العسكر هل الميت يقرب للفتاة ؟؟
فصاحت البنت وولولت..
فقال لها الضابط : ليس أبوك يا أختي إنه الشخص في السـيارة الثانية..
والدك نقلناه للمستشفى وستلحقينه قريبا ..
لقد قام هذا الشاب النبيل بجمع كل مـا تنـاثر مـن نقـود وذهـب ومستندات ..
لأكثر من ساعتين من بعد الحادث..
وسلمها كما هي لي بغيـر نقصـان.. بعـد عـدة أيـام فجـزاه اللـه خيرا..
حين وصولي لمدينة الباحة ... أدركت العشاء في المسجد..
وبعد الصلاة توجهت للسوق لشراء هدايا للأقارب..
وحينها اتصل علي ابن العمة...!!!
كنت فرحا باتصاله على غير عادته !!
قال لي أين أنت ؟
قلت له الآن وصلت للباحة..
قال والدك أصيب بحادث وأختك بخيـر وهـو بخيـر ويجـب عليـك الحضور!!
لم أسمع مثل هذه العبـارة مـن قبـل !! أو أن عقلـي مـن هـول كلامه لم يدركها..!!
طلبته يكرر ما قاله كأنني أبله..!!
وحين أدركت معاني عباراته قذفت بما في يدي من حاجيات..
وحين رأيت الوالدة في السيارة .. ترددت!!
وقفت أنظر إليها من خلف السيارة!!
ماذا عساني أقول لها؟؟
ما هي العبارات المناسبة لموقف مخيف كهذا!!؟؟
اقتربت من النافذة وانحنيت كالمسكين حينما ينكسر للسؤال...
ونظرت في عينيها وقلت لها بصوت خافت وهادئ..
يامه أبي صار عليه حادث لازم نرجع للطائف !!
ايش؟ ما فهمت ايش تقول!! تتعتعت قليلا ثم تماسكت وقالت:
كيـف أبـوك ياولـدي؟؟ ووينـه؟؟ وأختـك؟؟ عشـرات العبـارات انطلقت منها..

قلت لها لا أدري خلينا نرجع ونشوف...
استدرت بالسيارة فورا لرحلة العودة..
لمن يعرف طريق الجنوب في الليل فهـو خطيـر للغايـة ومليـء بالدواب..
ومع ذلك فقد أسرعت بشكل جنوني لألحق بأبي محمد..
وما كنت أدري حينهـا أن الحـبيب قـد وضـع رحـاله فـي دار غيـر دارنا والله المستعان..
خلال الطريق لم تتوقف الاتصالات بيني وبين إخوتي..
فلقد خرجت العائلة عن بكرة أبيها حبا لهذا الرجل ..
ولم يكن يعلم أحد بوفاته قبل وصولنا..
اتصلت في الطريق على جميع مستشفيات مكـة المعروفـة لـي ..
رابني ..إفادة الممرض بنقل الوالد لمستشـفى الششـه وأخـتي لمستشفى النور..!!
لماذا فرقوهما؟؟ قالوا لعدم وجود أسرة بسبب الحج..!!
كانت بعض الاتصالات من الأقارب مزعجة..
حيث لا يراعـي البعـض مشـاعر الإنسـان وهـو يقـود فـي طـرق خطرة..
ولكن الله سلم..
أمرتني الوالدة بالتوجه لمستشفى الششه فقد كان الهم بالوالد أكبر!!
ومن ذا يعز عليها أكثر من أبي محمد!!
ولكن أخي الكبير حين علم بوجهتي وقد علم بموت الوالد حينه
خـاطبني بنـبرة عاديـة ولـم يظهـر عليهـا الحـزن.. بـالتوجه لمستشفى النور..

وأصـر علـي بإحضـار الوالـدة لهـم ، وبعـدها ننطلـق لمشـاهدة الوالد..
في إحدى اتصالاتي للششه طلبت من الممرض بإلحاح كـبير أن يوصلني بالخط لأتحدث
مـع الوالـد، ولكنـه ماطـل بحجـة بعـد التلفـون وأنـه فـي غرفـة العمليات ونحو هذا الكلام..
وحسنا فعل جزاه الله خيرا..
يعجبك فطنة بعض الناس في تصرفاتهم..

كانت الوالدة طوال الطريق تضرب بيـدها علـى صـدرها بشـكل متتابع.. وبدون نواح..
ولصدرها أزيز كأزيز المرجل..
وتقول ياولدي أبوك صار له شيء أنا أشعر بذلك!!
أكيد يابو محمـد صـار عليـك شـيء مـا شـعرت يمـه بمثـل هـذا الشعور قبل اليوم..!!
كنت أسفه رأيها، وفي قرارة نفسي أوافقها ولكنني رحمتها...
ولو تركت للظنون سبيلا لقلبها لانفطر من حينه لا قدر الله..
وصلت لمستشفى النور وبالكاد حصلت موقفا للسيارات..
كنت والوالدة نلهـث خلـف كـل مـن نـراه مقفيـا نحسـبه أخـا أو والدا!!
وصــلت للاســتقبال.. لاحظــت عليــه الــبرود فأشــعرني ذلــك بالراحة..!!
أعطيته أسماء المصابين..
أشار لي بالذهاب لمكتب التنويم..
وبحمد الله قبل وصولي لهم اتصل أخي ..
فقد كانت عاطفتي والوالدة أشبه ببركان..ينتظر الثوران ..
أصررت علي الوالدة أن تجلس على مقاعد النساء..
وبحثت عن أخـوي وحينمـا شـاهدتهما مـن بعيـد.. تفرسـت فـي وجهيهما ..
لعلي أعرف خبرا ..
وحينما التقينا ، أشاح أحدهما بوجهه عني ليخفـي دمعـة تحـدرت من عينيه..
ومن ثم ضمياني وبكيا كطفلين صغيرين..
مات أبونا يافلان مات..
استرجعت ،، ولم استطع الاستمرار في الوقوف فقعدت على الرصيف أبكي كيتيم ...
كان الهم عند إخوتي على الوالدة..
فهـي كـبيرة فـي السـن ولربمـا تسـوء الكارثـة ... وتتضـاعف المصيبة ..
لم تنتظر الوالدة فلقد بحثت عنا فجاءت تتبع الخطى ..
وين أبوكم يامه؟؟
وين أختكم ؟؟
ويش صار وأنا أمكم ..

بكى الأخوان عندها فصرخت الوالدة وسقطت على الأرض..
أما الأخت فقد انكسرت ذراعها وأصيبت بشعور في الظهر.. ولكن الله سلم..
فقد كادت المسكينة تلحق بوالدها ..
فالحمد لله على عافيتها ..
كانت تلك الليلة كابوسا بما تعنيه الكلمة من معنى..
فهول المصيبة ثم ما يترتب عليها من ترتيبات من تغسيل وصلاة ودفن
وغير ذلك تشكل أزمة واستنفارا لكل الطاقات..
لم نذق جميعا طعم النوم ..
كنت في تلك الليلة أفكر بالوالد في الثلاجة ..
هممت أن أذهب للثلاجة لأكون قريبا منه!!
وما عساني أنفعه حينها!!
في ضحى اليوم الثاني ..
اجتمعت العائلة والأقارب والأعمام ..
انطلقنا للثلاجة..
كان يوما مشمسا ، والوجوه عابسة .. كنت وإخوتي كحفاري قبور..
لم نعرف كيف نبدأ كل له رأي وكل يتكلم ولكن ليس بينهم أبو محمد..!!
استكملنا إجراءات استخرج الجثة ومن ثم توجهنا للثلاجة..
كانت سيارة الإسعاف التي ستنقل الوالد جاهزة ومفتوحة الأبواب..
قادنا عامل بنغالي يحمل بيده نقالة صغيرة..
لم يظهر عليه أثر الخوف والتردد مثلنا!!!
كانت أمامه ثلاثة أبواب حديدية ضخمة..
فتح احدها فخرج منها تيار هوائي بارد للغاية..
ويا للمنظر الموحش..
أكثر من مئة جثة قد رصت بشكل فوضوي ..
دخل العامل للداخل فلحقته لوحدي .. ثم تتابع من جرؤ ورائي..
كانت بقع الدماء تملاء المكان ..
والجثث موضوعة في أدراج كأدراج الكتب والإضاءة خافته للغاية ..
بحث العامل في الأرقام وعيوننا جميعا تسير معه..

وأخيرا أشار لأبي.. وقال هذا هو ..!! دونكموه!!
اقتربنا من الوالد كان رحمه الله دقيق الجسم .. قليل اللحـم ... رأيت يده فعرفتها..
أذكر أن أعمامي وإخوتي انكبوا على يده فقبلوه
لم يجرؤ أحد على رفع غطاء الوجه..
فقد كان الدم يغطيه بشكل مخيف..
وعلى جوانب النقالة سقط الدم..
كانت يده بارزة وتلمع فيها أزرار كم الثوب الحديدية..
وكان ثوبه أسودا كما تركته بالأمس..
لو لم أرى الدماء لظننته نائما رحمه الله فقد كـانت كهيئتـه فـي ذلك كما عرفته..
أذكر مرة أنني في صغري وأنا لم أتجاوز الثمان سنوات ..
أنني دخلت على الوالد .. وكان نائما في صالة بيتنا القديم..
كان مهيبا ولا يجرؤ أحد على إزعاجه...
لكنني جرؤت حينها ووضعت راحة يدي علـى بطـن قـدمه وأريـد مداعبته..
عنـدها اسـتفاق الوالـد ونظـر مـن حـوله فحيـن رآنـي لفحنـي بالمخدة وقال لي ياشقي!!
ها أنا الآن بعد أكثر من عشرين سنة أحمله جثة هامدة ...

أخرجناه وتوجهنا به للمغسلة.. وكانت على مسافة بعيدة..
دخلت مع عمي للمشاركة في التغسيل ..
كنت أتساءل .. هل أنا أحلم؟؟ ألم أكن بالأمس معه أتحدث !!
ما أرهب الموت وأعظم ترويعه..
كنت اقترب من وجهه ولا أقدر أنظر إليه .. ولكنني أخيرا رأيته..
خاطبته كثيرا وقبلته ودعوت له..
كانوا يقلبونه يمينا وشمالا كدمية !!
وبالأمس لا يجرؤ أحد أن يقاطع حديثه!!
كان سيدا مطاعا في أولاده وعماله وخدامه وزوجاته واليوم هـو جثة هامدة!!
كان يستنشق الهواء ويأكل الطعام ويمشي فـي الأسـواق والآن يلف بخرقة !!
شقت السنون والهموم في وجهك ياأبي سنون طويلة..
والآن نم قرير العين مطمئنا (بإذن الله)

ياأبي لكم تمنيت في تلك اللحظات أن أكون فدائك.. ولم تصب بخدش!!
ارحل فقد تركت في القلوب جروحا لن يمحوها الدهر لفراقك رحمك الله..
يا أبي لو علمت كيف أصبح حالنا من بعدك ..
تشتت حالنا ، وتبدلت القلوب ، وثقل حملنا من دونك
حملناه للحرم الشريف ووضع الوالد بين يدي الشيخ أسامة بن خياط..
فكبر الشيخ ،فكبر خلفه مئات الآلاف من المصلين .. وسيشفعون له إن شاء الله
حينما وصلنا للمقبرة ظننت أن هناك جنازات أخرى غير جنازتنا
فقد هالني الحشد الكبير من الناس..
أناس جاءوا من كل مدن المملكة من أصحابه وأحبابه وأقاربه بل وحتى طلابه..
لقد مكث الوالد في التعليم خمسة وثلاثين سنة.. حتى تقاعده..
صلوا عليه الجنازة مرة أخرى ثم وضعته وإخوتي في قبره الملحد..
حاولت أن أكشف وجهه لأقبله ولكن ضيق القبر حال عن ذلك..
ردمناه بالتراب .. ونفضنا أيدينا .. وانتهى كل شيء..
مرت من تلك اللحظات حتى آخر لقاء معه بالأمس حوالي أربعة وعشرون ساعة..
سبحان الله ما أغرب صروف الحياة..
أسأل الله تعالى أن يجعله
في مقعد صدق عند مليك مقتدر..
اللهم اغفر لأبي زلله وخطأه وتجاوز عن سيئاته واجعل قبره روضة من رياض الجنة..
انتهى الفصل الثالث..

في وداع والدي أبي محمد الفصل الرابع
انتهت أيام العزاء المعروفة...
بالنسبة لمن جاء معزيا فقد أدى الواجب وانتهى كل شيء..
أما لأهل الفقيد فالحال مختلف كليا..
فضريبة الموت غالية جدا.. يدفعها أحبابه وأصحابه ثمنا غاليا من الأسى والحزن العميق

أما أنا فحالي كما قال القائل تكاثرت الظباء على خراش ..
فما يدري خراش ما يصيد!!!
جاء العيد بعد موت الوالد بأسبوع فقط.. ويا للعيد !!
لا والد ولا ولد... فالحمد لله على كل حال..
بعد انتهاء الإجازة الرسمية للموظفين توجهت لجدة قاصدا مقابلة الأمير محمد..
كنت موتورا وبلغ بي الحنق مبلغه..
بلغني الحرس على البوابة بأنه لا يوجد أحد.. والأمير في الرياض..
ذهبت للرياض في اليوم التالي...
ومن المطار توجهت لوزارة الداخلية مباشرة ..
أتيت لمدير مكتب الأمير...
ولم يكن موجودا حينها..
وحين دخل علينا وقفت له وسلمته معروضا أشرح فيه حالي ..
فقال لي : أنت ممنوع من السفر لسنتين!!
قلت له: لماذا؟
قال القوانين !!
قلت له أي قوانين؟؟ وهل تعرفني؟؟ هل أنا متهم؟ هل تعرف قضيتي أصلا!!
قال لا !! ولكن إذا كان جوازك مفقود فأنت ممنوع من السفر سنتين حسب القوانين..
قلت له ياأستاذي الكريم أنا لم أفقد جوازي بل سلمته للجوازات.. ثم لماذا لم تبلغوني..
أليس من الواجب عليكم تبليغي بحالي حتى أتصرف فأنا منذ شهرين لم أتلقى أي رد..
نادى أحد موظفيه وقال له : انظر في معاملة المذكور وليش ما اتصلتم عليه؟
وبعد دقائق جاء برقم المعاملة وادعى أنهم لم يتصلوا علي بسبب عدم وجود رقم تلفوني!
قلت له مستحيل الخطاب موجود عليه الرقم جب المعاملة!!
وفعلا أكد مدير مكتب الأمير على ذلك وطلب المعاملة!!
انتظرت ربع ساعة لكي يحظر لي المعاملة فلم يحظرها..!!
اتصل مدير المكتب عليهم وغمغم معهم بكلمات ثم قال لي:
ما يوجد عليها رقم، ومثل ما قلت لك راجعنا بعد سنتين!!

هكذا إذن سنتين!!
سأعيش سنتين في جحيم القلق والانتظار..
لو كنت فعلت جرما استحق عليـه الانتظـار لهـان الأمـر ولكننـي مظلوم..
ظلمتني قوانيننـا الغامضـة، ظلمتنـي البيروقراطيـة والتعقيـدات السخيفة..
ظلمتني حيلتي الضعيفة ..
ولكنني لم أعدم الحيل!!
فمن ضاقت عليه حيل الناس المعهودة فليطرق كل الأبواب ..
كما قال الشاعر..
أخلق بذي الصبر أن يحظى بحـاجته ومـدمن القـرع للأبـواب أن يلجا..
قرعت باب الأمير محمد بن نايف ولكـن هـذه المـرة ليـس مـن باب مكتبه ..
بل عن طريق الساحة السياسية..!!
كتبت في ذلك اليوم مقالا ناريا !!
لم أتشجم فيه العناء..!!
فقد أخذ مني دقائق معدودة..
فقد كنت مهيئا للانهيار...
فقد توالت علي النكبات مما يصلح ذكره ومما لا يصلح ذكره ..
فلا مفر من المكروه ..
وما قصدت الشتيمة والله حينها بل أردت أن ألفت الانتباه..!!
فأنا صاحب مظلمة وقد دخلت في دوامة لا يعلم مداها إلا الله..
ومن خبر متاهات المعـاملات الحكوميـة والـتي قـد تـدور وتـدور عقودا من الزمان..
لم يلمني في سلوك درب لا تعلم عواقبه !!
ولا يمكن التنبؤ بخاتمته!!
ولكن خيرا حصل والحمد لله!!
حينما أنزلت المقال في الساحات .. أضفت رقم سجلي المدني ورقم تلفوني الجوال..
وطلبت من الأمير محمـد بـن نـايف أن يسـجنني أو أن يجمعنـي بأهلي وأبنائي!!
هذا هو عنوان المقال..!!
تباينت ردود المشاركين في الحوار فما بين متعـاطف ومسـتاء ،

إلى بعض الذين نبهوني..
إلى خطأ الأسلوب ، وأن الواجب طلب ذلك سرا...
إلى الذين صبوا علـي جـام غضـبهم علـى جرأتـي ووقـاحتي مـع الأمير..
كانت الآراء متفاوتة ومتنوعة ولكنها في نهايـة الأمـر صـبت فـي مصلحة القضية!!
فقد كنت متيقنا أن التفاعل السلبي أو الإيجابي هـو فـي النهايـة سيوصل للمقصود!!!
وهو لفت النظر ، وخاصة نظر الأمير...
اتصل علي مجموعة من الإخوة على الهاتف وراسلني مجموعـة برسائل sms
جاءتني مكالمات خارجية .. أذكر واحدة منها جيدا..
هذه المكالمة كادت أن تحور موضوعي لمنحنى خطر ولكن الله سلم..!!
أصبت بخوف شديد !!
خاصة والدولة حينها استنفرت اسـتنفارا كـبيرا لمـؤتمر الإرهـاب في الرياض..
والذي ستحضره ممثليات دول كثيرة ...
فكان ظهور مقالي حينها غير مناسب بالتأكيد..
لمن يفهم ما أعنيه جيدا!!
وحينها جاءتني خاطرة عجيبة !!
لقد عزمت على الهرب!!
نعم الهرب خارج المملكة!!
كيف ؟؟ ولماذا؟
أما كيف فلا أدري فالهارب يسير في الأرض الفسيحة حتى يجـد مأوى يؤويه..
أما لماذا ؟؟ فقد خفت .. خفت أن تكون عواقب فعلي كبيرة ..
فالهروب خير لي من الأسر والسجن والعذاب..!!
تركت جوالاتي وحقائبي وسيارتي وجميع ما أملك من متاع ..في مدينة الرياض
واستأجرت سائقا بسيارة خصوصي يوصلني لمدينة جيزان!!
سـلكت طريـق الـوادي فهـو أقـرب وأقـل نقاطـا مـن الطـرق الأخرى!!
ولقد صدقت توقعاتي فلقد عمم علـي فـي المنافـذ ولكـن اللـه

سلم!!
كان رفيقي في الرحلة أو السائق من سكان نجران..
جاء للرياض ليوصل عائلة قريبة له..
لم أكن أعرفه من قبل .. ولكن الرجل كان دمث الأخلاق حسن التعامل ..
وحين سألته عن عمله قال أنا موظف في قطاع الأمن الداخلي!!
جرت الأمور بكل هدوء فلم يظهر علي أي شيء مريب!!
كان الطريق طويلا ومملا ولكن السواليف والقصص التي أمتعني بها أبو حسن ..
آنستنا وأنستني من تعب السفر وعذابه..
كان انطلاقنا حوالي الساعة التاسعة والنصف صباحا ..
ووصلنا لمدينة خميس مشيط حوالي العاشرة مساء..
لم يفارقني أبو حسن (وهذه كنيته) حتى تأكد من اتفاقي مع سائق آخر ..
أصر علي أن أزوره في نجران وأن يكرمني بحقي بالضيافة في بيته..

وأعطاني رقم تلفونه وغادرني نحو أولاده..
انطلقت مع سائقي الجديد بسيارة خصوصي أيضا وتوجهنا لمنطقة فيفا..
كان يحمل في وسط جسمه خنجرا مغمودا !!
سألته عن سر هذا الخنجر؟؟
قال هذا شيء ورثته عن أبي وهو من عاداتنا نحن أهل رجال ألمع!!
قال لي ؟
هل سبق ذهبت لمنطقة فيفا ؟
قلت لا..!!
قال هل هناك شخص تعرفه أو قريب ونحو ذلك؟
قلت لا !!
قال ياولدي المنطقة طريقها صعب ونحن سنصل إليها بعد منتصف الليل ..!!
فلماذا لا تبات في الفندق وغدا الصبح تذهب إليها..
قلت له أبدا ، أوصلني لفيفا وأنزلني عند جامعها وسوف

أتصرف!!!
أخـذت ألهيـه بـالكلام فـي أمـور جـانبيه لأشـغله عـن الأسـئلة المحرجة؟؟؟
كنت أحسب الوقت وأسابق الزمـن فإمـا أن يقبـض علـي أو أن أفر!!
ولكن أين الفرار وكيف ؟؟ والله لم أكن أدري !!!
فيفا منطقة ساحرة الجمال وهي جبل ضخم تسكنه قبيلة فيفا..
ومنظر هذه المنطقة ليلا أو نهارا منظر بديع للغاية!!
عندما وصلنا قريبا منها شاهدت أضواء متناثرة في ارتفاع شاهق يكاد يغطي الأفق!!
سألت السائق أين نحن متجهون؟؟
قال هذه فيفا !!
تقع المنطقة على الحدود اليمنية ولذلك قصدتها!!!
حينما وصلنا للمفرق المؤدي للجبل رأيت شققا مفروشة..
طمعت في الفراش الوثير فأنا لم أذق طعم النـوم منـذ حـوالي 24 ساعة..
وفعلا غامرت بالنوم في الشقق مـع أن ذلـك خطـأ قـد يـوقعني فيما فررت منه!!!
نمت كنوم الذئب ..
وفي الصباح توجهت لسوق المنطقة واسمها (بني مالك) ..
ومنها يظهر جبل فيفا بوضوح خلافا لليلة الماضية..
اشتريت بعض الاحتياجات الضرورية ..
ثم تعاقدت مع سائق يوصلني لجبل فيفا المجاور ..
على أن يجد لي مكانا أسكن فيه هناك...
وهكذا كان..
استغرقت الرحلة من بطن الوادي للجبل حوالي الساعة ..
تدور في طرق ومزالق مهلكة ..
تعاقد لي صاحبي مع صاحب المنزل على أجر متفق عليه..

وكان رمزيا .. ووافقت عليه..
وحينما دلفت للغرفة المعدة للسكن..
رأيت بقايا شجرة القات على بساط الغرفة!!
سألت الصبي : هل هو مسموح !!
قال : نعم فقط في فيفا !!

المنزل الذي نزلت فيه يقف على هاوية سحيقة..
ومن نافذته ترى الناس والسـيارات فـي أسـفل الـوادي كحجـم الذر!!
ومع ضيق الطرقات تسير السيارات فيهـا بجـرأة عجيبـة لا يكـاد يفعلها سواهم !!
أهل فيفا رجال كرام فيهم النخوة والشهامة ..
لا يشعر الضيف والغريب بأنه خارج أهله ودياره ولكن هيهات!!
فبالنسبة لي لا يغني عـن حـالي مـال ولا بنـون إلا رحمـة أرحـم الراحمين!!
كانت المناظر الخلابة من ذلـك الجبـل لا تغرينـي ،فقـد صـادفت قلبا خاويا فارغا!!
وما عساها تنفعني في محنتي وشقائي والله المستعان..
منذ يومين والأخبار منقطعة عني ..
ولم أحاول الاتصـال علـى أي كـان ، خوفـا مـن معرفـة مـوقعي الحالي!!
وآخر مكالمة لي كانت من الرياض مع أخي وزوجتي ..
وشرحت لهم حالي ...
وقلت لهم توقعوا عدم اتصالي عليكم فترة طويلة..!!
بعد ذلك بدأت فكرة تحديد طريقة العبـور المناسـبة خـارج البلاد ..
كنـت أحـاول الحصـول علـى المعلومـات عـن طريـق الشـباب الصغار لكي لا ألفت النظر..
كـان بجـوار غرفـتي درج طويـل ورقيـق يوصـل لمسـجد صـغير للغاية لا تتجاوز مساحته
5x5 متر مربع..
وفرشه جديد ومبني بشكل بدائي ، له كوة صغيرة في محرابه تشرف على الوادي السحيق..
قدمني الناس للصلاة بهم مرارا..
وغالب وقتي أجلس في المسـجد متلحـف بجبـة سـميكة.. أقـرأ وأستخير واصلي فيه..
دعوت الله بصدق أن يهديني إلى الصواب في قولي وفعلي..
دعوته أن يلهمني رشدي ويقيني شر نفسي..
أكثرت من التضرع لله تعالى فأنا مقدم على قرار خطيـر يكـون له ما بعده..

فكرت مرارا وتكرارا .. هل ما أفعله صواب؟
هل كل ما أفعله يفيدني في ديني ودنياي؟
سألت نفسي : انظري يانفس أين أصبحت؟ وأين تسيرين؟
أين سأذهب ؟ ومع من؟ ومن يضمن لي السلامة؟؟
ثم إلى أين؟
تساؤلات كثيرة !! وأجوبة معدومة..!!

فكرت في حياتي كيف كانت وأين صرت وأين أسير..
بقيت على هذا الحال ثمان وأربعين ساعة ..
وأنا أدور في المسجد ذهابا وإيابا أنظر في حالي وعواقب الأمـر الذي سوف أفعله!!
ناداني صاحب البيت للجلـوس علـى دكـة معـدة للجلـوس أمـام الوادي في منزله!!
جلست من بعد عصر اليوم الثاني حتى غربت الشمس!!
إن لشرب الشاي على تلك الشرفة طعم خاص ..
وخير مكان للتأمل هي المواضع المرتفعة ..
ومن جرب ذلك عرف ما أعنيه..
حيث ترتخي الأعصاب وتهدأ الطباع ويطيب المزاج..
كانت جلسة رائعـة.. تـرى مـن خلال الضـباب الكـثيف الأطفـال يلعبون ويمرحون في
الحقول والبساتين على الجبل الشاهق....
تسمع أصوات الديكة تتردد في الوادي ..
كان أجمل وقت حينما تبدأ المساجد بالأذان فيتردد صدى التكبير في الوادي..
ما أجمل الأمور على طبيعتها ..
خاطبت نفسي حينها كثيرا ..
وبعد تفكير عميـق سـبقتها دعـوات واسـتخارة عزمـت علـى أن أرجع أدراجي..!!!
نعم يجب علي العودة!! كفى هروبا كفى..!!
فقد رأيت أن قرار الهروب فوائده إن وجدت لا تقـارن بمصـلحة العودة ..
إن مواجهة المشكلة والسعي بحلها بكـل الطـرق الممكنـة خيـر من تعليقها ..
ففــي النهايــة لا بــد مــن مواجهتهــا فالأفضــل التعجيــل بــذلك

والمبادرة!!
كل ذلك حصل وأنا لا أدري بما يخبئه القدر لي !!!
طلبت من ابن صاحب المنزل أن يوصلني للوادي ..!!
قلق الرجل من هذا القرار المفاجئ !!
وقال خيرا إن شاء الله ظننتك ستمكث عندنا مدة أطول..؟؟
شكرته وأكدت له بأنني سأعود له يوما بصحبة أهلي وأبنائي فمنطقته تستحق العودة!!
وصلت لمطار جيزان في الليل ..
وقال لي بائع التذاكر : ما فيه مقاعد خالية قبل عشرة أيام!!!
وماذا أفعل في جيزان عشرة أيام!!
ذهبت للفندق ومنه اتصلت على زوجتي..
كانت تبكي بكاء كالطفل الصغير.. تقول هل ضربوك ؟؟ هل أنت في السجن؟
ماذا فعلوا فيك؟؟ قلت لها: يامرأة أنا بخير !! لا تقلقي ..
وطمأنتها على حالي وأن الفرج قريب!!
اتصلت على الوالدة وهنا كانت المفاجأة.. قالت :
المباحث قالبة الدنيا عليك ..ايش سويت ياولدي!!
أخذت المعلومات منها بالتفصيل ثم أغلقت الهاتف ... حتى لا ترصد مكالمتي..
وأخيرا تحققت ظنوني فهاهم القوم يبحثون عني!!
هممت بالرجوع والهروب مرة أخرى..
وقعت في حيرة ماذا أفعل ..
هل ياترى أسلم نفسي..
حاولت الدخول لمنتدى الساحات السياسية من مقهى للانترنت ولكن هيهات..
فالمنتدى ممنوع !!
أخيرا رجعت لغرفتي وحاولت النوم وعيني على باب الفندق أن يكسره زوار الليل!!
بعد صلاة الجمعة توجهت للمطار ..
سمعت نداء الطائرة على الرياض..
توجهت لبائع التذاكر .. قال لي اذهب سجل انتظار..
عندما وصلت للكاونتر قال اذهب جب التذكرة بسرعة هناك مقعد خالي..!!!
طرت من الفرح ، وسابقت الريح لأركب هذه الطائرة

ولم تقر عيني حتى حملني مقعد الطائرة!!!
في الطائرة تصفحت كل الجرائد قلت لعل اسمي موجود ضمن قائمة جديدة للمطلوبين!!
وبعد ساعة ونصف وصلت لمطار الرياض..
كنت أمشي فيه وأنا خائف أترقب!!
ومنه توجهت لمكان إقامتي ..
حين وصلت وجدت كل شيء طبيعي تقريبا!!
دخلت لسكني فحملت الجوال فوجدت فيه 166 اتصال وعشرات الرسائل!!!
لاحظت فيها رقما أعرفه لشخص مهم من رجال الأمير محمد بن نايف القريبين منه
وقد أرسل لي رسالة يعرف نفسه ..
اتصلت عليه فقد رغبت أن يعلم الأمير بأني أسلم نفسي قبل أن يصلني رجال المباحث..
لم يرد علي في أول الأمر ..
وبعد صلاة العصر ..
اتصل علي ذات الرجل .. فقال لي: يارجل أتعبتنا أين كنت؟؟
قلت له : عفوا تركت الجوال وكنت خارج الرياض..!!!
قال هل تعرف موعدك اليوم ..؟؟
قلت مع من ؟؟
قال مع الأمير محمد بن نايف..!!
قلت له اليوم جمعة؟؟
قال ليس في مكتبه..بل في بيته!!
قلت له أفعل إن شاء الله ..
طلب عنواني وحدد مكانا وموعدا للقاء السائق الذي سيأخذني لمنزل الأمير..
بعدها ذهبت لمكان عملي..
كنت شغوفا لأدخل موقع الساحات لأعرف أين وصلت إليه الأمور!!
وبعد دخولي وجدت موضوعي هو الأول في السياسية ..
بعض التعاليق تؤكد أنه قد قبض علي..!!!
وبعضها يدعوا لي، ومنها من ترحم ومنها من يشمت!!!
جاءني اتصال من نسيبي قال يافلان هناك شخص يريدك!!
ناوله الهاتف فإذا هو ضابط مباحث من الطائف..!! قال:

يا أخي أقلقتنا عليك ونحن نبحث عنـك مـن يـومين!! ونحـو هـذا الكلام .. وقال:
هل تعلم أن لديك جلسة مع الأمير اليوم ..؟؟
قلت له : نعم ، بلغت به قبل قليل ..
قـال سأرسـل برقيـة بموقعـك وتلفونـك ليتصـل عليـك رجـال المباحث في المنطقة !!
سبحان الله مبدل الأحوال ..
أصبح القوم يبحثون عني وأنا كنت أبحث عنهم شهورا..!!
كنت قلقا من المقابلة ..
فلم أكن مستعدا لها!!
تمنيت أن تتأخر الجلسة أو أن ينشغل الأمير..
فقد كنت لا أدري عن اللقاء أين سيقودني ؟؟
فقد يكون الأمير غاضبا مما كتبته !!
فلعله إن أخرت الجلسة أن يهدأ قليلا ..ويبرد الطلب..!!
ولكن الله تعالى أراد شيئا آخر ..
فقد اتصل علي شخص ...
وقال أنا مـن طـرف الأميـر محمـد بـن نـايف.. وسـوف أوصـلك إليه..
وهكذا أسقط في يدي فحينها لا مفر ولا مقر..
حددت الموقع وانتظرت المذكور فجاء على الموعد ..
صافحني بأدب جم، وعرفني بنفسه..
انطلقنا بسيارته ..
لاطفنـي فـي الكلام وكـأنه يريـد التخفيـف علـي مـن مهابـة الموقف..
ذكر لي أن كثيرا من الناس يدخلون على الأمير
فتصيبهم مهابة الموقف بالارتباك والوجل.. ..
ولكن بعد أن يجالسوه ويروا شخصيته الحقيقية ..
فإن الوضع يختلف تمامـا فالرجـل متواضـع للغايـة وبسـيط فـي تعامله ...
وهو يقابل الناس باحترام على اختلاف منازلهم.. ومشاربهم....
دخلنا منزل الأمير الفسيح .. كان شبه خال ..
حسبت أن هناك جلسة عامة للناس في بيته الفسيح..
لم أركز النظر في بيته فأنا لم أجيء لأمتع نظري ببيته العامر..
زورت فـي نفسـي كلامـا كـثيرا طـار كلـه أو أغلبـه عنـد رؤيـة

الأمير...!!
بقيت في الصالون الكبير أشرب القهوة والشاي برفقة السـائق ..
تحدثنا في أمور كثيرة .. ولم يظهر الرجل أنـه يعلـم بموضـوعي الذي جئت لأجله..
حدثني عن المقابلة التي تمت منذ فترة ..
بين الأمير محمد ومجموعة من الشباب ..
الذين لديهم مشاكل أمنية ...
حـدثني كيـف أن الأميـر محمـد كسـب قلـوب هـؤلاء الشـباب المتحمس برفقه بهم..
وهكذا الرفق ما كان في شيء إلا زانه ..
سمعت بهذه الجلسات وقرأت عنها بالانترنت..
استمع الأمير لمشاكلهم الأمنية وحتى الاجتماعية منها ..
مجتمعين وفرادى ...

كان الواحد منهم يخلـوا بـالأمير فيفـرغ كـل مـا فـي جعبتـه مـن مشاكل دون تحرج ورهبه ..
خرجوا جميعا من عنده وقـد حلـت مشـاكلهم وطـويت صـحفهم وهكذا الحكمة فلتكن..
لقـد انتشـرت قصـص ومواقـف الأميـر محمـد مـع هـؤلاء فـي المنتديات والمواقع ..
إن هذا الأسلوب الجريء ومن رجل أمن بـل هـو الرجـل الثـالث في الأمن في كل البلد..
هو بلسم شاف على قلوب كثير من الشباب التي عصـفت بهـم العواطف..
إنهم في حاجة للقلـب الحـاني ولليـد الناعمـة لتمسـح رؤوسـهم وترجعهم
برفق ولين لجادة الحق والصواب..
فهم والله قريبون ، وهينون ، وغالبهم جاهل ضعيف الحجة ..
ولكن غيرته وحرمانه ممن يوجهه أضله عن السبيل..
لقد كان لهذه المقابلات أثر هائـل فـي نفـوس كـثير مـن شـبابنا الذين..انحرفوا عن الجادة ..
فكانت سببا لعودتهم للحق ، والتزامهم بالنهج السوي..
إن الأمير محمد بن نايف قد أقفل بهذا الأسلوب الحكيم ..

أبوابا للفتنة والشر لا يعلم مداه إلا رب العالمين..
وما ضره ذلك !!
ما ضره مقابلة هؤلاء الفتية .. فهم في مقام الإخوة والأبناء..
إن السياسة الصادقة والمبنية على الشفقة والرحمة بالأمة ..
هي قانون مستنبط من هدى رسل الله عليهم السلام ومنهم رسولنا محمد صلى الله
عليه وسلم.. كما قال تعالى(لقد جاءكم رسول من أنفسكم حريص عليه ما عنتم
بالمؤمنين رءوف رحيم)...
بينما نحن نتحدث ..أنا وصاحبي ..
وفي حوالي الساعة التاسعة وربعا دخل علينا الأمير محمد ..
لم يكن وجهه غريبا ..
فقد كان لقاءنا الثالث ولكن هذا المرة ليس أحد سوانا..!!
خرج السائق وبقيت أمام الأمير لوحدي..
وقفت في مكاني على استحياء منه..
فسلم وصافح بحرارة ..
قال لي هل أنت فلان ؟؟
قلت نعم أنا هو..
قال أهلا وسهلا فيك ...
الله يحلك يخوي مما قلته في ..!!
لقد فشلت واستحييت من كلامه .. فأردت أن أستوضح المقصود..
قلت له مكنيا :
يا أبا نايف وهل قلت فيك مكروها؟؟
قال : ألم تقل عني كذا وكذا ؟؟
قلت له حاشاك والله... فا أنا لم أقصد ما ذكرت ..
ويبدوا أن الأمر نقل إليك على غير حقيقته..
هل قرأت كلامي الذي كتبته أيها الأمير..؟؟
قال : لقد مررت عليه سريعا.. فقد كنت مشغولا بمؤتمر الإرهاب ..
قلت له :إن الكلام اللي نقل لكم أيها الأمير قد وضع في غير سياقه..
ولو نقل لكم بنصه غير مبتور لوضح لكم المعنى..
تفرجت أساريره رضى بما قلت .. ثم قال:

ولكن ما علينا : أنا قد أحللتك سـواء بنظـرك أنـت أسـأت أو لـم تسيء !!
تحدثنا في أمور تفصيلية لا يصلح الحديث عنها ..
لكنني كنت استمع لألفـاظ الأميـر وكلمـاته وأنظـر فـي تقاسـيم وجهه ..
فأعرف صدق مشاعره وطيبته ..
كنت أحيانا أقاطعه في كلامه ..
لم يتبرم من جرأتي وهذه عادتي للأسف..
كان يضع يده على يدي ليهديني حين يرغب في استكمال شـيء بدءه..
هذه اللمسات البسيطة...
أكبرها في الأمير محمد..
أكبرها وأذكرها من حسناته ..
فقد عهدنا من أمثاله شأنا مختلفا ..
ولو قال قائل ينبغي للأمير أن يتعامل بأسلوب أشد مع الناس..
لما لامـه أحـد ..فهـو رجـل أمـن .. ولا بـد لمـن يمثـل الأمـن أن يهاب..
أخذت من الأمير عفوا شاملا عما صار ..
وأمر بصـرف جـواز سـفر لـي ... ومنـح أهلـي وأبنـائي تصـحيحا قانونيا لوضعهم..
وهكذا انتهت محنتي في لحظات كما بـدأت فـي لحظـات واللـه المستعان..
تملكني الفرح ..
الحمد لله ثم الحمد لله ..
أمسكت بيد الأمير وضممته كما يضم الولد أباه..
آه لو كان والدي معي في تلك الساعة .. تذكرته والله ..
خرجت من عند الأمير فرحا مسرورا..
لولا الحياء منه لصرخت ..!!
سجدت لله تعالى على فضله وتوفيقه..
اتصلت بأهلي أم معاذ وبشرتها بالفرج..
فـي اليـوم الآخـر نزلـت هـذا المقـال.. فـي موقـع السـاحات السياسية..
ياقوم اذهبوا إلى محمد بن نايف فهو يعطي عطاء من لا يخشى الفقر!!!

نعم كان هذا هو عنوان المقال ..!!!
وقبل أسبوع كان العنوان ..
يامحمد ابن نايف اسجني أو اجمعني بأهلي وأبنائي..!!!
فرق بين العنوانين كما بين السماء والأرض ..
وبينهما كانت معاناة تعلمها أيها القارئ الكريم من هذه الأسطر..
قلت فيها وأقول ...
اللهم لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه.. اللهم لك الحمد عدد مثاقيل الجبال
اللهم لك الحمد عدد خلقك ورضا نفسك وزنة عرشك ومداد كلماتك..
أيها الإخوة الكرام..
والدموع تملأ عيوني ..
والقلب ينبض فرحا وشكرا وسرورا..
قد فرج الله الغمة ..
ورفع الله الكربة..
ترددت في الكتابة في الموضوع..
حتى ينقضي الأمر كله .. ولكن..
لم أطق صبرا.. ولم تذق عيني النوم حتى أشكر الأمير الفالح..
أفلح وجهك يامحمد بن نايف ..
صبحك الله ومساك بكل عافية وصحة وقوة في الخير..
سماه بعضكم ذئب الداخلية..
وأنا أسميه أبو الجميع ...
أخو الجميع..
صديق الجميع..
لم تروع بك مؤمنة يا أبا نايف..
لقد دعاني الكريم
ابن الكريم..
ابن الكرام..
بمكتبه.. ل
ببيته.. ل
بقصره... ل
بماله.. لا والله..
بجاهه.. بنفوذه.. بسلطته.. لا والله

هل أرسل لي جيشا يحاصرني.. لا والله ..
هل بعث من يحضرني بالقوة..
هل هددني..
هل توعدني.. ل
دعاني بسماحته..
بقلبه..
ببشاشته..
بطيبه..
بنقاء معدنه..
بسمو نفسه ..
بحسن استقباله..
بحنانه..
برقته..
برحمته.. وصفحه وجوده..
كل ذلك من فضل الله تعالى عليه..
أرسل لي لأدخل بيته العامر..
ويحدثني كما يحدث الأب ابنه..
استفتح كلامه بكلمة واحدة خارت لها قواي ..
وندمت على ما قلت فيه..
روح الله يحلك فيما قلته في..!!
وزاد أن منحني الجواز .. وإحضار الأهل والأبناء ضيوفا لبلدهم..
دفء صدرك ياأبا نايف ذكرني بدفء صدر رجل يرقد في اللحود..
آه يا أبا نايف.. لو كان ابو محمد حيا ..
آه يا أبا نايف لو كا أبو محمد يرجع لدقيقة واحدة فقط ..
أحكي له ما فعلت بي يابن الأمجاد..
لذرفت دموعه فرحا بما فعلت..
والله لقال لي بيض الله وجهه ...
وكثر الله أمثاله...
وزاده الله من فضله..
وأصلح الله عياله..
وثقل الله ميزانه..
ويسر الله له أمره..
وأعلى الله في الآخرة ذكره..

وملأ الله قلبه نورا..
وبارك له في رزقه..
وأحسن له عاقبته..
وشد الله بالصالحين أمره..
ولكن هيهات .. هيهات.. يا أبا نايف
فقد انقضى الأجل.. وقال الجليل..
لا يستقدمون ولا يستأخرون ساعة..
لكن أعاهدك يا أبا نايف..
أعاهدك أمام الله وأمام خلقه..
أن أدعو لك بالسحر..
أنا ومن فرجت لي وله الكربة..
وأمرت بقدومهم .. ... إلى آخر المقال..
لقد كان مقالا ممتلئا بالمشاعر الجياشة ..
ولا عجب فقد كتبته بعد المقابلة ..
فقد شعرت أنني جرحت الأمير بمقالي السابق..
فأردت أن أطيب خاطره وأشعره بصدق كلامي نحوه..
في اليوم التالي اتصلت على أحد مستشاريه ..
وطلبت منه أن يطلع على المقال .. وطلبت منه أن يطلع الأمير عليه..
قال إن الأمير مشغول.. بالمؤتمر..
أصررت عليه واستحلفته على ذلك..
اتصل علي في المساء وقال لي.. لقد قرأ الأمير المقـال وفـرح به وسر

وطلب مني أن أشكرك عليه ..
حمدت الله تعالى وشكرته فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله ..
وبهذا اختتمت فصول هذه القصة ..
التي أعتبرها شريحة بسيطة في أيام حيـاتي المليئـة بـالعبر لـي ولمن أعتبر..!!!
والله المستعان وهو الهادي سبحانه لسواء السبيل ...،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
15 /5/ 1426